الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد — كلية الآداب و العلوم الإنسانية

تلمسان — و العلوم الإجتماعية

قسم: الثقافة الشعبية — فرع: الأنثروبولوجيا

M6800-05
/54

العنف في الخطاب الديني الجزائري و علاقته بمستويات التأهيل عند الأئمة - مساجد تلمسان نموذجا - دراسة أنثروبولوجية دينية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا

إعداد الطالب

عمر زقاي

أعضاء لجنة المناقشة :

- أ.د. عكاشة شايف .....جامعة تلمسان.....رئيسا
- د. محمد موسوني .....جامعة تلمسان.....مشرفا و مقررا
- د. محمد سعيدي .....جامعة تلمسان.....عضوا
- د.محمد بشير.....جامعة تلمسان.....عضوا
- د. مصطفى أوشاطر.....جامعة تلمسان.....عضوا

السّنة الجامعيّة: 1425-1426هـ/ 2004-2005م

إلى نبع الحنان ومرتع الجنان التي سهرت على تربيتي وراحتي ، فاحتملت بذلك كلّ المشاقّ والصّعاب ...إلى والدتي الحنون.

إلى من غرس فيّ العزيمة والجرأة ، والشجاعة والعزم ... إلى والدي العزيز.

إلى كلّ من كان لهم الفضل عليّ من قريب أو من بعيد ، ولن أستطيع أن أوفّيهم حقّهم ما حييت ...

أهدي هذا الجهد المتواضع.

وقفة شكر وامتنان

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمّد موسوني الذي كان لوقوفه إلى جانبي أبلغ الأثر في تسديد خطوات هذا البحث . وإلى كافّة الأساتذة الذين أشرفوا على النهوض باختصاص الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع بجامعتنا وعلى رأسهم الدكتور شايف عكاشة الذي فتح لنا أبواب مخبر أنثروبولوجية الأديان ، والدكتور محمّد سعيدي الذي لم يبخل علينا يوماً بنصائحه وتوجيهاته القيّمة ، والدكتور مصطفى أوشاطر الذي كان تشجيعه وساماً نضعه على صدورنا ، ولا يمكن أبدًا أن ننسى الدكتور محمّد بشير الذي كان وما يزال الإطار المنهجي الذي نعود إليه حين تضلّ بنا السبل ، والدكتور محمّد رمضان الذي كان بمثابة المشرف على دفعتنا كلّها .

كما نشكر مدير الشؤون الدينية والأوقاف بولاية تلمسان الأستاذ محمّد بلحاج و مفتّشي التعليم المسجدي والتكوين ، الأستاذين مصطفى ياحيا وأحمد بن جامعي الذين فتحوا المجال واسعاً لإجراء هذه الدراسة ولم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم .

المقدمة

المقدمة

مما لا شكّ فيه ، أن من أهمّ معالم الدين الإسلامي _ على عكس ما يزعم المستشرقون _ التسامح و الدعوة إلى العدل و السلام ؛ و صون حرية الإنسان و كرامته ، حتى في الجانب العقدي حيث قال تعالى : " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ " (**الكهف** : 29) ؛ كما أن الدعوة إلى الإسلام تقوم على الإقناع بالحكمة و الموعظة الحسنة بعيداً عن الفظاظة و الغلظة و الجدال العقيم ، كما قرّره القرآن الكريم ، قال تعالى : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " (آل **عمران** : 159) . و لا غرابة في أن يتوجّه المسلمون في صلاتهم كل يوم خمس مرات بتحية الإسلام إلى نصف هذا العالم ناحية اليمين ، ثم بعد ذلك إلى النصف الآخر ناحية الشمال ، بل إن كلمة الإسلام مشتقّة من السلام أصلا .

لقد ظلّت هذه الثقافة و نشرها وظيفة من وظائف المؤسسات الدينية التقليدية (المساجد والزوايا) ، حيث كانت و ما تزال تقوم بدور مفصلي في تكوين و توجيه الأئمّة والخطباء و إطارات الشؤون الدينية باعتبارهم الناقلين الفاعلين للمعرفة الدينية . فبعد الأحداث التي عرفتها الجزائر ، كان بعض شيوخ الزوايا المرموقين يلوم على الوزارات الوصيّة والمكلّفة بنقل المعرفة الدينية ، اتهامها للزوايا بالقصور عن أداء الدور التربوي ، و عدم الأهلية في تحمّل أعباء التدريس .

وفي ظلّ الإقصاء و التهميش الذي تعرّضت له مؤسسات الإشعاع الثقافي الديني على غرار المساجد و الزوايا العلمية ، و العجز الواضح للجامعات الإسلامية ، والمعاهد الدينية كمؤسسات مكلّفة بتكوين الإطارات الدينية ؛ ظلّت تلك الزوايا العلمية والكتاتيب القرآنية ، تغطّي جوانب النقص لدى بعض خرّيجي المؤسسات الرسمية

لعقود طويلة (1) على اعتبار أن التحكّم في النص الديني المتمثّل في القرآن و الحديث من أهمّ الشروط التي يجب أن تتوفّر فيمن يحملون على عاتقهم أمانة نقل المعرفة الدينية من أئمّة و خطباء ، فقد أصبحت المحاضر تلعب دورا محوريا في تكوين الإطارات الدينية من هذا الجانب .

إلا أن الملاحظ على مؤسسة المسجد ، هو انخراط نوعية جديدة من الخطباء و الإطارات من ذوي المستويات العلمية المرتفعة نسبيا ، ما مكّنهم من تولّي المناصب القيادية و الأدوار الريادية في المديريات ، و التنسيقيات ، و حتى على مستوى الوزارة ؛ ليسقطوا بعض المناهج الحديثة على وظيفة المؤسسات الدينية التقليدية ، فيقزّموا دورها و يحوّروا مجال نشاطها بشكل متسارع ؛ ممّا أحدث تحوّلات اجتماعية ، و صراعات فكرية ، و حتى سياسية (مرتبطة بها) ، تركّزت أساسا بين تيارين متناقضين من حيث المنهج العقيدي و الوسائل الدعوية المستخدمة ؛ فقد عمد المحافظون من أنصار التيار الأول إلى الدعوة لمنهج السنّة و الجماعة ، و محاربة البدع و الخرافات التي كانت غالبا ما تلصق مفهوما و ممارسة بأنصار التيار الآخر ؛ حيث إنّ مدار الصراع و فحواه كان حول المسائل العقدية و الفقهية الخلافية ، و الحكم على بعض الممارسات الطّقوسية كقراءة القرآن على الأموات ، التوسّل بالأولياء ، الذّبح لهم ، التمسّح بأضرحتهم و الإطعامات الخيرية التي كان يقيمها أتباع الطرق الصوفية ، على أنها مظاهر شركية يجب أن تزول وفق المنظور الأول . ثم تطور هذا الصراع إلى ما يشبه الحرب الكلامية ، والمشادّات الهادفة إلى كسب المواقع الخطابية كمراكز إشعاع أو لنقل " دعاية " للمذاهب العقدية والتوجّهات الفكرية حتى أصبح الإمام في بعض المناطق مجنّدا من حيث يدري و من حيث لا يدري مع هذا الطرف أو ذاك ، فصارت الخطب التي يلقيها مفرّقة

(1) محمد نسيب ، زوايا العلم و القرآن بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر ، (دون تاريخ) ،ص ص (219-226)

مشتّتة بدل أن تكون جامعة موحّدة ؛ فاختلّت بذلك وظيفة المسجد السامية ، و مقاصد رسالته الفاضلة ، المتمثّلة أساسا في نشر الوعي الإسلامي ، و تصحيح العقائد ؛ و إشاعة الأجواء الإيمانية التي تقوّم السلوك البشري و تهذّبه ، فتمنعه من الشطط و الانحراف .

فأصبح الإمام و هو يعتلي المنبر خاطبا أو واعظا متأرجحاً بين حالتين لا ثالثة لهما ؛ فتجده في الحالة الأولى عاكفا على تحضير خطب رسمية بوصفه موظّفا من موظّفي الدولة أوّلا و أخيرا ، فصار لا ينصرف إلى معالجة القضايا الآنية العالقة ، و المصيرية للأمّة ، مما ولّد سخطا و امتعاضا لدى الجماهير المطالبة بالتغيير ،و بالتالي الصراع بين الدولة و المجتمع ، و هو ما عجّل _ بطبيعة الحال _ بظهور خطباء غير رسميين نصّبتهم بعض فئات المجتمع الساخطة على الوضع و النظام ؛ أما في الحالة الثانية المناقضة للأولى من حيث المضمون ، المنهج و الخلفية المجتمعية ، يأتي الإمام بخطب مخالفة للجهات الرسمية ، فيعالج كل القضايا المعلّقة ، و المواضيع الحسّاسة التي تتاستها الخطب الرسمية ؛ لكن غياب التحصيل ، و هزالة مستوى التأهيل ، و ضعف قاعدة التكوين العلمية جعلتها تنحرف إلى هوّة سحيقة من الضلال و التيه و فقدان الوعي ، نتيجة العنف والتعصّب و مجانبة الوسطية ، و الغرق في أوحال الغلوّ حتى الأذقان ؛ فكانت العاقبة الوخيمة التي ظهرت معالمها ، و برزت ملامحها في أحداث التسعينيات ، و قد ألقت بظلالها على الحياة الاجتماعية و السياسية ، و حتى الاقتصادية في بلادنا ، و كان يشار _ في كل ذلك _ بالبنان و بعين ملؤها الريب و الاتهّام إلى المسجد بقصد أو بعمد ، فصار مثار كل اهتمام وسط كلّ هذا الرّكام .

و لعل تلك الأسباب و غيرها ، كانت وراء اختياري لهذا الموضوع الذي يعدّ لحدّ كتابة هذه الأسطر بكراً لم يطرق بالشكل المطلوب ، خاصّة في ظلّ المغالطات التي أصبحت لا تفارق أعمدة الصحف و المجلاّت في تحليل ظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي الجزائري باعتمادها المعطى السياسي المجرّد دون تعمّق في أصول الظاهرة و تحليلها بروح علمية خالصة بعيدا عن المهاترات السياسية و الانتهازية ؛ و لذلك كان لقربنا من محيط الظاهرة في ربوع القطر الجزائري أبلغ الأثر في توجّهنا للتقصّي عن حيثياتها ؛ كما أن اختياري للمشرف الدكتور محمد موسوني كان بناء على نفس الطرح

و نظرا لمعاينته الميدانية للظاهرة بصفة ملاحظ مقرّب ، و هو الذي سبق لـــه أن ارتـــدى عمامة الإمامة لبضع سنوات ؛ و لعلّ هذا النوع من الملاحظة كان محبّذاً عنـــد الدارســـين الحقليّين في الأنثروبولوجيا من أمثال مالينوفسكي (1) ، مادلين غراويـــز (2) و غـــيرهم كثير .

بناء على كل ما تقدّم ، يبدو خطاب التسامح خياراً حضاريا لا محيد عنه ، باعتمـــاده أسلوب التفاهم و الحوار بالحكمة ، و تبنّيه منطق الموعظة الحسنة كبديل عـــن الخطـــاب العنيف مطلقا ؛ فرفض العنف ينسحب على رفض أسبابه كذلك ، فلا يمكن رفض النتيجـــة دون رفض مولّداتها التي من أهمّها التعصّـــب ، و الشـــعور المطلـــق بـــامتلاك الحقيقـــة واحتكارها و رفض قناعات الآخرين بالقوّة ؛ و استخدام نفس السلاح فـــي الدفـــاع عـــن القناعات الذاتية ، التي قد لا تكون نابعة من أسس علمية أو منهجية ؛ فإلى أيّ مدى يرتبط هذا التعصّب و العنف في التعامل مع الآخر من طرف خطباء المســـاجد مـــع مســـتويات تأهيلهم في اكتساب القاعدة العلمية و الشرعية وحتى الأخلاقية ؟

و للإجابة على هذا التساؤل الذي يعدّ أساسا لإشكالية البحث ، اقترحنـــا فرضيتيـــن ارتأينا أنّهما تُشكّلان بيت القصيد في طرحنا :

1- ضعـــف التـــأهيل، و النقـــص الفـــادح فـــي تحصـــيل العلـــوم الشـــرعية، و المستوى الدراسي المتدنيّ لبعض الأئمّة من خرّيجي المحـــاضر و الزوايـــا، و معـــاهد التكوين، جعل نظرتهم تقصر عن الوعي بخطورة ذلك النوع من الخطاب العنيف.

2- ارتباط ذلك بالأصل الاجتماعي ، و بموقع المسجد و تركيبة المصلين أو المأمومين

---

(1) Hugues , John , analysis : methods of discovery , London, Nelson 1976 , p 117

(2) GRAWITZ , Madline , Méthodes en sciences sociales, Paris 5ème édition , Ed DALLOZ , 1993 , p 687

و ظروف الانسجام ، بالإضافة إلى النفعية البراغماتية التي دفعت ببعض الخطباء إلى تبنّي هذا النهج حفاظا على مناصبهم الوظيفية ، أو طلبا للمنافع المادية ، أو خوفا من عقاب موعود ؛ بناء على هشاشة وانحدار ، و اهتزاز في القاعدة الأخلاقية .

وتعدّ الدراسات السابقة في الموضوع من الندرة بمكان ، و ذلك يرجع بالطبع إلى الحساسية التي تلفّ هذا الموضوع من أساسه إلى رأسه ، نتيجة اللّبس و الإبهام وسوء الفهم والتقدير ؛ لكنّنا سنكتفي على المستوى الدولي بدراسة أكاديمية أعدّتها وزارة الداخلية الفرنسية عن خطب الجمعة في مساجد فرنسا ، شملت تحليل 23 (ثلاثة و عشرين) خطبة ألقيت في 48 (ثمان و أربعين) مضمونا ؛ حيث رصدت اتجاهاً في الخطب يؤكد على الاندماج في المجتمع الفرنسي ارتكازا على سلوك الأخلاق الحميدة ، وجاءت نتائجها في صالح مسلمي فرنسا ، في وقت يتقدّم فيه تيار بالولايات المتحدة الأمريكية يجعل من الإسلام عدوا مستهدفا خاصّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ؛ فقد أجريت هذه الدراسة بين سبتمبر من عام 1999 و جوان من عام 2000 لتؤكد أن الخطب لا ترتكز على الجهاد و الجوانب السياسية ، وإنّما انصبّ اهتمامها في مجمله على الجانب الأخلاقي ؛ و لجأت الدراسة إلى تصنيف الخطباء على أساس معايير معينة من بينها السنّ ، فلاحظت أن كبار الخطباء يركّزون على الترهيب و التخويف من عذاب الله ، فيربطون بين آلام البشرية و انحرافاتها التي تعود عليهم بالمعاناة في الحياة الدنيا ؛ بينما حضّ الخطباء الشباب _ الذين تم إعدادهم وتأهيلهم داخل فرنسا _ على الاندماج في المجتمع و الالتزام بمبادئ الجمهورية الفرنسية ، والتقيّد الصارم بالسلوكيات المثالية ؛ كما توصّلت الدراسة إلى كون فنّ البلاغة ، و قوة العاطفة رهانا أساسا للخطبة بغية التأثير في قلوب ، و عقول المصلّين . (1)

و على المستوى العربي ، نشير إلى الدراسة التي قدّمها الباحث العراقي " ابتهال السامرائي" عن تشدّد الخطاب الديني متسائلا ما إذا كان هو المسئول الفعلي عن تشكيل وعي الشباب ، فيخلص إلى كونه ظاهرة كغيره من الظواهر الثقافية و الاجتماعية

(1) عالية ، سيدي أحمد ، باريس بتاريخ 2002/02/11 ، انظر الموقع www.islamonline.net

التي تستوجب الإصلاح بعيداً عن الإيديولوجيا و السياسة ؛ على أن يكون نابعا من هذه الذات نفسها ،و ليس إملاء من دواليب الاستشراق ، و المنابر الغربية . (1)

أما على المستوى المغاربي فنجد دراسة على شبكة الانترنيت أجريت بالدار البيضاء المغربية بعنوان : " خطباء المساجد بين التوجيه الديني و الخطاب المذهبي " خلص فيها الأستاذ رضوان نظيف إلى أن ظهور هذا النوع من الخطاب يرجع بالأساس إلى الطريقة التي يتم بها اختبار و اختيار الخطباء و تعيينهم ، و كذا غياب المراقبة الصارمة من طوف الوزارة الوصيّة ، مما ترك المجال مفتوحاً لكل من هبّ و دبّ ، فقط لكونه حاصل على شهادة جامعية في الشريعة أو في الدراسات الإسلامية ، دون التثبّت من نهج سيرته على مستوى الانتماء و المذهبية ، و دون التأكّد من كفاءته العلمية و الشرعية ؛ ثم يقارن الأستاذ نظيف بين نمطي التأهيل على مستوى المراكز العتيقة و الجامعات ليقترح إعادة توزيع الخطباء على ضوء المستويات التعليمية للسّكان ، فيعيّن المتخرّجون من الجامعات في المناطق الحضرية ذات الأغلبية المثقّفة ، بينما يعيّن خرّيجو المراكز التقليدية العتيقة في المناطق الريفية ، أو في الأحياء الشعبية ذات الأغلبية الأقلّ ثقافة ؛ وقد حضّت الدراسة على القيام بدورات تكوينية يستفيد منها الخطباء حسب رؤية النظارة و المجالس العلمية المختصّة في تحديد جوانب النقص لدى كل فئة منهم ، كما حملت عدّة توصيات إلى الجهات المعنية ، وبخاصة وزارة الأوقاف من أجل إعادة النظر في المناهج التي يتم بوساطتها اختيار من يقوم بمهمّة الخطابة عقب أحداث الدار البيضاء الدامية . (2)

أما في الجزائر ، فتعدّ الدراسة التي قام بها الأستاذ خالد محمد عضو مركز البحث

---

(1) ابتهال السامرائي ، الخطاب الديني هل هو المسئول عن تشكيل وعي الشباب ؟ ، انظر الموقع

www.alryadh.com

(2) انظر الموقع www.alahdat.info

في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية (CRASC) بوهران تحت عنوان : " التحوّلات الاجتماعية ، و الممارسات الدينية " الأقرب إلى موضوعنا ، حيث تعمّق الباحث في تحليل طرق نقل المعرفة الدينية ، و وظيفة الخطاب الديني في المجتمع المأزوم ، و قد خلصت الدراسة إلى أن الأزمة الأكثر عمقا هي تلك التي تحمل أبعادا دينية ؛ و حمّل التيارات المتصارعة فكريا في المجتمع الجزائري مسئولية إعاقة مساره الإصلاحي . (1)

و لخوض هذا البحث بالجدية المطلوبة ، آثرنا استخدام المنهج التاريخي الوظيفي الذي يقرأ من جانب وصفي تحليلي تحديداً للعلاقة المفترضة بين مستويات التأهيل عند الأئمّة ، و تجليّات العنف في أجوبتهم و خطبهم ؛ لكن دون إقصاء لأدوات البحث الأخرى مثل المنهج الإحصائي الذي نستغلّه في وصف و تحليل النتائج المرتبطة باستخدام الاستمارة – المقابلة مع الأئمّة المنتمين إلى العينة العشوائية بعد تفريغها ، فضلا عن منهج تحليل المضمون الذي سنوظفه في استنطاق المتون التي تنطوي عليها خطب الأئمة (بنوعيها الرسمي و غير الرسمي) ، و بما يخدم مصلحة البحث و اتجاهه ؛ و هي التقنية التي يحبّذها موريس أونجارس (2) مصاحبة لتقنية أخرى على غرار الاستمارة و المقابلة _كما فعلنا _ ، و ذلك بهدف التمكّن من مقارنة الملاحظات ، و الحصول على نتائج ومعطيات أكثر دقة و إقناعا ؛ بالإضافة إلى توظيف المنهج المقارن في الموازنة بين الخطب الرسمية وغير الرسمية من خلال تحليل مضمون المدونة (Corpus) المختارة بطريقة عمدية من ديوان الخطب المنبرية بالنسبة للخطب الرسمية ، ومن بعض الأشرطة المسجلة المسموعة بمساجد تلمسان والخطب غير الرسمية التي استطعنا الحصول عليها . والتي تم إلقاؤها بين سنتي **2003** و**2004** (الإطار الزمني للدراسة التطبيقية والميدانية) ؛

---

(1) خالد محمد ، التحولات الاجتماعية و الممارسات الدينية ،انظر مجموع أعمال الملتقى الوطني " أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر ؟ " الذي انعقد بتيميمون أيام 22 ،23، و 24 نوفمبر 1999 برعاية جامعة منتوري بقسنطينة و مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، منشورات crasc وهران ،الجزائر 2002 ، ص ص (51-61)

(2) Maurice Angers , Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines , Casbah Université , Alger 1997 , p 158

و كذا مقارنة النتائج المحصّل عليها في آخر المطاف.

وقد تشكّلت عيّنة البحث الميداني وفق مبدأ العُشُر (باعتبار عدد المساجد بولاية تلمسان هو 450 حسب إحصائيات وزارة الشؤون الدينية) من 45 خطيبا ؛ وحتّى تكون هذه العيّنة تمثيلية، ضمّت ثلاثة 3 أئمّة معتمدين وأساتذة بما يمثّل 6,67 % من العيّنة المدروسة ، وسبعة 7 أئمّة مدرّسين بما يمثّل 15,56 % ، و أربع عشر 14 إماما معلّما بما يمثّل 31,11 % و خمسة عشر 15 مؤذّنا ومعلّما للقرآن بما يمثّل 33,33 % ، كما ضمّت العيّنة ستّة 6 قيّمين ومتطوّعين ممّن يقومون بمهمّة الخطابة في المساجد وبما يمثّل 13,33 % من عيّنة البحث .

أما أهداف هذه الدراسة المتواضعة ، فهي محاولة لتقديم بعض التفسيرات لظاهرة العنف في الخطاب الديني ، بالتعمّق في كشف خباياها ، من خلال رسم بعض معالم وظيفة الإمام و تأصيلها ، بالإضافة إلى التخفيف من وطأة الخلافات الفقهية و المذهبية ، بالتركيز على ثقافة التسامح لقوله تعالى : " إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي " (**الأنبياء : 92**) ؛ فضلا عن الترويج لثقافة اللاّعنف ، و الجدل بالتي هي أحسن و نبذ التعصّب و منطقه الأحادي بالعمل على إحلال السّلم المجتمعي ، من خلال احترام التخصّصات ، و عدم التعدّي على وظائف الغير ؛ فالدين و الكلام فيه و التطرّق إلى تفاصيله و قضاياه ، كان و ما يزال هدفا لكل ناعق و منطفّل .

و لعلّ من الصّعوبات التي قد تواجه أيّ باحث في بلادنا ، قلّة المراجع ، و هي صعوبة نظرية قد لا تقاس _ على الأقلّ في بحثنا هذا _ مع الصّعوبات الميدانية التي تمثّلت بالأساس في امتناع بعض الأئمّة من التعاون معنا سواء كان ذلك في ما يتعلّق بالخطب أو الاستمارة–المقابلة حيث قدّرت نسبة الاستجابة31.11 % فقط ؛ممّا جعل فترة البحث الميداني تمتدّ إلى تسعة أشهر تقريبا ، و يرجع ذلك ربّما إلى نقص الوعي _ لدى الأئمّة _ بأهمّية مثل هذه الدراسات التي شكّك بعضهم في أهدافها ، حيث ظهر ذلك جليّا في أجوبتهم ، بل ذهب بعضهم إلى حدّ تأويلها بطريقة سلبية مشينة ، و بعقلية منغلقة كشفت مدى أهمّية مثل هذه الدراسة في الوقت الراهن ، وأعطتنا شحنة إضافية و إصرارا متزايدا على مواصلة هذا البحث بالجدّية المطلوبة.

وقد جاءت خطّة البحث مقسّمة إلى مقدّمة ، فصل تمهيدي ، فصل نظري ، فصل تطبيقي ميداني ، وخاتمة ؛ وقد عبّرت المقدّمة _ كما رأينا _ عن طبيعة البحث ، أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة ، طرح إشكالية البحث وفرضياته ، وصعوباته، بالإضافة إلى الأهداف المرجوّة من الدراسة ؛ بينما احتوى الفصل التمهيدي على تحديد المفاهيم الأساسية للبحث ، ومدخل تاريخي ؛ في حين عالج الفصل الأوّل (النظري) المستوى الفكري لظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي ، من خلال التطرّق لنشأة خطاب العنف ، ومسارات الانحراف في الخطاب الإسلامي الجزائري ، بالإضافة إلى المستوى الأخلاقي وذرائع ممارسة العنف وهي المباحث الثلاثة في هذا الفصل النظري ؛ أمّا الفصل الثاني (التطبيقي) فتطرّقنا فيه لمستويات تأهيل الخطباء وانزلاقات الخطاب ، حيث ضمّ مبحثين تعرّضنا في الأوّل إلى مضامين العنف من خلال الخطب المنبرية ، بينما احتوى المبحث الثاني على مستويات تأهيل الخطاب المسجدي بالتعرّض للتأهيل الاجتماعي والأخلاقي للخطباء ، والتأهيل العلمي والكفاءة الوظيفية ؛ فضلا عن خاتمة البحث التي تحتوي على أهمّ النتائج والاقتراحات التي خرجت بها هذه الدراسة المتواضعة .

مدخل تمهیدی

محتويات الفصل التمهيدي

1- تحديد المفاهيم

1-1- العنف

1-2- الخطاب

1-3- التعصب

1-4- التأهيل

2- التطور التاريخي للخطاب الديني في الجزائر

1 –تحديد المفاهيم :

1 –1 مفهوم العنف :

توافق كلمة "عنف" في اللاّتينيـــة (Violentia) ، و فـــي الفرنســية (Violence) ، و هــو الاستخدام العدواني للقوّة بشكل غير مشروع و فوضوي (1) ، و هو الأخــذ بالقســوة و عــدم الرّفق (2) ، و يأتي مفعما بالشدّة و القهر(3). ويفيد التدقيق اللّغوي في تحديد مفهوم العنف في جميع المعاجم ، إلى حصره في مقابل الرّفق عموما ، فالعنيف ضد الرفيق ، فيقال : عنف عليــه (بالضمّ) ، و عنف به كذلك .

و العنيف في معنى آخر هو الذي لا يبدي رفقا في ركوب الخيل ، فهو عنيف عليــها ، و الجمع عنف ، و يقال : اعتنفت الأمر أي : أخذته بعنف ، و اعتنفت الأرض أي : كرهتــها ، و إذا كانت الإبل معتنفة ، فهي غريبة في بلد لا يلائمها ، ولا يوافق طبيعتها ، و العنــف فــي اللغة دائما هو اللّوم و التوبيخ ، فيقال : عنفته وأعنفت له القول . (4)

و يذهب " روبر ف. ديلاك " (Robert F. Dilek) إلى أن الأصل اللّغــوي للعنــف هــو ممارسة القوّة على شخص ما ، أو شيء ما. (5)

---

(1) Le Petit LAROUSE Grand Format 2002 . p 1068

(2) علي بن هادية و آخرون ، القاموس الجديد ، المؤسسة الوطنية الكتاب ، الجزائر ، الطبعة السابعة 1991 ، ص 703

(3) جبور عبد النور ، و سهيل إدريس ، معجم المنهل ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الخامسة 1979 ، ص 1082 ، و انظر أيضا مأمون الحموي ، قاموس المصطلحات الدبلوماسية ،دمشق 1949

(4) أسامة مزغشلي ، الصحاح في اللغة و العلوم ، دار الحضارة العربية ، المجلد الثاني ، بيروت (دون تاريخ) ، ص 167

(5)Yves Richard , La Violence . Séries : Que Sais-je ? PUF . 1986 . P 04

كما يشير إلى الأذى الذي يلحق بالمرأة من اغتصاب و نحوه ، و صفة (Violent) تقابلها أوصاف من بينها عنيف ، شديد ، قاس ، صارخ ، شديد الانفعال و متهيّج، بينما يعبّر مصطلح (Violent Death) على الهلاك الذي تسبّبه أعمال العنف ، و الشغب . (1)

و في الاصطلاح ، يندرج العنف في إطار الإيذاء باليد و اللّسان ، بالفعل و الكلام في سياق الصّدام مع الآخر . و إذا كان العنف حالة تدرس بذاتها ، فإنّها لا يمكن أن تكون بمعزل عن موجباتها و مبرّراتها ، و مساراتها التاريخية ؛ فالعنف في الأصل حالة مركّبة من حيث الترابط و الظهور و الأداء ، فهي الظاهرة السيكولوجية اجتماعيا (الأنا في مواجهة الآخر) ، و هي ذلك السلوك المقترن باستخدام القوّة الفيزيائية ، وهو الجرثومة الحاملة للقسوة و المانعة للمودة ؛ و لذلك يقع كثير من التداخل و اللّبس في تحديد المصطلح وفهمه ، فيلحق بالتمرّد و مخالفة النظم أحيانا ، و بالخروج عن قواعد السّلوك العام ، و إثارة غضب الآخرين أحيانا أخرى . (2)

" لم يكن العنف في يوم من الأيام فطريّا ، بل كان دوما قدراً أحمق مكتسباً في النفس البشرية ، فلم يكن الإنسان عنيفا يوم ولدته أمّه ، بل إنّ عنف الطبيعة و عسر الحياة و التربية و عنف الآباء هو الذي يغرز العنف في خلايا الدماغ حتّى حملته صبغياته الوراثية ، فكاد أن يكون موروثا " (3)

كما يبدو ، فإن جوانب العنف كثيرة ، فمنها العنف النفسي و العنف اللّفظي و العنف الجسمي ، في تقسيمات علماء النفس ؛ بينما يركّز علماء الاجتماع

---

(1) عبد الرحمن العيسوي ، سيكولوجية الجرم ، دار الراتب الجامعية ، بيروت لبنان ، 1997 ، ص 63

(2)جليل وديع شكور ، أمراض المجتمع ، الدار العربية للعلوم ، بيروت، لبنان ، 1998 ص 14

(3) علاء الدين القباني ، العنف السيكولوجية و العلاج ، انظر الموقع : www. amanjordan.org

و الأنثروبولوجيا على الأبعاد و الأسباب ، و على الجوانب المتعددة للموضوع ، فيجعلون منه العنف المدرسي ، العنف العائلي (الأسري) ، العنف الإعلامي ، العنف الحكومي ، و العنف الديني .

" إن العنف هو ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية و الاقتصادية والاجتماعية و النفسية ، و هو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة . أما (ساندا بول روكنغ) فيقول بأن العنف هو الاستخدام غير الشرعي للقوّة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى و الضرر بالآخرين ". (1)

و كثيرا ما يلحق العنف بالعدوانية ظلما ، رغم أن الأول فطري و الثانية غريزية مرتبطة بإيذاء الغير ماديا و معنويا ، و متّصلة بالنواحي الانفعالية التي تجعل الفعل العدائي موجّها ضدّ شخص أو شيء معيّن .(2) و لعلها النظرة التشاؤمية التي جعل منها كل من هوبس (HOBBES) و فرويد منطلقا لتصوّريهما ، قبل أن يأتي النموذج الماركسي ليجعل من العنف سمة للحالة الاجتماعية التي أفسدها الاستئثار بوسائل الإنتاج ؛ و هي حالة زائلة بزوال مسبّباتها بإنهاء الصّراع بين الطبقات و امتلاك الجميع لوسائل الإنتاج ؛ إلا أن ماركس يستثني العنف " المشروع " الذي تمارسه دكتاتورية البروليتاريا ، و الذي يراه ضروريا للقضاء على الاستغلال و هو ما يوازي (أخفّ الضررين) في ميزان الشرع الإسلامي.

و لعلّ المفهوم الأكثر ارتباطا بموضوع بحثنا هو العنف الممارس من طرف الفئات

---

(1) الموقع نفسه ، و انظر أيضا تعريفا مطابقا للدكتور منذر الفضل في حوار بمجلة النبأ على الانترنيت بعنوان : www.annaba.org

(2) كمال الدسوقي ، ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول ، الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة (دون تاريخ) ، ص 70

الاجتماعية التي تدّعي حقّ الكلام باسم المجتمع بأكمله ، فتحاول إضفاء الشرعية على استعماله لضرورات بناء ، أو إعادة بناء وحدة المجتمع ، فتضع موضع الفعل تشكيلة واسعة من الوسائل التي يعتبر فيها العنف ضدّ ضمير الأشخاص أكثرها شيوعاً و تميّزاً ، و يمكن أن يكون لهذا العنف غرض دنيء يتمثّل في منع بعض الأفضليات (الشفهية و غير الشفهية) ؛ كما قد يكون غرضه أكثر طموحا ، يهدف إلى جعل الضمائر الفردية متشابهة قدر الإمكان ، وجعلها في كل الأحوال متقبّلة بشكل مطلق لتعليمات " الأخ الأكبر " (1) ، و إسكات كل الأصوات المخالفة عبر إقصاء الرأي الآخر ، و حرمان المنشقّين من أي حرّية فيما يسمّيه محمد العمري " أملكة الذات , و أشطنة الآخر " . (2)

(1) ريمون بودون و ف. بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986 ، ص ص (394-398)

(2) محمد العمري ، دائرة الحوار و مزالق العنف ، إفريقيا الشرق ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2002 ، ص 75

1 ـــ2 مفهوم الخطاب :

قال تعالى في وصف سيدنا داوود عليه السلام : " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ " (سورة ص : 20) بمعنى الحكم والفصل في الكلام على رأي المفسّرين .(1) و الخطاب في لغة العرب من المخاطبة و مراجعة الكلام ، و الخطبة هي الكلام المنثور المسجّع وهي على شاكلة الرسالة في كونها ذات مقدّمة و خاتمة ، و الرجل الخطيب هو الفصيح حسن الخطبة (2)؛ و على نفس النغمة عزف الباقلاّني في تقسيمه إلى ما ينقسم إليه الكلام من شعر و رسائل و خطب، و ما يجري على اللسان ، و من أتقنه أتقن مصارف الكلام ، و كان كامل الفصاحة قوي البلاغة ؛ و هو بهذا يعتبره من أوجه الكلام في ترتيبه لمتصرّفاته و دلالاته.(3)

و في أصول الفقه يأتي بمعنى النصّ فنجد الحديث بقوّة عن خطاب الوضع ، و خطاب التكليف (4) ، فهناك نصوص تدلّ على الأوّل و أخرى تفيد الأمر الثاني ؛ و يمكن أن نلحقه بالمفهوم الذي درجنا عليه ، فنقول أنه كلام الشارع ؛ و قد يكون الخطاب أشمل ، أو أفضل من الكلام و الحديث العادي ، و أيسر فهما من الأقاويل التي طفحت على ألسنة الفلاسفة القدامى (5) ، و هو ما يفسر استخدامه الواسع بنمط أكثر شمولية في الوقت الراهن .

---

(1) تفسير ابن كثير ، الجزء السادس ، دار الأندلس ، بيروت لبنان (بدون تاريخ) ص 50

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق علي بشيري ، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى 1988 ، مادة " خطب " الجزء الرابع

(3) أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، دار الفكر (بدون تاريخ) ، ص ص (7 – 35)

(4) أبو إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الأحكام ، دار الفكر (بدون تاريخ) الجزء الأول ، ص 98 و انظر كذلك محمد الأمين الشنقيطي ، مذكرة أصول الفقه ، دار اليقين للنشر ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الأولى 1999، ص ص (69 – 74)

(5) محمد حافظ دياب ، سيد قطب الخطاب الإيديولوجيا ، مؤسسة الناشر الجزائر 1991 ، ص 7

لكن علم اللسانيات المعاصر ، يعتبر الخطاب كل كلام يجاوز الجملة الواحدة المعروفة فهو إذن مجموعة من الجمل التي تحمل دلالات لا تتوقف مدلولاتها بتوقف الأصوات الحاملة لها ؛ بمعنى أنها تشمل أيضا الظروف و الممارسات التي تم فيها إطلاق الخطاب . (1)

و يرى آرسطو ضرورة توفّر عوامل ثلاثة في كل أنواع الخطاب و هي : المرسل ، المرسل إليه ، و الرسالة (الموضوع) " Emeteur , Recepteur et Objet de discours " ، بالإضافة إلى وجهة النظر الذاتية و نيّة التأثير في المتلقّي ، و مجموع الظروف و الممارسات التي ينبع منها الخطاب ؛ و قد يكون الخطاب منطوقا كما قد يكون مكتوبا ، و لعل الأهمّ في ذلك أن يحمل وجهة نظر صاحبه. فلا بدّ للخطاب أن يكون حاملا لأهداف محدّدة من قبل مرسله ،أو صاحبه ، و بالتالي ضرورة أن يضمّنه مقدرته و ملكته اللّغوية و الفكرية بغية الإقناع و التأثير في مستقبلي وجهة نظره . (2)

و إذا كان الخطاب ينقسم إلى قسمين اثنين : خطاب مكتوب يشترط أن يكون فيه المتلقّي قارئا للغة الكتابة بما تحمله من رموز و تراكيب نحوية و صرفية (3) و خطاب منطوق يعتمد المحادثة بحيث يكون المتلقّي مستمعا ، و مدركا للغة الحديث و إشارته ؛ فإن أنواع الخطاب من

---

(1) Emile Beneveniste . Problèmes de linguistique générale . Edition Gallimard Paris 1966 . Tome 1 . p 242

(2) Christian Baylon . Sociolinguistique . Edition Nathan . France 1991 . p 836

(3) مازن الوعر ، دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس دمشق سورية 1989 ، ص 81

الصّعوبة حصرها لكنّنا سنذكر بعضها على سبيل الانتقاء على غرار الخطاب السياسي، العلمي، القانوني ، الأخلاقي ، الأسطوري ، الإيديولوجي ، و الديني .

و بمأن موضوع البحث عن الخطاب الديني أو الإسلامي تحديدا ، فإننا سنحاول توضيح بعض معالمه خدمة لمصلحة البحث ، فهو إذن خطاب يتضمّن محتويات دينية عقيدية ، أو يهدف إليها ؛ و هو ثابت الأصول و الأسس ، و متغيّر في المنهج و الطريقة و اللّغة ، فهو يخاطب العواطف أحيانا ، و يتوجّه إلى العقول أحيانا أخرى ؛ و يعتمد أسلوبي الترغيب و الترهيب كوسيلة للتأثير.

و قد يميل البعض إلى تصوير الخطاب الإسلامي باعتباره خطابا واحديا (أي : ذا بعد واحد) ، فهناك فرق بين كونه خطابا يدعو إلى التوحيد و تنزيه الذات الإلهية ، و بين محتواه الذي قد يحمل اجتهادات متغيرة بفعل الزمان و المكان أو يحمل بعض أئمّته لواء التكفير و الفتنة ، فيصبح الخطاب في هذه الحالة شاذّا عنيفا مليئا بالطعن (Tirade) (1) ، فلا يمكن أن تربط الاجتهادات التي تخطئ و تصيب بالأصول و الأسس الثابتة في الخطاب الإسلامي على غرار النصوص و التشريعات ، و إجماع الفقهاء و العلماء ، فهذا ثابت و ذاك متغيّر.

(1) جمال بركات ،قاموس المصطلحات الدبلوماسية ، مكتبة لبنان ، الطبعة الأولى 1982 ، ص 33

1 ـــ مفهوم التعصّب :

التعصّب في اللّغة من الشدّة و التشدّد ، ففي القرآن الكريم : " يَوْمٌ عَصِيبٌ " (هود : 77) أي : يوم شديد ، و تعصب لفلان أي : تحيّز له ، و العصبية من القبلية فالعصابة الواحدة هي الجماعة الملتحمة في النسب مثل العشيرة الواحدة ، أو أهل البيت الواحد ، و بني العمّ الأقربين و الأبعدين ، و يفرّق ابن خلدون بين عصبية اللّحمة ، و عصبية النّعرة ، فيجعل الأولى ملحقة بالنسب الخاص ، بينما ألحق الثانية بالنسب العام و الخاص على حد سواء (1) ؛ و العصبة (بالضمّ) في القرآن الجماعة المتعاضدة بصفة عامة، قال تعالى : " لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ " (القصص : 76) ، و اعصوصب القوم أي : صاروا عصبا ، و العصابة ما يشدّ به الرأس و العمامة ، و العصب الشدّ و اللّي و الطّي ، و تعصّب للشيء أي : اقتنع و رضي به . (2)

أمّا في الاصطلاح ، فلم يستقر الباحثون على تعريف واحد جامع و مانع ، و ذلك بالنظر إلى حداثة المصطلح من جهة ، و تعدّد مواضيع العلوم الإنسانية و تداخلها من جهة أخرى . (3)

إن التعصّب هو نوع من الحماس الذي يدعو إلى الغلوّ و الاستمساك برأي أو بموقف معيّن بشأن القضايا الوطنية و الدولية ، أو الآراء الدينية ، و الدفاع عنها

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب اللبناني 1967 ، ص 230

(2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى1997 ،ص ص (201–202) ، و انظر برنامج المحدّث على شبكة الانترنيت على الموقع www.elmuhaddith.com

(3) أحمد بن نعمان ، التعصب و الصراع ، منشورات دحلب الجزائر الطبعة الثانية 1997 ، ص 11

بقوّة و استماتة (1) ؛ و هذا يؤكد مدى ارتباط التعصب بظاهرة العنف ، بل قد يكون التعصّب و العنف وجهان لعملة واحدة . (2) و هو الأمر الذي يجعل التعصّب سلوكا و اتجاها نفسيا جامدا مشحونا و انفعاليا ، أو عقيدة ، أو حكما مسبقا ضدّ موضوع معيّن أو جماعة بحيث لا يقوم على أساس منطقي أو معرفي ، و لا يستند إلى حقيقة علمية . (3) و إذا كانت محاولة تبرير التعصب هي الشّغل الشاغل لأصحابه، فإنه من الصعب تعديله أو تغييره لأنه يجعل معتنقه لا يرى إلاّ بعينه ، ولا يسمع إلاّ بأذنه ، و إن كان في ذلك تشويه للواقع و تحطيم للإدراك ، فلا يهمّ من كانت هذه حاله إلاّ ما يوافق اتجاه تعصّبه و رؤيته الضيّقة .

و يعرّف كريتشفيلد التعصّب على أنّه تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقّة ببعض المساوئ و المؤاخذات التي يراها بعض الأفراد أو الجماعات في أقلّيات دينية، عنصرية أو قومية أخرى . (4) و هو بذلك يتجه نحو سلوكيات إقصائية تدفع إلى العنف بامتياز ؛ فهو اتجاه نفسي لدى الفرد كذلك، حيث يجعل منه ذاتا إدراكية لفرد ، أو لجماعة ، أو لموضوع معين إدراكا إيجابيا أو سلبيا ، دون أن يكون لذلك ما يبرّره من المنطق ، أو الشّواهد التجريبية .(5) و هناك جانبان مهيمنان يلفتان الاهتمام في هذا السياق ، و هما التعصّب للشّيء ، و التعصّب ضدّ الشّيء ؛ "و الملاحظ أن المفهوم المتداول للتعصّب لدى الأغلبية من غير المتخصّصين ،

---

(1) معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص 160

(2) محمد محفوظ ، " ضد العنف و التعصب " مقال بمجلة النبأ العدد 63 ،سنة 2001 ، ص 4

(3) حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب القاهرة (بدون تاريخ) ص 165

(4) عطوف محمود ياسين ، مدخل في علم النفس الاجتماعي ، دار النهار للنشر ، بيروت لبنان 1981 ، ص 99

(5) عبد الرحمن العيسوي ، دراسات في علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان 1974 ، ص 195

أن التعصّب ممقوت لذاته ، و يكون بمعنى " ضدّ " و ليس بمعنى " مع " ، على أن هناك فرقا كبيرا بين التعصّب للشّيء أو المبدأ ؛ أو بمعنى آخر التمسّك بالمبدأ إلى آخر لحظة من لحظات الحياة ، (إذا اقتنع المرء بأن هذا المبدأ حقّ) ؛ و بين التعصّب و الحقد ضدّ الآخرين ، أو مبادئ الآخرين . فالتعصّب المقيت المدمّر هو الذي ينصب (ضدّ) الآخرين ، و ليس ما هو متعلّق بأفكار أو قناعات أو مبادئ الشخص المتعصّب ، ممّا يجعلنا نشبّه التعصّب هاهنا بما يقال عن الحرّية الفردية ، بأنّها تنتهي عندما تبتدئ حرّية الآخرين ، و عليه فبقدر ما يجب أن ننظر إلي موضوع التعصّب بحذر شديد ، بقدر ما يعتبر مشكلة حيوية في التفاعل الاجتماعي ، و يعتبر حاجزا يصدّ كلّ فكر جديد ، و يعزل أصحابه عن الجماعة الأخرى ، و يبعدهم عنهم ؛ و يترك أصحابه بمنأى عن التطوّر المتلاحق الذي تستهدفه جهود البشر في كلّ الحالات الحضارية السّوية ".(1)

(1) أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص ص (12-13)

1 –ـ مفهوم التأهيل :

قال تعالى في كتابه العزيز : " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (النحل : 43) فيقال فلان أهل لكذا أي خليق به ، و تأهّل إذا تزوّج (1) ، و تطابق كلمة " تأهيل " في اللّغة إعادة التأمين و الضّمان (Rehabilitation) ، و إعادة الاعتبار و الطبع ، و إعادة الأهلية لشخص أو لشيء (to rehabilate) أي : أعاد تنظيمه و الرجل تأهّل للأمر أي : كان أهلا له (2) ، و في اللّغة الفرنسية " Qualification " كلمة تعني التأهيل الذي يفرّق على أساسه بين العمّال وفق معايير المهارة العلمية و العملية حتىّ يصبحوا أهلا لممارسة أعمالهم . (3)

و تكاد تكون التّعاريف التقنية أو الاصطلاحية لمصطلح التأهيل منفصلة في مفهومها عن الإضافة و النعت الذي يجعلها خاصّة بميدان من الميادين العلمية أو العملية ، مثل التأهيل المهني ، تأهيل المعاقين ؛ لكن هذا العائق لم يمنعنا من إيجاد تعاريف قمنا بترجمتها من مصادر أجنبية .

فالتأهيل هو ذلك المسار الذي يبيّن كيف يكون كيان ما قابل للاستجابة لشروط أو متطلبات معيّنة خاصة بعمل ، أو بنشاط مهني ممارس ، وهو في الوقت ذاته يحدّد مدى مطابقة تلك المتطلّبات في المحيط التجريبي ، مثلا : بالمرور على جملة من

---

(1) سميح عاطف الزين ، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الثانية 1984 ، ص 96

(2) محمد عدنان سالم و محمد وهبي سليمان ، معجم كلمات القرآن العظيم ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1997 ، ص 285

(3) خليل أحمد خليل ، معجم المصطلحات الاجتماعية ، الجزء الثالث ، دار الفكر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1995 ص ص (98 –99)

الاختبارات وفق أرضية من الفحص الميداني تحت إشراف فريق مختصّ ؛ كما يعتبر النجاح في امتحانات التأهيل كفيلا بتحديد تصوّر قابل للاستغلال على أرض الواقع مع إمكانية وجود حيّز ، و مجال للاختبار . (1)

و يذهب الدكتور عبد الرحمن المطرودي _ وكيل وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية _ إلى تعريف التأهيل الموجّه للأئمّة بأنّه إعادة التدريب من أجل اكتساب فقه الدّعوة إلى الاعتدال الديني ، و رفض التطرّف و العنف ، و تثبيت منهج الوسطية الذي نحسبه متلخّصا في قوله تعالى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (البقرة : 143) ؛ بالإضافة إلى الشّروط التقليدية التي يجب توفّرها فيمن يفترض أن يمارس وظيفة الإمامة و الخطابة ، و التي من بينها التحكّم في النصّ الشرعي (القرآن و الحديث) ، و البلاغة العربية ، و التأهيل الأخلاقي ، و المستوى الدراسي ؛ و عليه يتعيّن على كلّ من لا يصلح لهذا العمل الاستقالة ، أو الخضوع لإعادة التدريب حتّى يتزوّد بمبادئ الدعوة الإسلامية الحقيقية التي لا تتعارض جوهريا مع التطرّف ؛ و في هذا السياق شنّت معظم السلطات الأمنية في البلاد الإسلامية إجراءات صارمة ضدّ عدد من الأئمّة الذين يعتقد أنّهم يحرّضون على العنف ، فمثلا أعيد تأهيل ما لا يقلّ عن ألف 1000 إمام مسجد كما ذكرت جريدة الشّرق الأوسط بتاريخ 2003/06/25 في هذا الصّدد . (2)

---

(1) Voir le Site www.alaide.com Dictionnaire sur Internet .

(2) انظر الموقع www.al-eman .com

و يقرّر الإسلام أساليب كثيرة للتأهيل تشمل جميع فئات المجتمع تعرّف المرء بطاقاته و قدراته ، و تعمل على تدريبه على الاحتراف في الأعمال ، والإتقان في ممارستها ؛ ممّا يساعد على تهيئة بيئة العمل ، و فتح أبوابه على مصراعيها ، و تكريس مبدأ الوظيفية و التخصّص ، في سياسة راشدة تهدف بالأساس إلى استغلال الجهود ، و توفير فرص العمل ، و تنمية مصادر الدّخل . (1)

(1) يحي إبراهيم اليحيى ، التأهيل بين النظرية و التطبيق ، انظر الموقع www.taiba .org

2- التطوّر التاريخي للخطاب الديني في الجزائر :

إن معالجة موضوع الخطاب الديني في الجزائر يفرض علينا استقراء تاريخيا ، نبرز من خلاله الرواسب التي يمكن أن تكون قد أثّرت في تغيّر نبرته و اتّجاهه تبعا للأحداث التي كان يصطبغ بصبغتها ، و يأخذ بمساراتها الفكرية ، و لعلّ أهم تلك المراحل حقبة الاستعمار (1830-1962) ، حيث أن الصورة التي يمكن أن نرسمها للخطاب الديني في الجزائر قبل هذه الفترة ستكون قطعا متميّزة ؛ فما هي إذن أهمّ الامتدادات التاريخية و الحضارية لهذا النوع من الخطاب ؟ ، و ما هي أبرز الأحداث والمحطّات التي ظلّت تغيّر سكّته و اتّجاهه باستمرار ؟.

نرى أن انتشار اللغة العربية بين البربر كان بشكل متسارع ، (1) ممّا يدفع على الاعتقاد أن الخطاب الإسلامي الذي كان سائدا ، و الذي كان يتبنّى هذه اللّغة ، كان خطابا متسامحا ، و رفيقا بأهل المنطقة ، خلافا لنظيره الروماني ذي المضمون اللاّتيني و الروح المسيحية . و لقد كان هذا الخطاب يتفاعل مع المتغيّرات التاريخية ، في إطار الإسهامات الحضارية و كذا النّضالات السياسية و الثورية التي كانت تفرضها تلك الأوضاع منذ أقدم العصور ؛ (2) إلاّ أن الخطاب الإسلامي لم يكن ليؤثر بالشكل الذي أثّر به في المنطقة لو كان طابعه متسلّطا ، أو عرقيا متعصّبا . (3)

---

(1) رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 ، الطبعة الأولى ، ص 22

(2) عمار هلال ، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995 ، ص ص (14 – 16)

(3) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1994 ، ص ص (73 – 168)

و لم تكن ثورة الفاتح من نوفمبر أوّل ثورة في تاريخ الجزائر ، و حتّى الثورات الشّعبية على غرار تلك التي خاضها الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري إبّان الاحتلال الفرنسي لبلادنا ، (1) و إنّما هو تاريخ ثوريّ متجذّر يرجع إلى زهاء خمسة و عشرين قرنا خلت من الزمن ؛ ممّا يؤكد تماسك البناء الاجتماعي المبني على النضج في التعامل السياسي ، انطلاقا من القرن الثالث قبل الميلاد . (2)

فالمماليك الأمازيغية التي كانت تصطدم بشكل متكرّر (بدافع العصبية القبلية و اللّغوية) مع الأجيال المتعاقبة للمسلمين الفاتحين خاصّة خلال الحملات الأولى و التي كانت على جانب كبير من الحنكة العسكرية ؛ (3) سرعان ما أقنعهم خطاب هذا الدين الجديد الذي كانت دعوته للمساواة و الصفاء الرّوحي مسلكا لإحداث تحوّلات عميقة على المستويين الاجتماعي و الثّقافي ، مع احتفاظ الشخصية الأمازيغية بملامحها و معالمها التي حاولت الدولة الرّومانية مسخها قبل ذلك مرارا و تكرارا . (4)

" و لا ندّعي طبعا أن العرب و المسلمين ، قد فتحوا الشّمال الإفريقي دون عناء ،

---

(1) مجاهد مسعود ، تاريخ الجزائر ، الجزء الأوّل ، الجزائر الطبعة الأولى (بدون تاريخ) ، ص ص (155 – 111)

(2) عبد القادر جغلول ، مقدّمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط ، ترجمة فضيلة الحليم ، دار الحداثة للطباعة و النّشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1988 ، ص 6

(3) عباس الجراري ، الأدب المغربي من خلال ظواهره و قضاياه ، الجزء الأوّل ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثانية ، 1979 ص ص (42 – 45)

(4) محفوظ قدّاش ، الجزائر في العصور القديمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1993 ، ص ص (7 - 40)

أو أنّهم وجدوا السكان الأصليين مرحّبين بهم كلّ الترحاب بل لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق ، فإن وفّق المسلمون في إقامة دولتهم و توسيعها في بلاد المشرق خلال مدّة قصيرة لا تتجاوز بضع سنوات ، فإنّهم على العكس من ذلك ، ظلّوا قرابة قرن كامل من الزمن يحاولون تثبيت دعائم الدين الجديد في بلاد المغرب ، أو الشّمال الإفريقي " (1)

لقد تبنّى الخطاب الديني فيما بعد المذاهب الإسلامية (أو المنسوبة إلى الإسلام) الأكثر شذوذا على غرار مذهبي الشيعة و الخوارج ، كما هو الحال في عهد الدولة الرستمية في تيهرت ، قبل أن يتبنّى و بصورة أكثر وضوحا المذهب المالكي السنّي الذي اختلط ببعض العقائد الشّركية المقدّسة للأولياء الصالحين أو " المرابطين" المحلّيين ، في تناقض صارخ مع الخطاب السنّي الحجازي الذي كان يمثّله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المشرق .

ثمّ يدخل الخطاب الديني في الجزائر مرحلة الولاء للخلافة العثمانية (1516 – 1830) ، مع ما يحمله في طيّاته هذا النّوع الخطابي من محتويات شرعية تتعلّق بوجوب البيعة و الطاعة لوليّ الأمر ، و الدّعاء له على منابر المساجد ، لينتقل الخطباء بعد ذلك إلى استنفار النّاس للمقاومة ، في أعقاب الهجمات التي كان يشنّها الأسبان و حلفاؤهم الأوربيون على سواحل الجزائر . (2)

فقد اتّضح أنّ " رجل أوربا المريض " (3) لم يعد قادرا على حماية الجزائر ، التي سقطت في

---

(1) رابح سنايسي ، الفكر الديني المعاصر في الجزائر ــ أصوله و اتجاهاته ــ ، أطروحة دكتوراه دولة ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة تلمسان (2000 – 2001) ، ص 13

(2) محمد زروال ، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1994 ، ص ص (45 – 109)

(3) رجل أوربا المريض : تسمية كانت تطلق على الدولة العثمانية في آخر أيّامها قبل سقوطها عام 1924 على يد مصطفى كمال آتاتورك ، أنظر الموقع www.bataldynet.net في مقال لعلي عبد العال بعنوان : " السلطان عبد الحميد المفترى عليه و قوى الشرّ التي تآزرت ضدّه " .

قبضة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي عام 1830 (1) ، فلم يجد المقاومون الجزائريون أفضل من توظيف الخطاب الإسلامي لحثّ الشّعب على الجهاد و محاربة الاستعمار ، و حشد الأنصار و العدّة و العتاد في سبيل ذلك ؛ و لعلّ أبرز أولئك المقاومين _ كما أسلفنا الذّكر _ الأمير عبد القادر الجزائري . (2)

و لم يكن أمام ثورة نوفمبر سوى الأخذ بنفس الخطاب ، لتجعل من الدين الإسلامي عنصرا أساسا في تكوين الشّخصية الوطنية الجزائرية ، و الهوية القومية ، و هو نفس النسق الذي درج عليه الأمير عبد القادر . (3) و تنجح الثورة في اجتثاث الاستعمار الفرنسي ، و يتحقّق الاستقلال حاملا معه تراجعا و تقلّصا منقطع النّظير لدور الخطاب الديني ، حيث اتّسعت الهوة بين الحكومات و المحكومين ، نتيجة التطبيقات " الاشتراكية " (4) ، التي سعت إلى احتواء هذا الخطاب و توجيهه لخدمة إيديولوجيتها في إطار ما كان يسمّى بالشّرعية الثورية أو التاريخية ، فأنتجت هذه الوضعية خطابا على الهامش (الخطاب غير الرسمي) استقطب اهتمام النّاس ، و شدّ انتباههم ، حيث

---

(1) صالح عبّاد ، المعمّرون و السياسة الفرنسية في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر1984 ، ص ص (70 – 111)

(2) صالح فركوس ، نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر ، دار الكوثر للنشر ، الجزائر ، الطبعة الأولى 1991 ، ص 89

(3) Charles Robert AGERON, Politiques Coloniales, Presses Universitaires de France, Paris 1972, P 101

(4) تعتمد " الاشتراكية" _ على عكس الإسلام _ المبدأ المادّي غير الروحاني ، و المادية التاريخية في تفسيرها لعلاقة الإنسان بالطبيعة ، فهي تعتقد أن تطوّر المعرفة يرتبط فقط بوسائل الإنتاج التي تعتبر السبب و الدافع الحقيقي للتقدّم العلمي و التكنولوجي ، و للإطّلاع أكثر على هذا التناقض أنظر : نظرية الخصائص الإنسانية في فكر الإمام السيّد الصدر على الموقع www.darislam.com

وجدوا فيه متنفّسا لمكبوتاتهم ، و إجابة عن تساؤلاتهم ؛ إلاّ أنّه اتّسم بنوع من التطرّف و الهامشية في الطّرح ، و الاهتمام بالسلوكيات الظاهرية الفارغة روحيا . و ربّما كانت الفروقات الطبقية إحدى مبرّرات الخاصية العدوانية التي تميّز بها الخطاب الديني بشقّيه الرّسمي و غير الرّسمي ، من خلال العلاقة المتوتّرة بين الدّولة و أجهزتها من جهة ، و بين المجتمع المدني بنخبه و عامّته من جهة أخرى .

و إذا كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يمثّل أحد المراجع الكبرى للخطاب الإسلامي في الجزائر ، فلا بدّ أن يكون لخليفته ، و رفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمي نفس القدر و المكانة كأحد رواد الخطاب الإسلامي الجزائري المعاصر ، و كرئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ظلّ معارضا إلى حين وفاته للتطبيقات الاشتراكية في جزائر ما بعد الاستقلال ، فكان يقول : " كتب الله لي أن أعيش حتّى استقلال الجزائر ، و يومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنيّة مرتاح الضّمير ، إذ تراءى لي أنّي سلّمت مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام و الحقّ ، و النّهوض باللغة العربية ، ذلك الجهاد الذي كنت أعيش من أجله ، إلى الذين أخذوا بزمام الحكم في الوطن ؛ و لذلك قرّرت أن ألتزم الصّمت ، غير أنّي أشعر أمام خطورة السّاعة ، و في هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة و العشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس (16 أفريل 1964) أنّه يجب عليّ أن أقطع الصّمت ، إنّ وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة ، و يتخبّط في أزمة روحية لا نظير لها ، ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحلّ ، و لكن المسؤولين لا يدركون أنّ شعبنا يطمح قبل كلّ شيء إلى الوحدة و السّلام و الرفاهية ، و أنّ الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية ..." (1)

---

(1) أحميدة عياشي ، الإسلاميون الجزائريون بين السّلطة والرّصاص ، دار الحكمة الجزائر 1992 ، الطبعة الأولى ، ص 142

و لعلّها البدايات الأولى لظهور الخطاب غير الرّسمي ، أو الخطاب المعارض لتوجّهات الوزارات الوصيّة المكلّفة بتسيير دفّة الشّؤون الدينية بالجزائر ؛ فجاء خطاب جمعية القيم و رجالاتها من أمثال الشيخ أحمد سحنون ، عبد اللطيف سلطاني ، و الياجوري ، و مثقّفين إسلاميين مثل مالك بن نبي ، و تلميذه رشيد بن عيسى على غير ما يهوى النّظام الاشتراكي . و من أمثلة الأئمة الذين حملوا لواء الخطاب الإسلامي في الجزائر قبل الاستقلال و بعده الشّيخ العرباوي الذي كان يحثّ النّاس على الالتحاق بصفوف جيش التحرير ، و هي التّهمة التي واجه تحت طائلتها الإقامة الجبرية حتّى عهد الاستقلال مستغلاّ منبر الجمعة بمسجد " بلكور " الذي واصل الخطابة فيه بعد الاستقلال ، حيث كان يعارض إقامة بعض الأنشطة الثقافية التي كان يرى فيها الإساءة الواضحة إلى المبادئ الإسلامية ، على غرار منعه لمسرحية : " محمد خذ حقيبتك " التي قال أنّها كانت تشتم الإسلام و المسلمين ، وكان يراد عرضها بالمسرح الوطني الجزائري سنة 1977 و 1980 . و على نفس النّسق سارت خطب الشّيخ مصباح الحويذق (1) و الشّيخ عبد اللّطيف سلطاني الذي كتب كتاب " المزدكية في أصل الاشتراكية " الذي منع طبعه بالجزائر ؛ ممّا يجعلنا نستشفّ أنّ مطلع الثمانينيات كان البداية الحقيقية للقطيعة بين الخطاب الإسلامي الجزائري الموجّه ، و نظيره الراديكالي الذي أخذ الطابع غير الرّسمي ؛ إلاّ أنّ الجدير بالذّكر ، هو أنّ هذا الخطاب لم يتّسم بالعنف و التعصّب إلى درجة

---

(1) ولد الشيخ مصباح الحويذق سنة 1902 بضواحي وادي سوف ، حيث حفظ القرآن الكريم سنة 1917 ، ليلتحق بالكلية الزيتونية التونسية سنة 1931 ، ثم عاد إلى أرض الوطن ليمارس التدريس بقرية الطريفاوي ثم بمدارس أخرى بباخراص و بني هذيل بتلمسان ، و شارك في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين لسنة 1946 ، و ألقي عليه القبض سنة 1956 بتهمة المشاركة في حرب التحرير ، و أطلق سراحه عام 1960 . و بعد الاستقلال عيّن إماما و خطيبا بالمسجد الكبير بباخراص ،فعارض الموجة الاشتراكية بشدّة ممّا سبّب له التوقيف عن الخطابة والنفي إلى خارج العاصمة و بالضبط إلى الأغواط ثمّ إلى مستغانم التي توفّي و دفن بها سنة 1973 ، و انظر للاستزادة : أحميدة عياشي ، المرجع السابق ، ص ص (143 - 144)

التطرّف ، و الدّعوة إلى الخروج على الحكّام و العصيان ، كما حدث بعد ذلك على ألسن خطباء التحزّب و الإيديولوجيا ، و من ضمنهم بعض أئمّة المساجد الذين تناسوا وظيفتهم الدعوية و الإرشادية ، واتّجهوا نحو التسييس ، و زرع الشقاق و البلبلة عن غير وعي بالعواقب و النتائج .

و إذا كان المسلّم به هو أنّ الخطاب الديني مرتبط بتطوّر الأحداث التاريخية (1) ، فإنّ الخطاب الإسلامي في الجزائر ظلّ يتفاعل مع الأحداث المتعاقبة التي رسم فيها العنف صورة قاتمة نتيجة تراكمات و أسباب مختلفة و ذات أبعاد سوسيولوجية عميقة ، و ظروف و عوامل معقّدة أفرزتها الصّراعات الفكرية و الإيديولوجية و المذهبية (2) ؛ فبينما فضّل بعض الخطباء احترام توجيهات وزارة الأوقاف ، والبقاء على هامش الأحداث ، انغمس بعض الأئمّة في قلب الصّراع ، بل إنّ بعضهم أصبح طرفا فيه ، فكانت أحداث أكتوبر 1988 بداية جديدة لإدخال إصلاحات سياسية كانت نتيجتها فتح المجال أمام التعدّدية الحزبية و حرية الصّحافة ، و المصادقة على دستور 23 فبراير 1989 ، و إلغاء محكمة أمن الدولة بتاريخ الفاتح من مارس سنة 1989 ؛ ممّا فتح الباب على مصراعيه لحمّى المعارضة التي طالت المساجد و خطباءها الذين وجدوا حرية في الكلام لم يحدث أن وجدوا مثلها من قبل ، و التحامل

---

(1) محمد جبريل ، تطوّر الخطاب الديني مرتبط بتطوّر الأحداث ، أنظر إصدارات إيهاب سلطان القاهرة على الموقع www.arabiat.com

(2) أبو جرّة سلطاني ، جذور الصّراع في الجزائر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الطبعة الأولى ، الجزائر 1995 ، ص 232

غير المسبوق لبعضهم على أجهزة الدولة و رموزها ؛ وبعد تأسيس الأحـــزاب " الإســـلامية " زادت نبرة هذا الخطاب حدّة و جرأة ، و لعلّها ردّة الفعل الطبيعية على خطاب السلطة العنيف (بنبرته الأحادية و الإقصائية) منذ الاستقلال .

و الملاحظ في هذه الفـــترة هـــو فقـــدان الخطـــاب الإســـلامي لخاصّيتـــه المعروفـــة " الوحدوية " ، فبدلا من جمع النّاس على كلمة الحقّ و التقوى ، و رصّ الصفوف و توحيدها ، أصبح التفرّق و التشرذم السمة الغالبة ؛ فهناك تيار الجزأرة و الإخوان و السلفية ، و ما إلـــى ذلك من التسميات و المسمّيات التي لم يكن لها وجود من قبل ، و أصبح لكلّ تيـــار مســـاجده و خطباؤه ، بل و مرتادوه أيضا ؛ إلاّ أنّنا يمكن أن نميّز بين ثلاثة مناهج خطابية فـــي إطـــار هذا الخطاب (غير الرسمي) في أبعاده و منطلقاتـــه و هـــي : المنـــهج الثـــوري ، المنـــهج السياسي ، و المنهج التربوي ؛ و يعدّ هذا الأخير أقلّها تواجدا في الساحة آنذاك بفعل التـــأثّر الواضح بالخطب السياسية لقادة الأحزاب الإسلامية الذين كانوا يســـتعملون بعـــض المســـاجد كمنابر لأحزابهم ، و قد وصل الأمر ببعض رؤساء البلديات إلى إلقاء الخطب السياســـية فـــي المساجد التي تتبع بلدياتهم متخطّين بذلك وظائف غيرهم ، سواء كان ذلـــك برضـــا أولئـــك أو بعدمه . (1)

و بعد أحداث 1991 ، و إلغاء انتخابات 1992 ، انتقل العنف من الشـــارع إلـــى خنـــادق الجماعات المسلّحة ، و من مساحات المساجد إلى أعالي الجبـــال المحيطـــة بـــالمدن الكـــبرى و بالعاصمة خاصّة ، و يوظّف هذا الظّرف السياسي من طرف بعض خطباء الفتنة للدعوة إلى التكفير و الخروج على الحكّام و العصيان المدني ، و مواجهة عنف السلطة المتمثّل فـــي وقف المسار الانتخابي بعنف أكبر منه ؛ و في مواجهة " لجنة إنقاذ الجزائـــر " و "المجلـــس

(1) عمّال سلاّمي ، آثار ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا من قسم الثقافة الشعبية جامعة تلمسان 2000 – 2001 ، ص ص (58 – 59)

الأعلى للدولة "، ظهر ما يسمّى بالجماعات المسلّحة التي سرعان ما خرجت عن سيطرة و تحكّم القادة السياسيين من الإسلاميين ، في الوقت الذي دخلت فيه البلاد دوّامة أزمة دستورية خانقة عقب استقالة الرئيس و حلّ البرلمان .

و تميّزت هذه المرحلة بخطاب رسمي غير واعي ضاعف من أعداد الناقمين على النظام و الرافضين لتوجّهاته ، نتيجة النبرة الإقصائية التنفيرية التي كانت تطبع الخطب الرسمية ، والتي كانت في مجملها تزيد في حالة اليأس ، و تهيّج مشاعر العداء تجاه أجهزة الدولة و هياكلها ؛ و بالمقابل عمّ الخطاب غير الرسمي بعض التجمّعات السكانية ذات القواعد الحزبية المحسوبة على التيار الإسلامي ، فكان يعمل على استنفار الناس للعصيان المدني ، و حمل السلاح لاستعادة " الحقّ المسلوب " ، متجاهلا عن قصد ، أو بغير قصد مبادئ الأخوّة الإسلامية ، و حرمة دماء المسلمين و أعراضهم ، و راكبا موجة من الجهل بالقواعد الشرعية ، و فقه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، ومتجاهلا وجوب طاعة أولياء الأمور ، و منهج سدّ الذرائع ، وخطورة تغيير المنكر بمنكر أكبر منه ، حتّى أصبح التكفير موضة هذا الخطاب الشاذّ ، و غير الواعي ، بل و غير الشرعي الذي ميّزه العنف و الغلوّ ، و بضاعة العلم المزجاة، فصار خطاب فتنة بجميع المقاييس . (1)

و يواصل الخطاب الإسلامي تكيّفه مع الأحداث في الجزائر ، وبعد انقضاء عقد من الزمن عاشت فيه جزائر الاستقلال أحلك أيّامها ، توصّلت السلطة الجزائرية إلى صيغة مصالحة انتهت بحقن دماء المواطنين ، (2) و هي المرحلة التي لعب فيها الخطاب الديني دورا

---

(1) أحميدة عيّاشي ، مرجع سابق ، ص ص (305 – 323)

(2) عرفت هذه الصيغة بسياسة الوئام المدني الذي رأى فيه السيد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الحلّ الأمثل لأزمة طال أمدها ، و تكبّدت خلالها الجزائر خسائر جسيمة على المستويين البشري و الاقتصادي ، و لعل أبرز دليل على نجاحها تطوّرها إلى مصالحة وطنية شاملة بفضل إعادة انتخاب السيّد بوتفليقة لعهدة ثانية ، و بدعم شعبي غير مسبوق .

مميّزا بتبنّيه منهجا معقلنا و رشيدا ، وتغليبه منطق الحكمة و الموعظة الحسنة ، و استعانته ببعض أهل العلم المرموقين من داخل و خارج الوطن و إلغاء مظاهر الإقصاء التي ميّزته من قبل ؛ و لقد ساعد وصول بعض الأكاديميين إلى هرم المسؤولية بوزارة الشؤون الدينية ، على اتباع منهج دعوي سليم من وجهة النظر الشرعية ، فأصبح هذا الخطاب أوسع إقناعا ، و أكثر إجماعا ، ممّا جفّف بعض منابع العنف و التعصّب ، و خفّف من وطأة الصّراع على المستويين الفكري و الاجتماعي على الأقلّ في التجمّعات السكّانية الأكثر اكتظاظا . (1) و إذ نقول هذا الكلام ، فإنّنا لا ننفي وجود أخطاء ما زالت تسجّل في هذا الخطاب الذي ما يزال محتاجا إلى الكثير من المراجعة و التنقيح و التجديد ؛ و الاستجابة لمتطلّبات المرحلة الراهنة ، و تحدّيات المستقبل القادمة .

كانت هذه بعض ملامح الخطاب الإسلامي الجزائري ، و هو يمرّ بتطوّرات تاريخية و مرحلية جعلته يتغيّر باستمرار ، فيتّبع الأحداث و الوقائع تارة ، و يبقى على هامشها تارة أخرى ؛ و يلتزم المقاييس الأدبية ، المنهجية ، و العلمية في بعض محطّاته ، و يحيد عنها في محطّات أخرى .

---

(1) عبد المالك رمضاني ، مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية و الانفعالات الحماسية ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الرابعة 2001 ، ص ص (125 – 127)

الفصل الأول :

(النظري)

المستوى الفكري لظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي

محتويات الفصل الأول (النظري) :

المستوى الفكري لظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي

* تمهيد

1 - 1 - المبحث الأول : **نشأة خطاب العنف**

1-1-1- المطلب الأول : **الجذور التاريخية وأنثروبولوجية العنف الديني .**

1-1-2- المطلب الثاني : **علاقة العنف بالصراع بين تياري العلمنة والأصالة .**

1-1-3- المطلب الثالث : **التطرف من التعصب إلى العنف .**

1 -2- المبحث الثاني : **مسارات الانحراف في الخطاب الإسلامي الجزائري**

1-2-1- المطلب الأول : **أسباب وعوامل الانزلاق نحو العنف .**

1-2-2- المطلب الثاني : **الخطاب الإسلامي وانحراف الممارسة الطقوسية بالجزائر.**

1-2-3- المطلب الثالث : **وظيفة الصراع الفكري والمذهبي في انحرافات الخطاب الديني الجزائري.**

1 -3- المبحث الثالث : **المستوى الأخلاقي وذرائع ممارسة العنف**

1-3-1- المطلب الأول : **المشكلة الأخلاقية في اختلاف الخطاب الإسلامي .**

1-3-2- المطلب الثاني : **ذرائع وشبهات ممارسة العنف في الخطاب الإسلامي .**

1-3-3- المطلب الثالث : **وظيفة الإقناع وواقع الإقناع في تخليق الخطاب الإسلامي.**

* خلاصة

- تمهيد :

بعدما عرّجنا على أهمّ المحطّات التي مرّ بها الخطاب الإسلامي في الجزائر، سنحاول في هذا الفصل إبراز مختلف المعالم الآنية المميّزة لهذا النوع من الخطاب، وكذا مسارات الانحراف ، أو لنقل الإنزلاقات التي باتت تشكّل حجر الزاوية في الانتقادات الداخلية و الخارجية الموجّهة لهذا الخطاب ، و المعتمدة أساسا على معطيات فكرية مثّلها التعصّب كرؤية أحادية ، و حالة متزمّتة و موقف متشدّد ؛ لا تمتّ كلّها بالصلة للنظرة الشرعية المتسامحة التي تكاد تكون مغيّبة حاليا ، بفعل السيطرة المتزايدة للتيارات الإيديولوجية و السياسية ذات الأهداف المشبوهة . والخطوات غير المحسوبة ، البعيدة عن الواقعية و العقلانية ، و التي لا تعكس الصورة الحقيقية للخطاب الإسلامي الأصيل ، الذي يملك كلّ مقوّمات القوة و الإقناع من الناحية النظرية ؛ لكن الخلل يقع على مستوى التطبيقات العشوائية لبعض الخطباء و المحسوبين على هذا الخطاب ، رغم بعدهم عن منهجه القويم ، و حيادهم عنه فما هي مجالات الانحراف عند هؤلاء ؟ و ما هي أهمّ أسبابه ودوافعه ؟ ثمّ كيف يمكننا تحديد مظاهر و معالم الإنزلاقات الحاصلة على المستوى الفكري لهذا الخطاب في الوقت الراهن ؟

1 - 1- المبحث الأول : نشأة خطاب العنف

لقد رسمت ظاهرة " الخوارج " البدايات الأولى للعنف في التاريخ الإسلامي ، حيث كانت وراء مقتل الخليفة عثمان بن عفّان _ رضي الله عنه _ ، و تكفير المسلمين ، و استباحة دمائهم بأشكال يتعذّر وصفها لفظاعتها ، و في ذلك نكتة تاريخية تروى عن أحد التابعين الكبار وهو واصل بن عطاء ، الذي وقع في أيدي طائفة من الخوارج ، فتظاهر بالشرك حتّى يتمكّن من النجاة و يتفادى بطشهم ، فطلب منهم حمايته باعتباره مشركا و هو يتلو عليهم قوله تعالى : " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ " (التوبة : 6) ، فقالوا : قد أجرناك ، فأكمل الآية : "... فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ " (التوبة : 6) ، فأمّنوا له الطريق و الحماية حتّى وصلوا به إلى أهله ، و لو أنّه صارحهم بإسلامه لقتلوه على الفور ، فما أغرب هؤلاء القوم ! (1)

1 - 1 - 1- المطلب الأول : الجذور التاريخية و أنثروبولوجية العنف الديني

إنّ مثل هذه الأفكار الهدّامة التي اندفع إليها هؤلاء بكلّ حماس و تأييد بلغ حدود التضحية و الموت في سبيلها ، لم يكن بوسع جمهور العلماء و الفقهاء تزكيتها ، بل _ على العكس من ذلك _ اتّفقوا على أنّها انحراف و شطط ، و خروج على أولياء الأمور و إجماع الأمّة . و لعلّ بعضهم أرجع ذلك إلى فجوة فظيعة في الجانب التربوي هي التي أفرزت تلك السلوكيات الشاذّة ، و التي لفتت انتباه نخبة كبيرة من المفكّرين الذين أجمعوا على أنّ التديّن لا بدّ أن يرافقه قدر لا بأس به من الوعي ، و إلاّ انقلب إلى تعصّب و انحراف .

" فعندما نسمع عن بعض الجماعات التي تسمّى (جماعة الهجرة و التكفير) ، فهي

(1) خالص الحلبي ، سيكولوجية العنف و استراتيجية الحلّ السلمي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1998 ، ص 29

ليست بدعا في التاريخ ، و جماعة (الخوارج) كانوا هم الفئة الأولى التي دشّنت التجربة التاريخية الأولى لهذا التوجّه ؛ و قد كانت حركة مسلّحة قويّة إلى أبعد الحدود حيث كان اصطدامها بحكومة بني أميّة اصطداما مروّعا جعل الدولة الأموية تتزف حتّى الموت . إلاّ أنّ الذين وقعت بيدهم التفاحة الأموية الناضجة ، لم يكونوا الخوارج قطعا ، بل العبّاسيون المحنّكون الذين أثبتوا أنّهم أقسى و أرهب من بني أميّة مرّات و مرّات ، بحيث أنّ مسلسل الصراع مع الخوارج استمر ردحا من الزمن بعد ذلك ؛ و كانت نهاية الفكر الخارجي الانقراض ، لينزوي في أطراف نائية من العالم الإسلامي ، كما هو الحال في بقاياهم بالصحراء الجزائرية ؛ إلاّ أنّ الفكر الخارجي قام من القبر مجدّدا ، لتتبنّاه جماعات الإسلام السياسي من جديد ، إذن فليسترح و ليهنأ الخوارج الممدّدة عظامهم في القبور ، فلقد تمّ تبنّي آرائهم من جديد ؛ لذا أقرّر أنّ (الفكر الخارجي) هو المنتشر اليوم بين جماعات العمل السياسي الإسلامي المسلّح ". (1)

إنّ هذه الكارثة التي حلّت بالعالم الإسلامي اليوم ترجع بالأساس إلى قصور بشري متعدّد الأوجه ، فلقد كان الحفاظ على المجتمع الإسلامي الذي بناه و أسّس قواعده الرسول _ صلّى الله عليه و سلّم _ أمر في غاية الصعوبة ، و لذلك كان يقول لصحابته : " ***لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض*** " (رواه البخاري) . (2)

و قد وقف الصحابة _ كما هو معروف _ في زمن الفتنة ثلاثة مواقف ، " منهم من رفع السيف في وجه الحاكم الذي يراه من وجهة نظره ، أنّه منحرف ! ! حتّى لو كان في نموذج رحمة عثمان و عدل عليّ (رضي الله عنهما) ؛ و قسم اعتزل الفتنة ، و لم يشارك فيها ، بل انسحب من الميدان كلّه ، من أمثال عبد الله بن عمر _ رضي الله عنه _ مثلا ، و بذلك ترك

---

(1) خالص الجلبي ، المرجع السابق ، ص ص (32-33)

(2) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ، دار القلم بيروت لبنان 1987 ، حديث رقم 118

المجال لقوى العنف أن تتمادى في انتشارها ، و تنساح في المجتمع ، و قسم ثالث لم يكن ذا وزن في الأحداث ، حيث اعترض على عثمان _ رضي الله عنه _ ، و هو أبو ذر الغفاري _ رضي الله عنه _ فلم يحمل السلاح ، و لم يسكت فنفاه عثمان _ رضي الله عنه _ ، كما هو معروف تاريخيا " . (1)

و لعلّ ما يمكن الاستفادة منه هنا أيضا هو أنّ استبداد الحاكم أو انحرافه لا يعتبر مبرّرا للخروج عليه ، و ركوب موجة الفتنة بما يضرّ بوحدة الأمّة و أمنها و أمانها ؛ و إن كانت أحوال الناس على مرّ الأزمان تنطق بمقولة : من ليس معي فهو ضدّي ، و لا تزكّي طرفا إلاّ بعد إدانة الطرف الآخر ، إلاّ أنّنا في الوقت ذاته ، لا ننفي ضرورة مقارعة الحجّة بالحجّة ، و الفكرة بالفكرة ، وانتهاج وسائل الإقناع المتاحة دون اللّجوء إلى المحاكمات و التهديدات ، و الإكراهات التي قد لا تؤدّي إلاّ إلى نتائج عكسية ظهرت بعض صورها في مصر و الجزائر بقتل بعض رجالات الفكر و الثقافة ممّن لا ناقة لهم ولا جمل في مدار الصراع هناك.

و قد تصدق مثل تلك المقولات الإقصائية في المجتمعات التي تفتقد إلى حرية التعبير و الحوار الجادّ كلغة للتعامل ، فتحلّ مكانها لغة " العنف " التي أصبحت ديدن الاتجاهات المتطرّفة في إلغاء الآخر المعارض أو المخالف ، بل و التفكير السلبي في كل ما له علاقة به كالخشية المرضية و الهوس بفرضيات المؤامرة المضادّة ؛ ممّا دفع بالعديد من الاتجاهات الفكرية المتطرّفة إلى اللّجوء إلى إجراءات استباقية و حروب وقائية كما هو حال الصقور في البيت الأبيض الأمريكي اليوم ، فقط لأنّها تشكّ في نوايا الآخرين المعارضين . (2)

أمّا الرؤية الأنثروبولوجية لظاهرة العنف الديني فتمثّل فرصة لتوضيح رؤية مختلفة

---

(1) خالص الحلبي ، مرجع سابق ، ص 35

(2) فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ، ترجمة د. فؤاد شاهين و آخرين ، طباعة مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1993 ، ص 60

للعالم بغية فهم المبرّرات الأخلاقية لكلّ جماعة بشرية ، فميشال فولكو (Michel Foulcaut) يتحدّث عن نموذج في التفكير يأخذ بعين الاعتبار سلطة العالم الآخر و تأثيراتها الاجتماعية و السياسية بينما يتحدّث " بيار بورديو " (Pierre Bordieu) عن المظهرية (Habitus) ، حيث يعتقد بتفاعلية العناصر الاجتماعية التي تشكّل القوة الإدراكية المحفّزة (La force cognitive et motivante) ؛ في حين يذهب " كليفورد غيرتز " (Clifford Geertz) إلى اعتبار العنف متولّدا عن أنماط التفكير و ما ينسب إليها من اتّجاهات فكرية تتبنّى الإيديولوجيا العلمانية أكثر من اعتمادها النصوص الدينية . (1)

فالمقاربة الأنثروبولوجية الثقافية تسمح بتحليل مقارن للعنف الديني (analyse comparative de la violence religieuse) انطلاقا من ممارسات القوط في أسبانيا إبّان القرن السادس عشر الميلادي ، و وصولا إلى أحدث صورة للعنف متمثّلا في الاعتداء على مركز التجارة العالمي و المنسوب إلى الجماعات الإسلامية ، و التي تمكّن من فهم منطقية الفكر و الفعل في العلاقة التي تربط العنف بالدين ، فقد كان " إميل دوركايم " و " مارسال ملوس " (Emil e Durkheim et Marcel Mauss) يتساءلان من وجهة نظر تاريخية أثبتت انتشار العنف تحت غطاء الدين ، كيف بحث هذا الأخير عن العنف ، و كيف حمل العنف لواءه ؟ ثمّ لماذا هذا القبول بهذا التوكيل السماوي ؟ (Mandat divin) ؛ في السنوات الأخيرة صارت هذه التساؤلات ملحّة و مستعجلة ، فالعنف الديني قد دخل معترك ما يسمّى برياح التغيير السياسي ، و صورة الدين أصبحت ماثلة في الحرب الكونية (Guerre cosmique) من خلال التيارات السياسية التي تبنّت التوجّهات الدينية فظاهرة الوطنية الدينية (Nationalisme religieux) لم تعد تخفى على أحد ، فقد أقحم الدين بإجحاف كبير في الصراعات الإيديولوجية كما هو حال الحركة الصهيونية في إسرائيل التي تقف وراء اغتيال " إسحاق رابين " ، و الجماعات المسيحية لسنوات الستّينات في الولايات المتّحدة

(1) Constantin Von Barloewen . Anthropologie de la mondialisation . Editions des Syrtes . Paris 2003 . P 406

الأمريكية من واضعي القنابل ، و لا ننسى ضحايا ذلك العمل من أطفال فلسطينيين و شرطة جزائريين ، أو الجماعات البروتستنتية و الكاثوليكية في أيرلندا الشمالية . (1)

فالعنف الديني لا يسعى إلى هدف استراتيجي (Objectif stratégique) فحسب بل إلى هدف رمزي (Objectif symbolique) أو لنقل سلطة رمزية (Pouvoir symbolique) ، فالعنف يلعب دورا فاعلا في المخيال الديني و الحرب العادلة (La guerre juste) كمصطلح جديد يتردّد على مسامعنا مرارا أصدق تعبير على أنّ الحرب الكونية هي أيضا حرب مقدّسة و الخسارة فيها غير مبرّرة ، و غير مقبولة ، فالعالم يتّجه أكثر نحو الصراع ، فأبسط تهديد أو استفزاز يفرض مشروعية استخدام العنف ؛ إذن فعولمة العنف تتجسّد في حماية الأفكار و الهويات الدينية . (2) بل إنّ صقور البيت الأبيض الأمريكي من الإنجيليين المتطرّفين _ كما سبقت الإشارة إليه _ أعطوا لأنفسهم من هذا المنطلق الحقّ في تشريع ما يسمّى الحرب الإستباقية أو الوقائية على أساس ديني مسيحي متطرّف يدعم إسرائيل في تحقيق حلم أرض الميعاد لاعتقادهم المزعوم بارتباط ذلك بنزول المسيح _ عليه السلام _ و لا غرابة في ذلك فقد كانت الدول الأوربية في العصور الوسطى تستمدّ سلطتها من النصوص الدينية . (3) ففي الإنجيل يعتبر الأنبياء أنّ العنف يسبّب سقوط المماليك و الملوك معا ، لأنّ هؤلاء يمارسون العنف على الرعية من خلال ممارساتهم التجارية و إقحام الرعايا في الصراعات المادية ، و يعبّر عن ذلك النبيّ الإنجيلي " إزيكيال " (Prophète Ezéchiel) بقوله : " من أجل تنمية تجارتك ملأت نفسك عنفا " و هو ينتقد الملك (Tyr) على مرأى منه و مسمع و يؤكد في السياق ذاته أنّ العنف ليس له هوية إثنية معيّنة (La violence vient de toute chair) . (4)

---

(1) O P . p p (405 - 409)

(2) O P . p p (406 - 408)

(3) Yves Cattin . l'Anthropologie politique de Thomas d'Aquin . Edition l'Harmattan . Paris 2001 . p 205

(4) Jean – Luis SKA . l'argile . la dance et le jardin . Essais d'anthropologie biblique . traduit de l'Italien par Bernadette Escaffre . Edition Lumen Viae . Bruxelles Belgique 2002 . p 18 .

و في قراءة حديثة للظاهرة الدينية السياسية ، نلاحظ في السياق العام للعنف السياسي أنّ أناسا عاديين استثمروا في الخطاب الديني لخدمة طموحاتهم السياسية و صياغة نظام اجتماعي فريد من نوعه أساسه ممارسة العنف ضدّ الآخر و إقصاؤه سياسيا لأنّه لا ينتمي لنفس النسق الديني . (1)

" ترتبط العولمة الدينية بأشكال الهيمنة الثقافية في جانبها اللّغوي خاصة ، فقبل الاستعمار الأجنبي لإفريقيا ، كانت اللّغة العربية التي تحمل في طيّاتها العقيدة الإسلامية تكتسح أقطارا و شعوبا كثيرة من إفريقيا في مواجهة اللّهجات المحلّية قبل أن تتمكّن الثقافة المسيحية الغربية من غزوها " (2) ؛ و لعلّ أبرز صراع تولّد عن هذين المنبعين العقديين و اللّغويين ما حدث في إثيوبيا من تناحر بين القبائل و المناطق على أساس الدين كما هو الحال في الحرب على إريتريا و الانفصاليين في جنوب السودان بقيادة " جون غارانغ " و في دارفور غربا من خلال ممارسات مليشيا الجانجويد .

لنقل أنّ مشكلة العنف هي في الخلفية الفكرية قبل كلّ شيء ، و الصراع الفكري هو مبدأ أيّ صراع آخر ، و قد حملت آراء " فيليب برونو " (P. Bruno) إشارة واضحة إلى الضغط و الإكراه الذي يسلّط على بعض الجماعات و الأفراد من أجل تقبّل أفكار لم يكونوا مؤمنين أو مقتنعين بها قبل ذلك ؛ (3) فحرية الفكر من الحقوق الإنسانية التي ضمنتها كلّ الشرائع ، بل إنّ الإسلام كان الديانة الوحيدة في تاريخ العصور الوسطى الذي سمح للمخالف بالبقاء مع الاحتفاظ بدينه و حرية عقيدته ، و قد جاء في قوله تعالى : "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" (البقرة : 256) ، بل إنّه ضمن لهذه الحرية حماية من الفتنة إلى درجة استخدام القوة فقال

(1) Abel Kouvouama . Modernité Africaine . les figures du politique et du religieux . Editions Paari Paris 2001 . p p (110-111)

(2) Jean – Loup Amselle . Branchements . Anthropologie de l'universalité des cultures Editions Flammarion. France 2001 . p p (62-63)

(3) فيليب برونو و آخرون ، المجتمع و العنف ، ترجمة إلياس شحرور ، منشورات الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق سوريا 1975 ، ص 151

تعالى : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ " (البقرة : 193) ، فالإسلام جاهد من أجل أن يسمح للطرف الآخر بالبقاء ، بل المحافظة عليه ، حتّى لو كان مخالفا ، و هذا لعمري مفهوم غير مسبوق في تاريخ الفكر الإنساني برمّته ، و صورة للتسامح الديني لم يكن ليرسمها دين آخر على الإطلاق ؛ فها هو عليّ _ رضي الله عنه _ يكفّره الخوارج و يتآمرون على قتله و يستبيحون دمه ، و مع ذلك حين سئل عنهم قال : "هم ليسوا كفّارا ، بل من الكفر فرّوا " ، و لم يعتبرهم منافقين ، لأنّ المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلا ، أمّا الخوارج فقد اشتهروا بكثرة عبادتهم و شدّة ذكرهم ؛ فالسرّ في جاذبية الإسلام هي روح العدل التي تطبعه حتّى مع المخالف قال تعالى : " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى " (المائدة : 9) ، فما تراه اليوم من بروز لهذا التوجّه المنحرف ، و الصراع العنيف إنّما هو نوع من الترويج لمذهب الخوارج من جديد كما يرى الفيلسوف المغربي محمّد عابد الجابري .(1)

فالسباحة في مستنقع العنف أصبحت الرياضة التي تمارسها جهات عديدة _مع الأسف_ وبشكل أكثر توسّعا في أيّامنا هذه ، و لعلّ منطلقاتها الفكرية تبدأ أساسا من تزكية الذات و إدانة الآخر ، و سماع كلّ الأصوات التي تخدم هذا الاتجاه و صمّ الآذان عن كلّ رأي مخالف و وصفه بالفتّان. و إذا كان الصراع الإيديولوجي هو المحضن الطبيعي لظاهرة العنف فهل يعدّ التناقض بين تياري العلمنة و الأصالة في العالم العربي ضمن هذا الصراع ؟ ...هذا ما سنعرض له في المطلب الموالي.

(1) محمّد عابد الجابري ، العنف و التكييف الإيديولوجي (مثال خوارج الأمس و خوارج اليوم) انظر موقعه على شبكة الانترنيت بعنوان : www.aljabriabed.com

1- 1- 2- المطلب الثاني : علاقة العنف بالصراع بين تياري العلمنة و الأصالة

لقد أدّى انبهار بعض المثقفين من العرب و المسلمين بفكر الحداثة و العلمنة إلى استبعاد و استعداء بعض عناصر الهوية من حيث كون العلمانية تعيد إنتاج الواقع الذي تنتقده ، فهي لم تستوعب حقيقة الأزمة التي تعصف بالمجتمعات العربية و الإسلامية ، حيث خلقت مشكلة جديدة تمثّلت في تبنّي موقف سلبي من الدين ، و نهجها كلّ أساليب الإقصاء تجاه الفكر الذي يتبنّى الدين ، بل و رفضها الاعتراف بالمشروعية العقلية و حتّى التاريخية للفكر و الوعي الدينيين جملة و تفصيلا ؛ فأصبح المثقفون الذين تبنّوا هذا الفكر يصوّرون أنفسهم من حيث لا يشعرون أعداء لهويّة الأمّة و دينها ، و ساهموا بشكل مريع في تعكير أجواء العلاقة بين الدولة و المجتمع . (1)

فخطاب العلمنة (أو بالأحرى من انتسبوا إليها من مفكّرين) لم يعدو كونه خطابا تصنيفيا موغلا في التطرّف ضدّ كلّ ما له علاقة بالدين ، أو لنقل أنّه أدّى إلى المزيد من التحريض والتجييش و مضاعفة مشاعر العداء تجاه الآخر. و يعيب هذا الاتجاه على الخطاب الإسلامي ما يسمّيه القراءة التراجعية للنّصوص ، و الاستبداد الفكري حسب المنظومة الفكرية اللاّهوتية في تصنيفات " جورج غوروفيتش " (2) الذي يفرض إلغاء دور المثقف في بناء الواقع الاجتماعي، و لعلّها صورة نقدية غير سليمة ؛ فمواكبة تطوّرات العصر و ما يرتبط بها من فكر جديد و جهد جهيد لا يمكن أن تكون منغلقة تماما على الفكر الديني ، فالهاجس النقدي تجاه الخطاب الإسلامي لم يكن بحثا عن معرفة أو تطلّعا للوصول إلى الحقيقة في إطار فعل حضاري راق ؛ و لكنّه كان هاجسا إيديولوجيا مغلقا لا يرى أبعد من أرنبة أنفه ، و لم

---

(1) برهان غليون ، نقد السياسة ، الدولة و الدين ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1991 ، ص 19

(2) جورج غوروفيتش ، الأطر الاجتماعية للمعرفة ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1981 ، ص ص (182-189)

يتفتّح بالشكل الذي يتيح له الاستفادة من آفاق العلوم الحديثة و النظريات المتطوّرة ، بل إنّه لا يكاد يتميّز عن الذين ينتقدهم بتبنّيه المقولة الشهيرة : (من ليس معي فهو ضدّي) ؛ ثمّ إنّ التعبئة الفكرية للساحة ضدّ التيارات الدينية ، أو ضدّ من يدافع عنها ، بل _ و في بعض الأحايين _ ضدّ من يسمح لهذه التيارات بالتعبير عن آرائه ، و التبشير بأفكاره ، لا يصبّ كلّ ذلك في مصلحة ديمقراطية الفكر التي ينادون بها ، ثمّ إنّ إلغاء الرأي الآخر المختلف إلى درجة من التطرّف المقيت جعلهم يضعون العقبات أمام اندماج العرب و المسلمين في المجتمع الدولي (أو مجتمع العولمة) بدعوى أنّهم لا يملكون مقوّمات هذا الاندماج (1) ، بسبب طبيعة تديّنهم ، و أنّهم إذا ما أرادوا ذلك ، فما عليهم إلاّ أن يهجروا كتب الفقهاء (الدينيين) و إلى الأبد .

إنّ هذا النمط من التفكير لا يعدّ فقط مناقضا للثقافة الأكاديمية الداعية إلى التعددية و التراكم المعرفي ، بل إنّه تطرّف و إرهاب فكري لا يكاد يختلف عن أولئك الذين يوجّه سهامه إليهم من الأصوليين الإسلاميين (على حدّ تعبيره) ، فالتصنيف و الإلغاء و الإقصاء كلّها أعراض مرضية في تشخيص التطرّف و العنف الفكري ؛ فالأصولية ليست دينية فحسب لأنّ الاستخدام القمعي للأصول و تأويلها بما يمنع حقّ الاختلاف و الاجتهاد في الفهم ، لن يؤدّي إلاّ إلى استخدام الأصل كأداة للتسلّط كما هو حال القومية البعثية و الناصرية و الماركسية (2) ؛ فليست المعضلة إذن في أسلمة المجتمع أو في علمانيته ، بل في التسليم بوجود إسلاميين متسامحين ، و علمانيين معتدلين و واقعيين ، فالأصولية كما هو واضح هنا ثنائية القطب .

يتّجه الصراع بين تياري العلمنة و الأصالة في الفكر العربي عموما إلى اقتلاع القواعد

(1) برهان غليون ، اغتيال العقل ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 1990 ، ص ص (189-191)

(2) جابر العصفور ، أنوار العقل ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1996 ، ص 138

الثابتة ، و الانقلاب على عناصر تشكيل الهوية باسم التجديد ، و إلغاء كلّ التجارب و المراحل التاريخية ، و البدء من جديد ، بدلا من محاولة تأسيس المعارف الحديثة على ضوء التجارب الأخرى ، في سياق التراكم المعرفي و التاريخي ، و بما يخدم مشروع النهضة المراد التأسيس له و بنظرة تكاملية بين الحداثة و الأصالة باعتبارهما عنصرين لا غنى عنهما في صياغة واقع الأمّة ، و بناء حاضرها ، و صناعة مستقبلها ؛ لكن العكس هو الحاصل ، فمن جهة تطرّف الحاملين للدعوة الدينية باعتبارها إحدى ثوابت الأمّة ، ومن جهة أخرى التحامل على الدين و الانقلاب على التراث باعتباره إرثا طائفيا و عشائريا معيبا ؛ و هذا في اعتقادنا صراع فكري و حالة من الإرباك و الاضطراب الاجتماعي بجميع المقاييس اختلقه التيار التحديثي ، فأثار حفيظة ما يقابله من تيارات محافظة قومية و دينية ، في أولى حلقات العنف لأنّ " العقائد لا تولّد العنف ، و لكنّ الاندفاع نحو العنف ، و الإخفاق في حلّ التناقضات الاجتماعية و السياسية بالطرق السلمية هما اللّذان يدفعان الناس إلى تأويل عقائدهم تأويلات عنيفة " (1)

إنّ الشعور بامتلاك الحقيقة المطلقة و الكمال النظري هو شعور لا ينبع من الدين بدليل قوله تعالى : "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (سبأ : 24) ، فهي دعوة قرآنية للبحث عن الحقيقة بفتح طريق الحوار مع الآخر المختلف فكريا و حتّى عقائديا ؛ و الشعور بالعصمة الفكرية يعكس مدى الانغلاق في التعاطي مع الوقائع ، و الإخفاق في التوفيق بين الثوابت الفكرية الأصيلة و الأفكار المستوردة الدخيلة ؛ ففي الوقت الذي يكثر فيه التغنّي بالحوار والتعدّدية وحرية الفكر تخلو ساحة الممارسة من كلّ تلك الشعارات التي تقوقعت في سياقها النظري ، بينما تبقى التهم المتبادلة بالخيانة و الرجعية تطبيقا يوميا لكلّ الاتجاهات الفكرية المتصارعة ، بل إنّك قد تجد من بعض الاتجاهات الموصوفة بالتزمّت إيمانا و التزاما أكبر بحرية الآخر و احترام رأيه، وأكثر تقبّلا للتعدّدية و حقّ الاختلاف ، لكنّه في الوقت ذاته لا ينجو من الحكم عليه بغير ذلك قبل سماع رأيه و مناقشة فكرته ، و لعلّ ذلك يرجع إلى التيار

(1) برهان غليون ، حوارات من عصر الحرب الأهلية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، (دون تاريخ) ، ص 42

التحديثي الذي يعتقد أنّه دائم التفوّق و أنّه المالك الشرعي للحقيقة المطلقة ، حتّى في غياب دليل إثباتها ، أو حتّى في وجود هذا الدليل بأيدي الطرف الآخر ؛ فاحتقار الحقيقة و تعمّد إنكارها يمثّل نوعا من الانتحار الذاتي على مستوى الفكر (1) ، و ليس فقط ممارسة العنف في الصراع مع الآخر.

إنّ الربط بين تنامي ظاهرة العنف و الحالة الدينية للمجتمع (بمعنى : كلّما تطرّف الخطاب الإسلامي ظهر العنف) يعتبر ربطا قاسيا من حيث استلهامه من أحداث مصر ، الجزائر ، و أفغانستان ، و تعميمها في قالب شمولي على الواقع الفكري ، ما قد يلغي تماما ما تؤكّد عليه قيم التسامح من نبذ لحالات التطرّف ؛ و لكنّه ربط لا يخلو من الواقعية من حيث كون ظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي مرتبطة بمحاولة استعادة الأصل و التطابق معه ، و التحاكم إلى الماضي بنماذجه و أطيافه _ حسب اتهامات النخب التي تتبنّى الحداثة في شموليتها _ ؛ لكنّ هذا الاستلهام من نظريات العقلانية و الجدلية و القطيعة الإبستمولوجية المعرفية ، و هذا الاستحضار الاعتسافي للتجارب و تقييمها ، و الانطلاق منها في الحكم على الآخر ، يجد خلاله الحداثيون الحرج الكبير في القيام بنفس العملية ، و لكن بالتورّع عن استخدام النصّ الديني الذي يرون فيه نفيا للحاضر ، انطلاقا من مقولتهم الشهيرة : " الإسلام هو ماضي العرب و ليس حاضرهم " (2) ، فلا الماضي يمكن أن يلغى من دائرة التفكير ، ولا العودة إلى الماضي و التراث تلغي الحاضر بما فيه من تطوّرات ، لأنّ هذا الأخير ما هو إلاّ تراكم لتجارب الماضي ، فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال خلع الثوب التاريخي بهذه الطريقة المشينة ، كما لا ينبغي من جهة أخرى أخذ النماذج الفاسدة لبعض التيارات المنحرفة كورقة في محاكمة البقيّة التي قد لا تمتّ لها بالصلة من قريب و لا من بعيد ، فاستحضار القيم و الأصول

(1) محمّد جابر الأنصاري ، تجديد النهضة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1992 ، ص 79

(2) شوقي عبد الحكيم ، علمنة الدولة و عقلنة التراث ، دار العودة بيروت لبنان 1979 ، ص 11

الفكرية هو إثراء للفكر المعاصر و ليس إلغاء له . (1)

إن تحميل تيار الأصالة أوزار التخلف و العنف ، و حالات الاضطراب التي يعيشـــها المجتمع أمر فيه من عدم الإنصاف الشيء الكثير ، فالعنف لم يكن في يوم من الأيام تخصصـــا إسلاميا ،والمسلم ليس عنيفا بطبعه ، و نصوص الإسلام لم تكن يوما مسوغا للعنف ضد الآخر ؛ بل بالعكس كانت تؤصل دوما للعفو و التسامح ، و حق التفكير و التعبير ، فالاختلاف ظاهرة طبيعية تواكب نمو المجتمعات دون استثناء ، كما أن البيئة التي ينشأ فيها الإسلامي المتطرف ، ينشأ إلى جانبه القومي المتطرف ، و العلماني المتطرف (*) ، و كل منهم يستخدم ما لديه من مخزون هجومي لفظي و معنوي ، وحتى مادي ضد الآخر ؛ فيتهم الإسلامي العلماني بـــالكفر والزندقة ، و يتهمه العلماني بالتخلف و الرجعية ، أما العمالة فهي التهمة المتبادلة .

إن بؤس العالم الثالث على المستوى السياسي انعكس على طبقاته الفكرية و نخبه المثقفة بالأزمة و الصراع الفكريين ، ما أدى إلى تطور أشكال العنف و التطرف ، و على مـــن أراد معالجة مثل هذا الموضوع أن يطرح التساؤل المنطقي الآتي : لماذا ينمو التطرف و العنف في هذا المجتمع بالذات ؟ ؛ و الإجابة على هذا التساؤل تتطلب الابتعاد عـــن الحلـــول الجـــاهزة (المعلبة) و المستوردة ، و محاولة فهم الخطاب الذي تنطوي عليه هذه الظاهرة بشكل أكـــثر تعمقا و عقلانية ؛ فالعلاقة بين الملتزمين بالخطاب الديني و ممارسيه و غـــيرهم مـــن فئـــات المجتمع تتشكل إما وفق نظرة متسامحة و معتدلة ، و إما تحت تـــأثير التصنيـــف و الإلغـــاء

---

(1) غازي عناية ، تناقض علمانية فصل الدين عن الدولة مع الواقع الإسلامي ، مقال بمجلة منار الإسلام التي تصدر عن وزارة العدل بدولة الإمارات العربية المتحدة ، السنة 14 ، العدد 4 ، الصادر بتاريخ 20 أكتوبر 1990 ، ص ص (32-33)

(*) يعتبر كاتب ياسين مثالا واضحا على تطرف التيار العلماني بالجزائر ، بمهاجمته و تحقيره المعلن للدين ، فقد كان يصف المؤذنين بالكلاب ، و يصف صوامع المساجد بالصواريخ التي لا تنطلق ، انظر مقالا له بعنوان : " كلاب الدوار " نشر بصحيفة : " الجزائر الأحداث " Algérie Actualité الصادرة بتاريخ 9 أبريل 1967 في عددها 77 ، و قد استكثر عليه الشيخ محمد الغزالي و هو الإسلامي المعتدل دفنه بالجزائر لذلك السبب .

و الإقصاء ، و باستخدام مصطلحات عفا عنها الزمن ، و نعوت استخدمها المسلمون في بداية الدعوة ، فهذا فاسق ، و ذلك طاغوت ، و هذا جاهل ، و ذاك منافق ...؛ فهناك قصور في الخطاب من هذه الجوانب و جب العمل على إعادة النظر فيها نقدا و تطويرا وفق المقاييس الشرعية.

و لعلّ ربط التطرّف الديني الحالي بالغلوّ المعروف فقهيا في التراث الإسلامي (على عهد الخوارج) ، و محاولة فهم ما يعتري علاقة القرابة بينهما _ كما فعل محمّد عابد الجابري _ ، لعمري هو خطوة في الاتّجاه الصحيح ، لأنّ تطابق المثال مع الواقع ، و إلغاء المسافة بينهما كفيل بإزالة الغموض و التناقض الذي يلفّ المسألة من أساسها إلى رأسها (1) ؛ فالتمسّك بالهوية الإسلامية الأصيلة ، و محاولة البحث عن صيغة للتوافق بين قيم التشريع و متطلّبات الواقع حتما سيساعد على إزالة حالة التوتّر و القلق لدى المجتمع المدني ، لأنّ تلك القيم هي التي تحدّد مسارات الأمّة و اتّجاهاتها ؛ و بالمقابل محاولة القفز على الدين ، والتحريض ضدّ قيمه هو المفضي إلى العنف و استخدام القوّة في الصراع ، و هو الذي يجعله شكلا دفاعيا مشروعا من حيث هو غير ذلك ؛ لكنّ قيم التسامح و البحث عن القواسم المشتركة _ كما أشرنا _ و محاولة تفعيل دورها حتّى تصبح سلوكا يوميا ستظلّ في رأينا اختيارا حضاريا راقيا رقيّ حضارتنا الأصيلة.

(1) خليل علي حيدر ، اعتدال أم تطرّف ، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، الطبعة الأولى 1998 ، ص 59

1- 1- 3- المطلب الثالث : التطرّف من التعصّب إلى العنف

" يختلف التديّن عن التطرّف ، فالتديّن يعني الالتزام بأحكام الدين و السير على منهاجه و هو أمر مطلوب و مرغوب فيه ، و محمود عند الله ، و عند الناس ، و يعود بالخير و الفلاح على أصحابه و على المجتمع . و بهذا يكون التديّن ظاهرة إيجابية ، طالما ظلّ في إطار الفهم الصحيح السديد ، و التمسّك الرشيد بالتعاليم الدينية ، و القيم الأخلاقية ، ممّا يستوجب أن يؤيّد و يدعم ، فلا يناهض و لا يطارد . أمّا التطرّف فيعني الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها و سوء الفهم لها ، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلوّ و المنكور في الدين . " (1)

و لقد ورد في القرآن الكريم لفظ " الغلوّ " في الإشارة إلى التطرّف في قوله تعالى : " يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ " (النساء : 171) ، و قوله عزّ و جلّ : " قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ" (المائدة : 77) ، فالتطرّف بهذا المعنى حركة في اتّجاه القاعدة الاجتماعية أو الأخلاقية يتجاوز مداها الحدود التي وصل إليها المجتمع و ارتضاها ، فتتحوّل من مرحلة التطرّف الفكري إلى استعمال العنف ضدّ الآخرين .

" فيرى المتطرّف أنّ هدم المجتمع و مؤسساته هو نوع من التقرّب إلى الله و جهاد في سبيله ، و ذلك بحجّة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، أو لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفرد أو جماعته الدينية أو السياسية أو الفئوية ، فإنّه يخرج من حدود الفكر إلى نطاق الجريمة و يتحوّل إلى إرهابي " (2) ، وتعتبر هذه المرحلة أعلى مراحل العنف و التطرّف

---

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، التطرّف و الإرهاب من منظور علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولى 1997 ، ص 15

(2) المرجع نفسه ، ص 17

الذي يبدأ بالفكر كما سبق ذكره ؛ و لعلّ حرية الفكر التي تعتبر خاصية ديمقراطية تسمح بوجود مثل هذا الفكر باعتبار المتشدّد يقابله المتساهل و المتسامح بجانب الاتّجاه الوسط ، على غرار ما عرفته عصور ازدهار الإسلام من اختلاف في الاجتهاد الفقهي ، دفع ببعض المذاهب إلى التشدّد في المسائل الاجتهادية ، و دفع بأخرى إلى التساهل و التيسير ، و مع ذلك كانوا يردّدون : (رأيي صواب يحتمل الخطأ و رأي غيري خطأ يحتمل الصواب) ؛ و لم يكن هناك تعصّب و صراع يصل حدّ رفع السيف و التكفير ، و لكنّ الوضع اليوم يختلف في ظلّ الأمّية الفكرية التي أصابت هذه الأمّة ، حتّى صار بعض هؤلاء الأمّيين يتولّون الإمامة وخطبة الجمعة في المساجد . (1)

و من مظاهر التطرّف سوء الظنّ بالآخرين بتضخيم سيئاتهم ، و إخفاء حسناتهم ، و لو رجع هؤلاء الناس إلى القرآن و السنّة لوجدوا ما يغرس في المسلم حسن الظنّ بالآخرين ، و ستر عيوبهم إن وجدت ، حيث قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" (الحجرات : 12) ، و من مظاهر التطرّف كذلك الخشونة في المعاملة و الغلظة في الأسلوب ، والفظاظة في الدعوة ، وهي صفات نادرا ما تظهر بين المتعلّمين لأنّ التعليم يجعل الإنسان يتغلّب على معظم ما يلاقيه من اضطرابات نفسية و سلوكية ، حيث " تتّسم الشخصية المتطرّفة على المستوى العقلي بأسلوب مغلق جامد التفكير أو بعدم القدرة على تقبّل أيّة معتقدات تختلف عن معتقداتها أو أفكارها ، أو معتقدات جماعتها ، و عدم القدرة على التأمّل و التفكير و إعمال العقل بطريقة مبدعة. ويميل هذا الشخص دائما إلى النظر إلى معتقده على أنّه صادق صدقا مطلقا و أبديا ، و أنّه مصلح لكلّ زمان و مكان ، و بالتالي لا مجال لمناقشته و لا للبحث عن أدلّة تؤكّده أو تنفيه ، و يميل إلى إدانة كلّ اختلاف معه في الرأي ، أي أنّه دوغماتي. و على المستوى الانفعالي يتّسم المتطرّف بشدّة الانفعال و التطرّف فيه ، فالكراهية مطلقة و عنيفة للمخالف أو للمعارض في الرأي ، و الحبّ الذي يصل حدّ التقديس و الطاعة العمياء لرموز

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المرجع السابق ، ص 18

هذا الرأي. و الغضب يتفجّر عاتيا عند أقلّ استثارة . و على المستوى السلوكي تتّسم هذه الشخصية بالاندفاعية ، و العدوانية ، و الميل إلى العنف " (1)

فالتعصّب و التطرّف المقيت هو الوجه الآخر للعنف ، بل إنّهما وجهان لعملة واحدة ، والوجه الفكري الثقافي هنا هو التعصّب ، في حين الوجه الاجتماعي و السلوكي هو العنف ، فحينما تقمع الآراء و تمارس القوّة التعسّفية في إقصاء الأفكار و التعبيرات ، تنمو حالات العنف التعصّب في المجتمع ، حيث يدخل الجميع في دوّامة العنف و التعصّب بحيث تشمل جميع المجالات الثقافية و الاجتماعية و حتّى السياسية ، لأنّ التعصّب يؤدي إلى العنف واستخدام التعسّف و القوة ضدّ الآخرين ، كما أنّ العنف يتغذّى من التعصّب و الثقافة التي تقف وراءه ، وتمدّه بالمبرّرات و المسوّغات ، فلا بدّ من إرفاق رفضنا للعنف برفضنا لأسبابه وموجباته و لا شكّ أنّ التعصّب بكلّ أشكاله و دوافعه ، من الأسباب المفضية إلى العنف .

" إنّ الشعور المطلق بامتلاك الحقيقة و احتكارها ، يدفع إلى رفض قناعات الآخرين وحقائقهم ، و ممارسة العنف بحقّ من يرفض هذه الحقيقة و عملية احتكارها ، لأنّ هذا الشعور يولّد حالة من التعصّب لقناعات الذات و أفكارها ، لذلك ستبقى دورة العنف و التعصّب مستمرّة ما دمنا نتعامل مع أفهامنا و قناعاتنا البشرية بمنظار شمولي ، بمعنى أنّ ما نفهمه ونقتنع به هو الحقّ و الحقيقة . فهذا التعامل هو الذي يوجد مسوّغات التعصّب ، و مبرّرات استخدام القوّة والعنف في الدفاع عن هذه القناعات ، و في تعامل الآخرين معها " . (2)

والتعصّب بكلّ مفرداته وأشكاله ليس وليد التعدّد الديني أو المذهبي ، و إنّما هو وليد العملية الإدارية و السياسية التي لم تتعامل مع هذه التعدّديات بعقلية حضارية جامعة و إنّما تعاملت معها بعقلية الفرز والتصنيف والتهميش، و الحقيقة أنّ تشرذم البنية الاجتماعية لمجتمع من المجتمعات لا يفترض وجود تمايز مسبق ديني أو عرقي ؛ وإنّما يخلق هو نفسه هذا التمايز

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المرجع السابق ، ص 29

(2) محمّد محفوظ ، " ضدّ العنف و التعصّب " ، مقال مأخوذ من مجلّة التبيان ، العدد 63 الصادر بتاريخ شعبان 1422 الموافق لتشرين الثاني 2001 ، ص 7

داخل الدين الواحد كما حدث في المسيحية الأوربية ، فالتمايز الديني أو العرقي المسبق هو الذي يولّد التفكّك الاجتماعي ويعمل هذا الأخير على بلورة التمايزات و إنعاشها بإعطائها قيما جديدة وأوزانا مختلفة يجعلها مجالا خصبا للصراع و العنف . (1)

إذن يمكن اعتبار ظاهرة العنف نتاجا طبيعيا للثقافة التي تنتجها العقلية المتعصّبة ، التي تختزل الحقّ في ذاتها ، و لا ترى الأمور إلاّ بمنظارها أحادي العدسة ؛ و خطاب التنازع والتغالب هو الذي ينتج سلوكيات العنف على اختلاف أشكالها و مستوياتها ممّا يجعل نشر ثقافة التسامح و نبذ ثقافة التعصّب ومنطقها الأحادي أمرا حتميا و واجبا حضاريا. (2) لأنّ العنف لا يولّد إلاّ عنفا مثله أو أعظم منه ؛ لكنّ آليات مواجهة هذا الموقف تتطلّب إدراك ما يستخدمه المتعصّبون لتبرير عنفهم وتطرّفهم ، لأن المضامين الفكرية هي التي تقف خلف الممارسات العنيفة ؛ و ذلك لأنّها تحوّل الأفكار من أداة للتحرير و الانعتاق إلى آلية للإقصاء و القمع والاستبداد ممّا يعيد إنتاج الأزمة التي حاولت إصلاحها أو حلّها من قبل ؛ فالأفكار حينما يتمّ اختزالها في وعاء ضيّق يتولّد عنها التعصّب و تتحوّل إلى محضن حقيقي لتفريخ العنف بكلّ أشكاله ؛ أمّا على المستوى الاجتماعي ، فعلينا إزالة المبرّرات التي تدفع الناس إلى تبنّي خيارات العنف في العلاقة مع الآخرين بالعمل على تحقيق نسبي للعدالة الاجتماعية لأنّ التفاوت في المستوى الاجتماعي قد يدفع ببعض المتضرّرين من هذه الحالة إلى تبنّي الاتجاهات المتطرّفة والمتعصّبة ؛ أمّا على صعيد الخطاب الإيديولوجي فقد أدّى تحويل بعض مفرداته إلى عقيدة مغلقة ، على شاكلة التعاليم المنزّلة أو المعصومة ؛ ممّا أفضى إلى نوع من الاستعلاء في التعامل مع الآخرين ، وهذا النموذج في التفكير المتعصّب ، هو وليد التعامل المنغلق مع الأفكار والقناعات الذاتية ، ممّا يدفعنا إلى نهج طريقة جديدة في التعامل مع هذه الأفكار تكون

---

(1) برهان غليون ، نظام الطائفية من الدولة إلى القبيلة ، ضباعة المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1990 ، ص 66

(2) السيد محمّد تقي المدرسي ، التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده ، الجزء الخامس ، مطبعة الشهيد طهران إيران الطبعة الأولى 1997 ، ص 369

مؤسّسة على نسبية الاجتهادات البشرية و التسامح و الحوار و الانفتاح . (1) لأنّ حمل الناس على الرأي الواحد يناقض الاجتهاد الذي درج عليه الفقهاء من الأئمّة الأعلام للأمّة قديما وحديثا ، فاعتبروه تعبيرا عن الغنى و الثراء ، بل اعتبروا اختلافاتهم رحمة بالنّاس ؛ كما أنّ إكراه الناس و إلزامهم برأي على حساب آخر يعدّ مناقضا للفكر الديمقراطي الذي ينادي به العالم الحديث اليوم . (2)

ليس ثمّة شكّ أنّ العنف بكلّ أشكاله وأدواته يشكّل ظاهرة خطيرة تصيب المجتمعات البشرية في العمق فتمزّق أواصر العلاقات بينها دون أن يحقّق غايات ممارسيه ، فلم يسجّل التاريخ أنّ العنف و الترويع ، و استخدام أدوات القوّة الغاشمة قد حقّق المطامح والأهداف ؛ وإنّما على العكس من ذلك شكّلت ظاهرة العنف قنوات لنسف المشاريع و الإنجازات و تبديد طاقات المجتمع ؛ (3) بل و تعريض أمنه للخطر الداهم ، كما أنّ الفكر الذي يغذّي هذه الظاهرة هو التعصّب و رفض الاختلاف كحالة طبيعية لا تعدو كونها جزءا من الناموس الكوني.

وإذا كان للعنف جذورا تاريخية عرفنا بعضها ووقفنا على مزالق الصراع بين الأصوليين والعلمانيين ووقوع بعضهم في فخّ التعصّب والتطرّف الذي أوصلهم إلى ممارسة العنف كثقافة وفكر وخطاب ، فإنّنا سنحاول في المبحث الموالي تسليط الضوء على مسارات هذا الانحراف على مستوى الخطاب الديني الجزائري من حيث الطقوسيات الدينية الممارسة وأسباب الانزلاق والشطط والغلط .

---

(1) علي حرب ، الفكر و الحدث ، دار الكنوز بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1997 ، ص116

(2) علي أومليل ، شرعية الاختلاف ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1993 ، ص 10

(3) محمّد محفوظ ، مرجع سابق ، ص ص (03-04)

1- 2- المبحث الثاني: مسارات الانحراف في الخطاب الإسلامي الجزائري

من المؤكّد أنّ هذه الظاهرة لم تنشأ جزافا ، وإنّما هي ذات أسباب و دواعي متعـــدّدة ، فمعرفة الأسباب قد تمكّننا من تحديد نوع العلاج ، فقد يكون السبب عوامل نفسية خالصة تكمن في العقل الباطن أو اللاّشعور ، فما يحدث في الشخصية العنيفة التي تنشأ في ظـــروف غـــير طبيعية ممّا يترتّب عنه عقد نفسية مزمنة ؛ و قد ربط علماء الاجتماع الظاهرة بالتقاليد والقيـــم الثقافية التي تسود في المجتمع ، و الأوضاع الأخلاقية المتردّية و الأحوال الاقتصادية الســـيّئة ودلّلوا على ذلك بعدم وجود هذه الظواهر في الأحياء الراقية ، أو بين أفراد العائلات الغنيـــة ؛ وهذه القياسات الاجتماعية تبقى نسبية إلى حدّ ما . (1)

1- 2- 1- المطلب الأول : أسباب و عوامل الانزلاق نحو العنف

فهناك دوافع و عوامل مختلفة لممارسة العنف ، و لا يمكن بالتالي الاعتماد على عـــامل واحد ، أو عنصر واحد ؛ بل إنّ هناك تداخلا بين القيم و المثل العليا و القناعـــات الفكريـــة ، وبين ما يعيشه المجتمع من ظروف اقتصادية ومعيشية وسياسية ؛ و لكن مع ذلك يمكن حصـــر ثلاث اتجاهات لهذه الأسباب بناء على قاعدة العنف التحرّري في مواجهة العنف القـــاهر؛ (2) أو المقولة الشهيرة (الضغط يولّد الانفجار) ، ولعلّه كذلك مبدأ " الفعل و ردّ الفعـــل " فـــي الفيزياء ، ففي الجانب السياسي هناك الاستبداد كعنوان على عدم وجود مشاركة شعبية فعليـــة في الحكم ، وحرمان هذه القوى الشعبية من التعبير وحرية العمل ، وانتقاد المؤسّسات الشرعية التي توصل صوت الشعب إلى السلطة ، فضلا عن اعتماد الأساليب القهرية في التعـــامل مـــع المواطنين ، وتثبيت حالة اليأس لديهم من أيّ تغيير قد يتمّ بالطرق السلمية في غياب الحـــوار الوطني حول القضايا المصيرية للأمّة ، وهذه العوامل كلّها ، أو جلّها كانت واقعا معاشا فـــي

---

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، مرجع سابق ، ص ص (29-30)

(2) حسن حنفي ، الأصولية الإسلامية ، مكتبة مدبولي القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) ، ص 362

الجزائر بعد الاستقلال ، مع سلطة الحزب الواحد ، وانسداد الأفق السياسي ، وغياب الحرّيات (1) ممّا أضفى جوّا من الكبت السياسي ، ومناخا مناسبا لنشأة ظاهرة العنف .

أمّا الجانب الاقتصادي ، فقد عرف تراجعا خطيرا في القدرة الشرائية ، وبروز التفاوت الطبقي الذي يعني أوّل ما يعني غياب العدالة الاجتماعية التي كانت شعارا طالما تغنّى به النظام الاشتراكي ؛ليصبح العجز واضحا عن تلبية حاجات المواطن الأساسية من عمل وإسكان وعلاج وغيره ؛بعد اختلال التوازن الاقتصادي في البلاد ، وهي الوضعية التي أصبحت ورقة ثمينة في يد خطباء التطرّف السياسي لبثّ روح الفرقة ، والتحريض على العنف بشكل علني كما حدث في خريف 1988 (2) ، و هو ما يفسّر إرجاع الدكتور برهان غليون دوافع ظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي إلى فساد الأنظمة وقمعها للقوى السياسية . (3)

ثمّ إنّ الجانب الاجتماعي حمل ظهورا لافتا للقوى المهمّشة التي تعيش الاغتراب ، وتشعر بالتهميش والإقصاء ، وعدم اكتراث السلطات بمصيرها ، بل وإهمالها إيّاها ، ممّا عجّل باستشراء مظاهر الفساد الأخلاقي ، وانهيار القيم الاجتماعية ؛وبالتالي فقدان المشروع الوطني القومي الإسلامي الذي يحظى بالشرعية و المصداقية شعبيا ، ويحقّق الطموحات ويزرع الأمل في النفوس ، هذه الوضعية حملت البعض إلى استغلالها لتأجيج نار الحقد ضدّ كلّ ما يتعلّق بأمور الدولة و تحميلها مسئولية تفاقم الأزمة ، وبالتالي تنامي خطاب العنف والتطرّف نتيجة الكبت الذي أشرنا إليه و مراحله المتعاقبة المتّصفة بالخطورة خاصّة في جانبها الاجتماعي .

إنّ تلك الأسباب والعوامل كانت من الدوافع والحوافز التي حرّكت عجلة العنف ، وأسرعت من وتيرته بحجّة تحسين الأوضاع أو تغييرها ؛ويرجع الباحثون تنامي خطاب العنف لدى بعض الجماعات الفكرية إلى تصاعد موجة الفكر الثوري الانقلابي الذي وجدت فيه تلك الجماعات ملاذا حقيقيا في ظلّ محاصرتها وقمعها، وعدم إعطائها الحرية في عرض مشاريعها

---

(1) الحميدة عياشي ، مرجع سابق ، ص 190

(2) بريز العبّادي ، العنف السياسي بين الإسلاميين والدولة الحديثة ، أنظر الموقع www. ageeb.com

(3) انظر حوارا للدكتور برهان غليون أجرته معه جريدة الشروق الأسبوعي الجزائرية في عددها الـ1072 وسنتها الرابعة بتاريخ 12 ماي 2004 ، ص 15

بالطرق السلمية وباعتبار التركيبة البشرية لتلك الجماعات التي يطغى عليها عنصر الشباب ؛ حيث كان لغياب العدالة الاجتماعية ، وتفاقم البطالة والتهميش أبلغ الأثر في سيادة اليأس والإحباط لدى هؤلاء الشباب ممّا جعلهم مؤهّلين بامتياز إلى تقبّل ذلك النوع من الخطاب العنيف بل والاقتناع به وتبنّيه كذلك ؛ ولا ننسى _ كما سبقت الإشارة في المبحث السابق _ ارتفاع حدّة الصراع بين التيارات الفكرية في ظلّ النزوع الدائم إلى القوّة و القهر والعنف . (1)

وليس ثمّة شكّ أنّ العلمانية لم تكن مقبولة لدى الشرائح الاجتماعية الواسعة في المجتمع، بل هي في نظر تلك الشرائح إيديولوجية فاسدة جاءت بها نخبة من المتغرّبين ، ولذلك بقيت القطاعات الجماهيرية تنظر إلى العلمانية بوصفها رمزا لمعاداة الدين و الخروج عن شريعته ، مع أنّ النخبة الحاكمة ورجالها غير معادين للدين ، أو ليسوا علمانيين ، بل إنّهم يعمدون في حال الأزمات إلى طلب موقف الشرع و دعم المؤسّسة الدينية لإضفاء الشرعية على ما ينتهجونه من حلول لمشاكل الدولة و المجتمع ؛ إلاّ أنّ ضرب الأسس المعيارية الإسلامية بعرض الحائط أدّى في كثير من الأحايين إلى تمزيق البنية الأخلاقية للمجتمع و جعل التصادم لا مفرّ منه مع بعض رموز التيار المعادي لهذه القيم (2) ؛ و بالرغم من كلّ ذلك ، ورغم تفاقم الأزمة البنيوية الخطيرة التي ظلّت تعصف بشكل متكرّر بالمجتمع الجزائري ، إلاّ أنّه تميّز بقدرة عجيبة على البقاء و الانسجام مع كلّ التغيّرات الحاصلة .

ولعلّ من الأسباب المؤجّجة للظاهرة ، والتي ثبّتها علماء الدين أنفسهم ، تنامي ظاهرة الغلوّ في الدين بسبب قلّة العلم وعدم التخصّص ، أو لنقل هيمنة الأفكار الإيديولوجية للحركات المتطرّفة المستمدّة من مذهب الخوارج و التيارات المنحرفة الأخرى على حساب العلم

---

(1) برهان غليون ، الدولة و الدين نقد السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان (دون تاريخ) ، ص 300 ، و انظر كذلك مقالا للأستاذ تركي علي الربيعو بعنوان " مدخل إلى ظاهرة العنف " مجلّة الوحدة التي تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة السابعة حزيران 1991 ، العدد 81 .

(2) هشام شرابي ، البنية البطركية ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1987 ، ص ص (71 - 72)

الشرعي ؛ وبخاصّة الجهل بفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تحدّده ضوابط شرعية دقيقة يجهلها حتّى بعض القادة و النخب في تلك الحركات ، فما بالك بالأتباع ؛ ومن أمثلة افتقاد أولئك المنظّرين و المفكّرين _ المحسوبين على تلك الحركات _ للعلم الشرعي ما جاء على لسان أحدهم وهو يلقي محاضرة له بفرنسا ، حيث سأله بعض الحضور : أليس الإمام مالك عالما (بالفرنسية طبعا) ! l'Imam Malek , n'est ce pas un Savant ? ، فأجابه بلهجة تهكّمية قائلا : Oui ! Oui ! c'est un Savon ?! un Savon ، وأشار بيديه كالذي يغسلهما ، و الحضور المساكين يضحكون ، أي : أنّه سئل عن كلمة (Savant) التي تعني " عالم " فأجاب بكلمة تتشاكلها في النطق كسجع الكهّان وهي (Savon) التي تعني " صابون " ، رغم أنّ الصابون طاهر في نفسه و مطهّر لغيره و هو أصدق وصف يليق بالعالم . (1) فمثل هذا الاستخفاف يدلّ على الجهل الذي خيّم على عقول بعض المفكّرين من أدعياء العلم ، فقادهم إلى غياهب العنف و ظلمات التطرّف ؛ وليتهم اكتفوا بإيذاء أنفسهم ، بل إنّهم خدّروا عقول غيرهم ، حتّى ما عاد الناس يفرّقون بين الخطاب الإسلامي الصادق ، وبين خطاب الإيديولوجيا و الفتنة.

إنّ تحميل الفكر الإسلامي مسئولية العنف ليس صحيحا _ كما رأينا _ (2) ، فتراكم الأسباب و الأحداث ، والعوامل الاجتماعية والسياسية والتربوية ، واهتراء البُنى الفكرية ؛ كان كلّ ذلك موجّها ، بل ومسوّغا لتشكيل مجال خصب لنموّ الظاهرة واستفحالها ، فلا بدّ من مراجعة جريئة ، واستقراء صريح لتاريخ الأحداث في الجزائر ، حتّى نتمكّن من وضع أيدينا على الجرح ، ونرسم معالم المعالجة السريعة لجذور الانحراف في الخطاب الديني الجزائري الذي يقع كذلك على مستوى الممارسة الطُقوسية ، وما يعتريها من مناقضة للفكر الإسلامي ورسالته و شريعته ، وهو ما سنعرض له في المطلب الموالي .

---

(1) عبد المالك رمضاني ، مرجع سابق ، ص 121 .

(2) فؤاد زكرياء ، الحقيقة و الوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، المطبعة الوطنية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى 1986 ، ص ص (77 ـ 79)

1- 2- 2- المطلب الثاني : الخطاب الإسلامي وانحرافات الممارسة الطقوسية بالجزائر

لقد ظلّ الخطاب الديني في الجزائر ، و عبر المراحل التي مرّ بها متفاعلا مع نمط الحياة الاجتماعية الذي كان سائدا ، ولا يختلف اثنان حول تنوّعه من الناحية الطقوسية تبعا للأصل الاجتماعي الذي ينتمي إليه الخطباء ؛ كما أنّ أنماط الممارسة الطقوسية اختلفت قبل موجة الإصلاح ، (1) التي شنّت هجوما لا هوادة فيه لتصحيح بعض من اعوجاجاتها بقيادة جمعية علماء المسلمين الجزائريين ؛ فقد خفّت حدّة الانحراف _ على الأقلّ _ في المدن والتجمّعات السكّانية التي بلغتها أفكار الجمعية ، أو شخصياتها وتلامذتها . وبقيت بعض المناطق الريفية ترزح تحت نير تلك الممارسات فضلا عن بعض المتمدّنين ذوي الأصول الريفية .

وبعد الاستقلال وتطوّر مستوى التعليم الديني نسبيا ، عادت التناقضات على مستوى الممارسة لتطفو على السطح من جديد ، لتنتج نوعا من الصراع والتنابز بالأوصاف ، وتبادل التهم وإصدار الأحكام ، لتطرح _ بشكل ملحّ _ مسألة الانحراف على مستوى الممارسة الطقوسية وكيف غذّت خطاب العنف ، بل و أعطته مبرّرا شرعيا ؛ فالتعصّب للخطأ بعد معرفة الصواب نوع من الغلوّ المجنون الذي لن يؤدّي إلاّ إلى تصرّف مقابل أكثر طيشا ، في ظلّ هشاشة مستوى التحصيل الديني بالنسبة للمعترضين ، فقد " انتشرت في المدن الجزائرية تبعا للرأي العام ، كلّ أنواع النزعة الطقسية ، بل كذلك النزعة الدينية ، وهكذا يبدو أنّ التغيّرات التي تدخّلت في البلاد منذ الاستقلال الوطني لم تحدّد بأيّ وسيلة كانت " . (2)

فإذا كانت المهمّة الأساس للممارسة الطقوسية قبل الاستقلال ، تكمن في معارضة أهداف المستعمر من الناحية الثقافية الدينية ، فإنّها بعد الاستقلال اختُزلت في المظاهر

---

(1) Charlles ROBERT AGERON . Histoire de l'Algérie Contemporaine (1871 - 1954) . Presses Universitaires de France . Paris 1979 . P 328

(2) نور الدين طوالبي ، الدين و الطقوس و التغيّرات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (بدون تاريخ) ، ص ص (74 _ 75)

الخارجية سواء كانت طقوسا بدعية أو تقليدية ؛ وإذا كانت الطقوس التقليدية الممثّلة في الزواج والختان ، والاحتفالات الدينية وغيرها يغلب عليها الجانب المظهري من مغالاة في المـــهور ، ووضع مقاييس بدعية للاحتفالات الخاصّة بالختان ، الزواج ، والأعياد الأخرى جعلـــت تلـــك الطقوس تخرج عن إطار الوظيفة الدينية الشرعية التي سنّت لأجلها ، فأصبح التباهي بالمظاهر هو الغالب عليها ؛ أمّا الطقوس البدعية فهي على نوعين : طقوس مدنية وأخـــرى ريفيـــة ، فعلى مستوى التسمية هناك احتفالات تقام بالمدن مثـــل (الوعـــدة) و (النشـــرة) بالشـــرق الجزائري ، ومن جهة أخرى نجد (الزردة) في الأرياف الجزائرية ؛ أمّـــا علـــى مســـتوى الممارسة ، فهناك غائية التطهير والشفاء والبركة ، وما إلى ذلك من المظاهر التي تعدّ مناقضـــة تماما للتشريع الإسلامي ، لأنّها انحراف جماعي عن النصّ الديني وعقيدته . فحسب عنـــاصر الاستقصاء الأوّلية من خلال مراجعات الفقهاء ، " يبدو المدينيون (أي : سكان المدينـــة) دون شكّ ، أكثر حرصا على الدين ، إنّما على حساب المتباعدات المحسوسة عن القوانين الشـــرعية وهي متباعدات يعرضها الفقهاء بشكل ثابت على أنّها غير مفهومة . فالتفاخر المواكب للطقوس الدينية مثلا يُجمعون على إدانته باعتباره بدعة Bidaâ أي باعتباره انحرافا يســـتوجب العقـــاب الصارم من وجهة نظر تقليدية إسلامية ." (1)

إنّ الأمر يتعلّق هنا بشيء مكتسب ، فالتباهي لا يكون بتاتًا بأمر شرعي ، والمسألة تكـــاد تكون أكبر حين نعلم أنّ تلك الممارسة تقع في نطاق المحرّم المنتهك على أوسع مدى ؛ بل هي انحراف جماعي تطوّر وفق نزعة دينية معوجّة ، من مزاولة الطقوس البدعية إلـــى امتـــهان السحر على أساس أنّه يدخل في إطار الدين ، وهو ما أثار حفيظة المتخصّصين فـــي الشـــرع الإسلامي ، الذين نعتوا تلك الأعمال بالشرك ، وهو تعبير قرآني يحدّد مخاطر مخالفة عقيـــدة التوحيد فيجعل من الشرك فعلا محرّما ممنوعا وذنبا لا يغفر ، و تطوّرت هذه الحالة الشاذّة

---

(1) نور الدين طوالبي ، المرجع السابق ، ص 75 .

بشكل مريع ، ممّا طرح مسألة غائية هذه الانحرافات الدينية التي تبرز بغرابة تحت الغطاء الديني ؛ فالتباهي بالانتساب إلى (الشرفاء) ، أو إلى النسب الشريف أي : آل بيت الرسول _ صلّى الله عليه وسلّم _ ، سلوك يظهر على كثير من الجزائريين خاصّة في الجنوب أيسن يتواجد الاتّجاه الصوفي (1) ، ويدخل في إطار التنافس التفاخري من أجل الحصول على مرتبة اجتماعية ، أو مكسب مادّي (2) ، وهو في الوقت ذاته مناف للمعاني الروحية للإسلام التي لا مقياس يحكمها غير التقوى . وقد قابل هذا الانحراف ، انتساب بعض الشباب بشكل فخري إلى بعض الحركات الفكرية الدينية ، ممّا جعلهم يقولبون مظاهرهم على شاكلة رموزها ودون تقييد شرعي في أغلب الأحايين ، ويفتخرون بالانتماء إليها والولاء لها بما يعزّز قنوات الاستفزاز بين أطراف الممارسة الدينية الأخرى ، وقد يكون ذلك بالإتيان بحركات مختلفة _ حتّى في عبادة كالصلاة _ في إشارة إلى مذهب يتّبعونه ، أو رأي يؤيّدونه (*) ؛ وهذا يدخل في إطار ردّ الفعل الطبيعي دائما على انحراف الممارسة الطقوسية الدينية من البداية ، ناهيك عمّا يترتّب عن هذا من خطاب يعنّف على هذا و ذاك على منابر المساجد ، وفي حنايا الزوايا ، وتحت قبابها .

إنّ الانحراف على مستوى الممارسة الطُقوسية نحو الاهتمام بمظهرية معيّنة بالنسبة لأتباع الطقس البدعي بالأرياف ، ومن بعض المتريّفين بالمدن ، جعلهم يثيرون تلك المظهرية المعاكسة من النقيض إلى النقيض في وسط التيار الديني الموصوف بالأصولي ، وبالتالي

---

(1) حسين مروة ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، الجزء الثاني ، دار الفارابي بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة 1985 ، ص ص (193-226)

(2) نور الدين طوالبي ، مرجع سابق ، ص 78

(*) ومن ذلك ما حدث في بعض المساجد الجزائرية من جدل نتيجة إصرار بعض الاتجاهات الصوفية على فرض منطقها الطقوسي على باقي المصلّين على غرار صلاة الفاتح لدى الطريقة التيجانية ، و تعمّد بعض الشباب الإطالة في السجود في صلاة الجماعة رغم ما في ذلك من مخالفة للإمام الراتب ، وكذلك مبالغة بعض الأئمّة في الإنكار على الشباب في بعض المسائل الشرعية والفقهية والتي أوصلت بعضهم إلى أروقة المحاكم فقط لأنهم خالفوهم في إحياء بعض السنن مثل جلسة الاستراحة في الصلاة المثبتة بحديث صحيح .

الانتقال من الجهل البسيط إلى المركّب ، وما يقف وراء كلّ ذلك هو الفهم القاصر والضيّق للدّين وقلّة العلم وضعف التمكّن والتحكّم في العلوم الشرعية . (1)

إنّ هذه الممارسات المتناقضة كان وما يزال يوازيها خطاب متناقض لا يخلو من مظاهر العنف الرمزي واللّفظي الذي يتوجّه ضدّ هذا أو ذاك ، حتّى لو افترضنا أنّ هذه الطقوس ليست في نهاية المطاف سوى نتيجة لنقل السلوكيات التقليدية إلى المدن ، وهي _ كما هو معلوم سوسيولوجيا _ تحوّلات تتمّ بواسطة النزوح والهجرة الريفية ، فهي لا تفسّر تماما ظهورها في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر ، حيث يتعمّم القضاء نسبيا على الأميّة ، وتتحقّق إرادة التقدّم على الأقلّ في قطاعات التربية والثقافة والتعليم .

وتعتبر هذه القضيّة ذات صلة وثيقة بإشكالية الموضوع ، وكيفية فهم هذا الشذوذ في أنّه عندما يُظهر بعض الجزائريين انتماءهم في مرحلة معيّنة إلى الإسلام ، من خلال العودة الواضحة إلى التديّن ، يتحوّلون عنه فجأة ، مع الإبقاء على مشاعر معادية للممارسات التقليدية الدينية . وقد يُثبت مثل هذا السلوك الشاذّ على مستوى الممارسة الدينية انحرافا على مستوى الفكر الديني نفسه ، في وقت ميّزه احتدام الصراع المذهبي بين مختلف أطياف المراجع الدينية المزيّفة التي سارعت إلى إحياء نعرات التعصّب باستخدام الجيل الجديد للمتخرّجين من الجامعات الإسلامية ، ومراكز التكوين الشرعي المختلفة ، فضلا عن بعض تلامذة الزوايا الذين أثبتوا قدرة عجيبة على التحكّم في النصّ الديني بحصد الجوائز التقديرية حتّى على المستوى الدّولي ، وفي غياب التحصيل الشرعي الحقيقي للعلوم الدينية ، كيف يمكننا تحديد وظيفة هذا الصراع في الانحرافات المسجّلة على مستوى الخطاب الديني ؟ الأمر الذي سنحاول توضيح بعض حيثياته في المطلب الموالي .

---

(1) أحمد شوقي الفنجري ، التطرّف و الإرهاب _ محنة العالم الإسلامي دينيا وسياسيا واجتماعيا ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، الطبعة الأولى 1993 ، ص ص (119 ــ 121)

1- 2- 3- المطلب الثالث : وظيفة الصراع الفكري والمذهبي في انحرافات الخطاب الديني الجزائري

لقد أصبحت الممارسة الدينية _ على غرار المعرفة الدينية _ محلّ صراع ، وشذّ وجذب ، بين مختلف أطراف التيارات السياسية والفكرية في الجزائر ، منذ بداية القرن الماضي ، ثمّ عاد هذا الصراع من جديد ليرسم نفس معالم المنافسة على احتلال المواقع الدينية واكتساب منابر الخطاب الإسلامي لإضفاء الشرعية المناسبة على باقي جوانب النشاطات ، وأعاد إلى الأذهان سيناريوهات من الجدال والنقاش ، ظنّ الجميع أنّها صارت من إرث الماضي ؛ إلاّ أنّها اتّخذت أشكالا أكثر عمقا و انتشارا . فبعد الهزّات المتوالية التي واكبت الوجود الاستعماري بعد الحرب العالمية الأولى ، تشكّلت خلالها ثلّة من الجمعيات المدنية والنقابات ، لعلّ أهمّها حركة الإصلاح التي قادها بعض الطلبة الوافدين من المشرق (1) ، والحركة الوطنية الممثّلة في جماعة النخبة ونجم شمال إفريقيا ؛ وقد وظّفت هذه التيارات (بشقّيها السياسي والإصلاحي) الخطاب الديني باعتباره الورقة الأكثر شرعية والنبرة المسموح بها من جانب السلطة الاستعمارية ؛ فالحركة الدينية كانت الغطاء التاريخي للممارسات السياسية آنذاك ، باعتبار التداخل الملحوظ بين الفعل السياسي والنشاط الديني الذي كان يظهر جليّا على صفحات الجرائد التي كانت تصدر في ذلك الوقت (2) ؛ وقد بدأ الصراع فكريا في الوهلة الأولى تجاذبته مدرستان : إصلاحية حاولت تصحيح أبعاد الانحراف في الممارسة الطقوسية الدينية ، ومحافظة استمسكت بما كان مألوفا لديها من ممارسات صاحبها التركيز على الجوانب التربوية والتعليمية والمحافظة على مذهب السنّة والجماعة الذي دأبت جماعة الإصلاحيين على تصحيح ما وقع فيه من أخطاء على مستوى البدع والخرافات

---

(1) انظر للاستزادة في موضوع تأثّر الطلبة الجزائريين الذين تلقّوا تعليمهم بالمشرق (مصر والشام والحجاز) بالفكر الإصلاحي : زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1975 ، ص 514 .

(2) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص ص (141 — 143)

والشعوذة .

ورغم استنكار التيارين (المحافظ والإصلاحي) للانحراف في الممارسات الطقوسية ، إلاّ أنّهما اختلفا في الحكم عليها ، فالمحافظون اكتفوا بنعتها بالإثم المكروه ، بينما كان الإصلاحيون يعتبرونها أفعالا شركية . ومع غياب الكفاءة العلمية المطلوبة للفصل في مثل هذه المسائل الشرعية البحتة ، فُتح الباب على مصراعيه للسبّ والشتم والقذف ، الذي أدّى إلى قطيعة يغذّيها الصراع ويعشّيها الابتداع ، إلى أن تمّ التأسيس لجمعية العلماء المسلمين التي حاولت رأب الصدع ، وإصلاح الوضع ، باستبعادها مبدئيا كل مسائل الخلاف ، ومواضيع الصراع والاختلاف بين الطرفين ؛ لكن سرعان ما نشبت جذوتها من جديد ، وربّما زادت حدّتها بعد إقدام بعض شيوخ الجمعية على تشبيه شيوخ الطرق والزوايا باليهود والنصارى في تعنّتهم وانغلاقهم ؛ رغم أنّ أهداف جمعية العلماء المعلنة مسبقا ، كانت تفيد بإصلاح الزوايا لا بإعدامها ؛ وقد جاء الاحتجاج على هذا التصريح _ الذي جعل من نادي الترقّي مسرحا له _ عنيفا ومليئا بالمهاترات والمشاغبات ، بل وبالشتائم أحيانا بين المحافظين والإصلاحيين ، الأمر الذي عجّل بانقسام الجمعية بعد عام _ على الأكثر _ من تأسيسها ؛ (1) حيث أنّ الصراع الفعلي كان يهدف إلى الاستيلاء على الجمعية وقيادتها ، وهي الغنيمة التي حظيت بها جماعة الإصلاح ، ليؤسّس المحافظون ردّا على ذلك جمعية علماء السنّة الجزائريين ، وفق منهج الصراط المستقيم (على حدّ وصف شيوخها) .

ولعلّ هذا الضعف على مستوى التأطير في مسار المدرسة الإصلاحية ، يرجع بالأساس إلى عجزها عن تقدير خطواتها ، وتحديد أولوياتها المرحلية ومنها أهمّية الوحدة الوطنية كضمان للقوّة ضدّ الإمبريالية والاستعمارية (2) ، وليس صرف كافّة الجهود في الصراع

---

(1) خالد محمّد ، مرجع سابق ، ص 58

(2) فادي إسماعيل ، الخطاب العربي : قراءة في مفاهيم النهضة والتقدّم والحداثة ، طباعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية 1991 ، ص 108

والاختلاف . فبالرّغم من مكاسب الإصلاح ، والتعليم السليم ، والتهذيب القويم ، وحفظ العقيدة من الزيغ والتبديل ، والتعريف بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، والابتعاد عن الرذائل والبدع الضالّة ، وإتّباع هدي الكتاب والسنّة ، والمذاهب الأربعة وأصول الفقه ، والتصوّف والتديّن على عقيدة الأشعري ؛ وهي كلّها شعارات أطلقتها جمعية علماء السنّة الجزائريين التي اختارت بدورها أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، وعدم التعرّض للمسائل الخلافية ؛ إلاّ أنّها خالفت كلّ ذلك بتفرّغها لمعارضة جمعية العلماء تفرّغا تامّا ، ويظهر ذلك في وصفها لممارساتها بالابتداع و الأباطيل تارة ، وبالشغب والعبث تارة أخرى ، هذا فضلا عن اتّهامها باللاّمذهبية والإساءة للدّين ، وحتّى بالعمالة للوجود الأجنبي بعد مطالبة جماعة النخبة الاندماج في إطار محدود ، وهو المحافظة على الأحوال الشخصية ، وفصل الدين عن الدولة ؛ حيث أنّ البعد الثقافي الذي كان هو الجامع بين التيارين لم يستطع الصمود أمام تسارع الأحداث السياسية التي كانت تعجّ بالصراعات والخلافات ، على غرار قضيّة الإدماج التي استغلّها نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب في اتّهام المنادين بها بالخيانة وبيع الجزائر بثمن بخس ، وهو الأمر الذي أدّى إلى منع بعض شيوخ الجمعية من إلقاء دروسهم بالجامع الكبير بالجزائر العاصمة ؛ وتحوّلت جمعية علماء السنّة إلى اتّحاد جامعة الزوايا الطرقية التي أماطت اللّثام عن وجهها الحقيقي الذي لا يعرف غير الصراع ومنطقه الإقصائي الذي ألغى كلّ ما كان ينتظر العاملين بالحقل الدعوي من تحدّيات أخلاقية ظاهرة ، كإهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت ضغط الموبقات مثل الربا ، الخمر ، السرقة ، الكذب وأمّهات المفاسد كالجهل والفقر ؛ ولم يكن باستطاعة برامج التربية والتعليم العتيقة أن تفي بالمقصود خاصّة بعدما أهمل أهل الزوايا زواياهم وولّوا وجوههم شطر التجمّعات السياسية ، وجمع المال والنياشين ، لأنّ عباءة الأولياء انقضى عهدها في القرون الوسطى المظلمة ، فلم يكن من سبيل لتحسين الوضع غير النهوض بالتربية وتنظيم العملية التعليمية كما هو معمول به

عند الكاثوليك ، وهو ما اضطلعت به جمعية العلماء مشكورة عليه. (1)

لقد تمّ إقحام الخطاب الديني في قلب الصراع المذهبي ، من خلال البحث عن سند ديني لكلّ موقف يتبنّاه هذا الطرف أو ذاك ، ومن خلال تأويل النصوص الدينية ، حيث يبدو في الظاهر _ على الأقلّ _ بدون شرعية ، ولا يمكن اكتساب طرف ما لهذه الشرعية إلاّ باعتماد المرجعية الدينية ، نظرا للمكانة المتميّزة التي يحتلّها الدين في المجتمع الجزائري ، قبل الثورة وبعدها ، ومذ أيّام الحزب الواحد ، وخاصّة في فترة ما عُرف بالخيار الاشتراكي ، حيث استند التيار اللّبرالي المعارض في مواجهته لتيار اليسار المؤيّد لهذا الخيار على تأويل النصوص الدينية بما يؤيّد وجهة نظره ، واليسار كذلك أخذ من النصوص وتأويلها ما يناسبه ، فشهدت الساحة حربا للمفاهيم ، أصبح بعدها كلّ طرف ينعت الآخر إمّا بالتقدّمية ، أو بالرجعية ، فاستُغلّ الخطاب الديني أبشع استغلال ، بل إنّ بعض الشخصيات الإسلامية اتُّخذت نماذج ورموزا معبّرة عن هذا التيار أو ذاك ، مثل الخليفة عثمان بن عفّان _ رضي الله عنه _ كرمز لبرالي ، والصحابي أبو ذرّ الغفاري _ رضي الله عنه _ كرمز يساري ؛ الأمر الذي عمل على تغذية صراع آخر على المستوى الاجتماعي ، باعتبار القيم التي كان ينادي بها هذا الفريق أو ذاك ،كانت إمّا في صالح الفئات التي تنشد العدالة الاجتماعية ، على غرار الطبقات الفقيرة ، أو التي كانت تهدف إلى التحرّر الاقتصادي كما هو حال الفئات الموسرة ، وهو اختلال اجتماعي يعكس الاستغلال المشين للخطاب الديني الذي يؤدّي إلى ما يسمّيه الدكتور سليمان مظهر بعنف المقدّس . (2)

---

(1) عبد الرحمن بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي [1920 ــ 1963] ، الجزء الأوّل ، المؤسّسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ، ص ص (179 ــ 291)

(2) Slimane MEDHAR . La violence sociale en Algérie . Thala Editions . Alger 1997 . P 158

وقد أخذ الصراع مع نهاية الثمانينيات نفس أشكاله القديمة في جعل الخطاب الديني جوهرا للصراع الفكري والمذهبي بإعادة تأسيس جمعية العلماء المسلمين على يد الشيخ أحمد حمّاني في ماي 1991 ، وتأسّست الجمعية الوطنية للزوايا في جوان 1991 ، أي بعد أقلّ من شهر كردّ سريع ، وكامتداد لاتّحاد جامعة الزوايا الطرقية ؛ لكنّ بروز طرف ثالث و هو السلفية بفرعيها : العلمي الذي عمل باستمرار على التشكيك في الكفاءة العلمية لرجال الدين المختلفين عنه ، والجهادي الذي سلك طريق العنف والإرهاب الأعمى ، فأغرق البلاد في حمام من الدماء (1) ؛ وبانغماس المساجد وخطبائها في قلب هذا الصراع ، فأعادوا رسم الصورة القاتمة نفسها التي وضّحنا بعض ملامحها ، من خلال ما حدث في الثلاثينيات ، و كأنّ الساحة لم تتغيّر منذ ما يزيد عن نصف قرن ، إلاّ أنّ الجديد هو ظهور أمراض كانت قد اختفت منذ زمن على غرار التكفير (أوّل البدع في الإسلام) والخوارج (أوّل معارضة مسلّحة في التاريخ الإسلامي) ، ولكن بوجوه وأفكار جديدة قديمة . (2)

(1) سعيدة بيدة ، سنوات العنف المجنونة ، دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 1999 ، الطبعة الأولى ، ص ص (96 ــ 106)

(2) عبد الله أبو إقبال ، المعارضة الإسلامية من المصحف إلى الديناميت ، مقال بمجلّة التضامن ، العدد 16 ، السنة الثانية ، الصادرة في أكتوبر 1993 بالجزائر ، ص 46

1- 3- المبحث الثالث : المستوى الأخلاقي وذرائع ممارسة العنف

" إذا كان الإسلام ينهى عن الاختلاف ويشجبه ولا يرتضيه للأمّة الإسلامية ، فإنّه لا بدّ من التنبيه إلى أنّ الاختلاف ليس نوعا واحدا ولا يمكن تفاديه كلّه ، فالاختلاف الناشئ عن تفاوت المدارك وتباين طرق النظر إلى الأشياء لا يمكن إلاّ أن يكون خلافا طبيعيا ، كما أنّ الاختلاف عن الغير حين ينحرف هذا الغير ليس إلاّ وجها من أوجه الثبات على الحقّ ، فهو بهذا اختلاف محمود ، والاختلاف العلمي الذي ينتجه البحث والتعمّق في الأشياء اختلاف إيجابي . " (1)

1- 3- 1- المطلب الأول : المشكلة الأخلاقية في اختلاف الخطاب الإسلامي

كذلك فالاختلاف الذي يقع بين المجتهدين المؤهّلين حول النصوص التي تحمل معاني متعدّدة ، فيحملها أحدهم على أحد مدلولاتها ، ويحملها البعض الآخر على مدلول آخر ، فيكون الاختلاف هنا مشروعا ؛ ولعلّ أروع مثال على هذا ، ما جاء في القرآن الكريم من خلاف في الاستدلال بين داود وسليمان _ عليهما السلام _ حين عُرضت عليهما قضية الغنم التي نفشت في زرع قوم فأفسدته ، فجاء حكم داود بتعويض صاحب الزرع من الأغنام ، لكنّ سليمان رأى أنّ من مصلحة الطرفين أن يستفيد صاحب الزرع المتضرّر من الأغنام ، ويستبقي الحرث بيده ليصلحه ، فإذا عاد إلى حالته الأولى ، أعاد صاحب الزرع الأغنام إلى صاحبها ، وهو الحكم الذي رجّحه القرآن وزكّاه في قوله تعالى : " وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا " (الأنبياء : 77ـ78) ؛ فالقرآن يقرّ الاختلاف الناتج عن الاجتهاد ، ولا يربط إصابة

(1) أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص 144

الحقّ بالسنّ ، باعتباره زكّى رأي الابن ورجّح حكمه على حكم أبيه مع أنّه لم ينتقص من علمهما ولا من حكمهما ؛ فحالة الخطأ في الاجتهاد حالة ظرفية ، كما أثبت الشرع للمجتهد مع الخطأ أجر ، وللمصيب أجران ؛ لكنّ الاجتهاد له ضوابط وشروط ، فلا يمكن الاجتهاد في أصول الدين ، لأنّه لا يؤدّي إلاّ إلى الخروج عن هذا الدين وتمزيق جسد المجتمع الإسلامي ، وما تلك الفرق الضالّة التي نخرت جسد ذلك المجتمع كالسرطان الكريه إلاّ دليلا على حرمة الاجتهاد في الأصول ؛ بل إنّ القرآن جعل من يأتيه مفرّقا لا يمتّ للإسلام بالصلة في قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ " (الأنعام : 160) ، وعليه فإنّ الاجتهاد الذي يؤدّي بصاحبه إلى إحداث الفُرقة في الدين ، وضرب وحدة المسلمين ، حتّى لو لم يكن اجتهادا في الأصول فهو غير مقبول ؛ فالاختلاف الذي زكّاه الفقهاء في فروع الدين لم يكن يحمل مثل هذا (الفيروس) ، بل لم يكن في ذلك النوع من الاختلاف أيّ ضرر لأنّه كان مربوطا بما تيسّر لكلّ مجتهد من وسائل الفهم والإدراك ، وهو فوق كلّ ذلك من مظاهر الحيوية والمرونة وأهلية هذا الدين في كلّ زمان ومكان . (1)

ولو لم يختلف الفقهاء لضاقت بالناس السبل ، وشقّ عليهم الدين ، ووجدوا فيه من الحرج ما لا يُطيقون ، فقد قال تعالى : " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ " (الحجّ : 76) ، وهو ما يفسّر اختلاف الصحابة ومن تبع هديهم ؛ لأنّ الاجتهاد في الفروع تفرضه متطلّبات الحياة المتجدّدة ، وحاجة المجتمعات المختلفة ؛ فاختلفت بذلك مناهج الاستنباط ونشأت في ظلّها المذاهب الفقهية . (2)

ولعلّ المشكلة الأخلاقية التي وقع فيها الكثيرون (في الجزائر وفي غيرها من البلاد)

---

(1) عبد السلام محمّد أبو سعد ، الخلافات الفقهية ، مقال نشر بمجلّة الرسالة ، عدد 14/13 ، الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر في أكتوبر 1988 ، ص 39

(2) أحمد بن نعمان ، مرجع سابق ، ص ص (146 — 148)

ليست في اختلاف الفقهاء والمذاهب ، ومن يأخذ بهذه الاختلافات ، بل إنّها تكمن في عدم الإحاطة بأدب الاختلاف والخلاف ، بمعنى أنّ المشكلة ترجع بالأساس إلى أخلاقيات بعضها تعاملي يتعلّق بترك التعالي وما يصاحب ذلك من افتراض للخطأ عند الغير والعصمة للنفس ، وهو ما يفرض لختيار الألفاظ التي بإمكانها تأليف وتقريب القلوب ، بدلا من إقامة الحجّة على الطرف الآخر ، دون أن يكون ذلك مطلوبا لتبيان الحقّ ، أو تعمّد ذلك بهدف الانتقاص من الآخر ، كما يجب أن يتحرّى التماس العذر للمخالف . وقد سبق من ذكر كيفية تعامل الفقهاء مع النصّ والقواعد الأصولية التي اعتمدوا عليها ، ما يبيّن تحلّيهم وتمسّكهم بهذه الأخلاق العالية في التعامل مع المخالف ، واحترام التخصّص ؛ لأنّ الاجتهاد لم يأت إلاّ لاستنباط وسائل التعامل مع المتغيّرات ، فلم يحدث أنّ صحابيا رمى صاحبه بالكفر أو الابتداع لمجرّد مخالفته له في رأي من الآراء ؛ فالارتقاء إلى مستوى أدب الخلاف هو لعمري الكفيل بتجنيبنا هذه الإشكاليات برمّتها .

لكن واقع الحال يؤكّد بما لا يدع مجالا للشك أنّ عملية " أخلقة " الخطاب الإسلامي ما تزال بعيدة المنال ، خاصّة على مستوى الممارسة والتطبيق ، ومن أناس كانوا وما يزالون يدّعون العصمة من حيث لا يشعرون ؛ فتعرف ذلك من لحن قولهم إذا نطقوا ، وفي غُنّة صوتهم إذا خطبوا ، ولعلّ هذا من دلائل التطرّف والتعصّب والغلوّ ، من حيث هو محاولة للحجر على آراء الآخرين من المخالفين وإلغائها . فهؤلاء يرون أنفسهم على الحقّ في كلّ ما يقولون وما يأتون ، وغيرهم على الضلال ؛ واتّهموا كلّ من خالفهم بالجهل وإتّباع الهوى ، ورموا كلّ من جانب طريقهم بالفسوق والعصيان ؛ مع أنّ سلف هذه الأمّة وخلفها _ على حدّ سواء _ أجمعوا على أنّ كلّ أحد يُؤخذ من كلامه ويُردّ إلاّ النبيّ _ صلّى الله عليه وسلّم _ . وإن تعجب فعجب أن ترى هؤلاء يُجيزون لأنفسهم الاجتهاد في أعوص المسائل وأعقدها ، ويُفتون في أمّهات المسائل بما يلوح لهم من رأي ، ولكنّهم لا يُجيزون لعلماء العصر المتخصّصين ، منفردين أو مجتمِعين ، أن يجتهدوا في رأي يُخالف ما ذهبوا إليه .

" فهذا التعصّب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه ، وينفي كلّ من عداه ، هو الذي نراه من دلائل التطرّف حقّا ، فالمتطرّف كأنّما يقول لك : من حقّي أن أتكلّم ، ومن واجبك أن تسمع

ومن حقّي أن أقول ، ومن واجبك أن تتبع ، رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب ، وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبدا ، لأنّ اللّقاء يمكن و يسهل في منتصف الطريق ووسطه ، وهو لا يعرف الوسط ، ولا يعترف به ، فهو مع الناس كالمشرق والمغرب لا تقترب من أحدهما إلاّ بمقدار ما تبتعد من الآخر . " (1)

ومن أخلاقيات الخطاب الإسلامي التيسير وترك التعسير لكنّنا نجد في واقع كثيرٍ من خطباء هذا الزمان التزام التشديد دائما ، مع قيام موجبات التيسير ، وإلزام الآخرين بما لم يُلزمهم به الشرع ، بل قد يحاسبون الناس على السنن والنوافل وكأنّها فرائض ؛ وينهون عن المكروهات بصيغة إنكارهم على المحرّمات ؛ بل إنّهم يعمدون إلى النيل من كلّ من يُفتي بما هو أرفق فيما اختلف فيه من مسائل ، وهي طامّة أخرى تضاف إلى خانة التشدّد في وقت نحن في أمسّ الحاجة إلى الابتعاد عن كلّ هذه السلوكيات المنفّرة ؛ فمجال الدعوة لا نصيب فيه للغلظة والفظاظة ، ولا مرتع فيه للعنف والخشونة ، قال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " (آل عمران : 159) ، وقد قال رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ ، وهو يؤكّد هذا المنهج القويم : " ***إنّ الله رفيق يحبّ الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه*** . " (رواه مسلم) (2)

فكيف لا يشين العنف خطابا يدعو إلى التغيير الأخلاقي والعقائدي مثل الخطاب الإسلامي الذي يتوجّه إلى أكثر شيء جدلا في هذا الوجود وهو الإنسان ؟ ؛ ثمّ إنّ فرعون وهو من أطغى المخلوقات على الإطلاق ، أرسل الله إليه موسى وهارون _ عليهما السلام _ بقوله : " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " (طه : 42 ــ 43) ، ونحسبها

---

(1) يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرّف ، دار الشهاب الجزائر ، الطبعة الثالثة 1983 ، ص 40

(2) مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت لبنان 1985 ، حديث رقم 4697

وصيّةً ينبغي إتّباعها في مخاطبة المعاندين والمخالفين ؛ لكن ما غلب على لغة الخطاب والخطباء في عصرنا هو المواجهة بالغلظة والحدّة ، والمخاطبة بالخشونة والشدّة ، وحلّ الجدال " بالتي هي أخشن " مكان " التي هي أحسن " ، فلا توقير لكبير ، ولا رحمة ولا رأفة بصغير ؛ وأصبح سوء الظنّ بالآخرين منطلقا لكلّ خطاب ، ومدخلا لأيّ كتاب ، تُضخّم فيه السيّئات وتُخفى الحسنات ، ولا مكان فيه لالتماس الأعذار ؛ بل إنّ الخطأ اعتُبر خطيئة ، فأين هي " أخلقة " الخطاب وسط كلّ هذا الضباب ؟ وهل يكون التيسير بالتكفير والتفجير ؟.

تلك هي بعض ملامح وأبعاد المشكلة الأخلاقية في تعامل الخطاب الإسلامي مع المخالف على مستوى الممارسات والتطبيقات الحديثة ، والتي اعتُبرت في كثير من صُورها شاذّة عن الجادّة ؛ فما هي إذن ذرائع ممارسة العنف في الخطاب الإسلامي ؟ أو بالأحرى ، ما هي شُبهات تلك الممارسات والانحرافات ؟ وهي محاور المطلب الموالي .

1- 3-2- المطلب الثاني : ذرائع وشبهات ممارسة العنف في الخطاب الإسلامي

كثيرا ما تذرّع الخطباء في عديد من البلاد العربية والإسلامية بذرائع وشُبهات أخفوا وراءها ممارستهم للعنف في خطب ارتجالية نارية قادت بعضا من تلك البلاد إلى مصائر لم يكونوا يتخيّلونها حتّى في كوابيسهم وأحلامهم المزعجة ؛ ولعلّ من أعظم الذرائع وأخطرها شُبهة " التعطيل " التي تُربط بالشريعة أحيانا ، وبالجهاد والشعائر والطقوس أحايين أخرى . فشُبهة تعطيل الجهاد مثلا ، كثيرا ما تذرّع بها خطباء بعض المساجد الذين لم يفقهوا كنه التمييز بين بناء المجتمع الجزائري وترقيته ، وبين هدم بُنيته وتصفيته ؛ ثمّ من قال " أنّ الإسلام لا يمكن أن يقبله الناس إلاّ إذا أُرغموا على ذلك ، وكأنّ هذا العقل الذي أودعه الله في الإنسان لا يمكن أن يهاجم بالبرهان ، فنترك بيان البرهان والكسب الذي يحصّله لنا ، إلى شيء يديننا ، ويدين فكرتنا . " (1) فكلّ أولئك الذين كانت لديهم الجرأة الكافية لإعلان ما يؤمنون به في أيّام الجاهلية ، وقع عليهم عدوان باغ جعل القلوب تهفو إليهم ، باعتبارهم دعاة للحقّ والعدل دون أن يقولوا كلمة واحدة تنفّر منهم ، مع أنّهم أظهروا عقيدتهم علنا ، وجهروا بها زمنا ؛ لكنّهم ما سعوا إلى حكم غيرهم ، قبل أن يُصبحوا قادرين على حكم أنفسهم ، بجعل الناس سالمين من لغو لسانهم ، وبغي سنانهم . وببساطة لم يكن لمجتمع سويّ كالمجتمع الإسلامي ، أن يُبنى على ثقافة العنف ، وإنّما بالقدرة على الإقناع بالموعظة والدعوة المتأنّية ، كما حدث مع جميع الأنبياء _ عليهم السلام _ ، فهو منهج ربّاني رصيده كلمة العدل والتقوى وآليته اللين والرحمة.

ومن الذرائع كذلك ، عدم التزام التسامح والأخلاق العالية (بشكل عام) مع الذين لا يلتزمونها ، فالعنف في مخاطبتهم قد يكون أجدى (في نظرهم) ؛ وهذا في تقديرنا حكم

---

(1) جودت سعيد ، مذهب ابن آدم الأوّل أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي ، المطبعة العربية الجزائر ، الطبعة الأولى 1990 ، ص ص (81 ــ 82)

مسبق ، ونظر تشاؤمية ، وانتقاص من قيمة الأخلاق في إصلاح البشر ، فالقرآن الكريم يجعل الانتصار الأخلاقي كفيلا بتحويل العدوّ اللدود إلى صديق ودود ، قال تعالى : " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " (فصّلت : 33) ؛ ويكون خطاب التسامح في هذه الحالة شاقّا على النفس ، ويحمل في طيّاته مجاهدة كبيرة لها ، وهو ما يفسّر قوله تعالى : " وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ " (فصّلت : 34) ؛ ولذلك كان من الواجب تفادي تقليد المناوئين والمخالفين في تغييب التسامح والأخلاق ولو بجزء يسير ، ومهما كانت الظروف ؛ ولعلّ هذا ما يميّز الخطاب الإسلامي عن غيره من الخطابات الانتهازية التي لا تثبت على مبدأ ولا تلتزم بمنهج .

" قد يقول قائل : إنّك إذا قلت الحقّ مجرّدا من أن تكون هناك قوّة تدعمك ، فإنّك تُترك ولا ينتبه إليك أحد ، وكما أنّه لا يبالي بك أحد ، فتظلّ تنعق والناس لا يستمعون إلاّ لمن يلوّح لهم بالقسوة ، ويسوقهم بالعصا . فإذًا لا فائدة من اتّخاذ طريقة الدعوة إلى الله بالبلاغ فقط ، ولا بدّ لك من قوّة . " (1) إنّ هذه الفكرة التي سيطرت على كثير من الخطباء ، فصاروا لا يعتمدون إلاّ العنف ، ولم يعد لديهم أدنى اعتبار للحجّة والبلاغ ، فزهدوا فيهما نظريا وتطبيقيا ؛ بل إنّهم لم يتركوا ملتزما بذلك المنهج إلاّ اتّهموه بالمداهنة و التساهل ، وجعلوا ما يقوم به بلا قيمة وبلا تأثير ؛ فخطاب العنف _ بالنسبة لديهم _ لا بديل عنه في الوقت الراهن ؛ لكنّهم يجهلون خطورة أن تنقلب الخطبة العنيفة إلى سلاح فتّاك _ بحكم الآثار العكسية _ يذهب بكلّ ما حقّقه الخطاب الأصيل من تبشير ، و يزرع بذور الفرقة والتنفير.

وقد يتسرّب إلى أفكار بعض الخطباء ، أنّهم إذا ما وظّفوا العنف في خطبهم ، كان في ذلك إبعادا لشبهة العجز والضعف والخوف عنهم ؛ وأنّ تبنّي تلك الطريقة في الخطاب هي نوع

(1) جودت سعيد ، المرجع السابق ، ص 87

من الستر إلى حقيقة ما يعتري شخصياتهم من وهن وخور واهتزاز ، ممّا يجعلهم يجاوزون حدود ما وجب عليهم القيام به في الأصل ، فيعمدون إلى الدخول في صراعات فكرية لا تدخل في نطاق إدراكهم وتخصّصهم ، فيكون الخطأ منتهى سلوكهم الذي لا يقف عند حدود شخصياتهم الضعيفة ، بل ينقلون تلك الأخطاء إلى غيرهم من جمهور المتلقّين المستمعين إلى خطبهم باعتبار أنّ ما يقولونه يدخل في إطار مهمّتهم ورسالتهم ؛ وإنّما هي جرأة وشجاعة أراد أصحابها أن يتحمّلوا مسئوليتهم وتبعاتها بكلّ بأس ومراس ورباطة جأش ؛ والحقيقة أنّ الابتعاد عن هذا النوع من الخطب العنيفة وإن اتُّهم أصحابها بالجبن إلاّ أنّها لا تخلو من الصعوبات والمشقّات . (1) فمعالجة القضايا بالصبر والأناة ، والتعرّض للمسائل بالمرونة والرويّة أريح للضمير رغم مشقّتها ، وأفضل بكثير من ركوب موجة العنف التي لا يُعرف لها ساحل ولا برّ.

إنّ محاولة الخطباء إضفاء الشرعية و المصداقية على خطبهم ، بإلقاء الرعب في قلوب الناس و إبعادهم ، قد يكون له آثار سلبية تنعكس على مستوى انسجام المأمومين مع إمامهم ؛ لكنّ ما يتذرّع به هؤلاء في ممارستهم هذا الأسلوب الخطابي لا يقع إلاّ في حدود هذه الفكرة نفسها . وقد يبدو ذلك غريبا من الناحية النظرية ؛ غير أنّ الشُبهة التي تطفو على السطح هنا ، هي على مستوى تطبيقات الخطباء الذين يعتقدون أنّ توجّهات خطبهم حين لا تغدو عنيفة ، لا تصبح ذات تأثير ؛ بل إنّها قد تقود إلى التنفير ، فما أعجب هذا القياس !، وما أخطر هذا التبلّد في الفكر! ؛ ففي نظرهم لا يكون التفكير في الطرق المجدية لتحريك عواطف الناس خارجا عن دائرة العنف ، وإلاّ كان تفكيرا سلبيا ، وما ضاعف من ثقل وطأة المحن التي نزلت بالخطباء في حقيقة الأمر وواقع الحال ، ابتعادهم عن روح العلم وإتقان العمل الذي يقومون به؛ لأنّ مجرّد إدخال المؤشّرات المتعلّقة بإثبات الشخصية والذات كفيل بإفراغ رسالة الخطيب من محتواها ، لأنّ إتقان العمل حريّ به أن يأتي بأنفس الثمرات وأعظمها . ولا شكّ أنّ ذلك

(1) حودت سعيد ، المرجع السابق ، ص 96

مرتبط بمنهج قويم بعيد عن ذلك المسلك ، لأنّ سبب خوف الناس مقترن بما يتضمّنه خطاب العنف من محتويات غير شرعية (إن لم تكن بدعية) ؛ وهي الطريقة التي طالما نفّرت أو استنفرت ، فضرّت وأضرّت ، وضلّت وأضلّت ؛ لأنّها تنكر أيّ فضل للقوّة المعنوية . ووصل الأمر إلى تشبيه الخطباء الملتزمين بهذا المنهج " بالخرفان " (كناية مستعارة أُريد بها اتّهامهم بالجبن والذّعر) فضلا عن تصنيف جهودهم في خانة : (ذهب قولهم سدًى) ، وهي إشارة إلى عدم جدوى ما يقومون به .

و الذرائع المعروضة _ كما هي طبيعة الموضوع _ أكثر من أن تحصر ، ولعلّها ترجع في أغلبها ، إلى تقديم الإلزام على الإقناع ؛ وتقديس مظاهر العنف ، وجعلها في مقام الأولوية بالنسبة لأيّ تغيير يُراد تحقيقه ، وفي أيّ خطاب يُطلب سماعه ؛ وقد أخطأ أصحاب هذه النظرة الضيّقة في الثقافة الفكرية عندما وقعوا في مأزقين : أولّهما إرغام الناس على ما يعتقدون أنّه الصواب بالقوّة والعنف ، وثانيهما الخضوع لأفكار الآخرين خوفا من قوّة مسلّطة أو عنف يطالهم ، في انهيار تامّ للضمير الخلقي وسلّم القيم الذي من المفروض أن يشرف على تقييم الأقوال قبل الأفعال ، هذا الضمير الذي من المفروض أن يملكه رجل الدين الخطيب قبل أيّ شخص آخر.

وإذا كان الإقناع هو وظيفة الخطاب الإسلامي وغايته فإنّ " الإقماع " (*) هو واقعه وحالته على مستوى الممارسة والتطبيق ، فما هي يا ترى حدود تموضعه وتموقعه بين هذا وذاك ؟ وهو التساؤل الذي سنحاول الإجابة عنه في المطلب الموالي .

(*) الإقماع هو مصطلح يقابل الإقناع ، ويعني إلزام الناس بأفكار لا يقتنعون بها ،وباستخدام أساليب خطابية عنيفة ، ولعلّه يرتبط باسم المفكّر المغربي والدكتور محمّد العمري ، انظر موقعه على الانترنيت بعنوان : WWW. medelomari.net

1-3-3-المطلب الثالث : وظيفة الإقناع وواقع الإقناع في تخليق الخطاب الإسلامي

إنّ إشكالية " أخلقة " أو تخليق الخطاب الإسلامي تحتاج إلى بحث مستقلّ ، حتّى تستوفي الإجابة عن بعض حيثياتها ، باعتبارها موضوعا قائما بذاته من الناحية النظرية ، وباعتبارها تتضمّن تساؤلات تشكّل حديث الساعة في الوقت الراهن ، لكنّ وظيفة الإقناع في تخليق الخطاب الديني لا تخرج عن كونها ضرورة من ضرورات الارتقاع بمستوى هذا النوع من الخطاب على المستوى الأخلاقي ، حتّى لا يسقط في فخّ المغالطات والاستخفاف والركاكة ؛ فكثيرا ما سمعنا عن خطباء لا يأبهون بما يقولون ، وتغلب الرتابة على خطبهم ، بحيث لا يحدث أبدا ، أن يحاولوا شدّ انتباه المصلّين من المستمعين ، فضلا عن إقناعهم بسلوك أو خلق معيّن ؛ بينما تجد آخرين يفرطون في انزلاقاتهم الكلامية التي تؤذي وتقمع أكثر ممّا تقنع ، ويطلقون العنان لألسنتهم بالتضليل ، دون حجّة ولا دليل ؛ ولعلّ هذا الأمر هو الذي دفع الجاحظ في كتابه النفيس " البيان والتبيين " إلى نقد هذا النوع من الخطاب الذي لا يزحف نحو لبّ العقول بالحجّة والمنطق ، ولا يقنعها بالدليل والبرهان ، وإنّما يعاملها باستخفاف وخداع يثير الملل ، فيجعلها مقفلة عن الفهم والإدراك ، خالية من مكوّنات الاستعداد والقبول للخطاب الإقناعي ؛ ممّا قد يؤدي إلى إلغاء العلاقة بين الخطيب ومن يستمع إليه ، أو توتيرها على الأقلّ كما حدث على أيّام الجاحظ . (1)

وعلى نفس النسق ، درج ابن رشد في كشف الانحرافات التضليلية والقمعية ، ومقارعة الخطاب المغالط الاستبدادي من الناحية الفكرية ؛ وقد تأثّر تأثّرا بالغا بتقسيمات آرسطو التي جعلت الخطاب ثلاثة أنواع مختلفة : أوّلها الخطاب الشّجاري (الذي يجري في المحاكم) ، وثانيها الخطاب الاستشاري الممارس في الصالونات السياسية (البرلمان والجمعيات ...الخ) ؛ أمّا ما يهمّنا في هذا السياق ، فهو الخطاب التثبيتي الذي يغلب عليه التقبيح والتحسين ، باعتبار

(1) عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الجزء الأوّل ،دار الفكر بيروت لبنان ، (دون تاريخ) ، ص 92

الخطاب الديني يدخل في هذا الإطار ؛ وابن رشد كان يبحث لهذا الخطاب عن مصداقية عندما طالب بأن يكون أخلاقيا ومنطقيا ، حتّى يبلغ درجة الإقناع ؛ فقد عايش ابن رشد بعضا من التزييف الذي مارسه بعض الخطباء في زمنه الذي يعدّ استمرارية لعصور الانحطاط ، من حيث التسلّط والاستبداد والهيمنة التي شهدتها الخطابة المنبرية الوعظية والتوجيهية ، في استبدال الترغيب والترهيب بالمنظور السلطوي ، فضلا عن خطباء التضليل والسفسطة الذين أساءوا استخدام البلاغة وعلم الكلام فضلّوا وأضلّوا . (1) وهو ذات السبب الذي حمل محمّد عابد الجابري على الدعوة إلى ضرورة تجاوز هذا النوع من الخطاب الجدلي السفسطائي ، والتأسيس لخطاب مرحلي يتبنّى حجّة العقل وقوّة البرهان . (2)

وإذا كان الجاحظ قد برع في ردّ الحيل المضلّلة بالحجج والأدلّة الدامغة ، واستغلّ آرسطو وابن رشد بلاغتهما في تخليق الخطاب بحيث يصبح قادرا على جلب الشفاء ، شأنه في ذلك شأن الطبّ بما يؤدي إلى انتصار قيم الخير والعدل والجمال ؛ فإنّ حال الخطاب اليوم ربّما يكون أكثر سوءً ممّا كان عليه في عصور الانحطاط ؛ وصار التنفير أو" الإقماع " مقابلا للإقناع إذا لم يكن بديلا عنه ، فلم يعد لاستمالة الناس بالحجّة والدليل (النقلي والعقلي) أيّة قيمة تُذكر ، فأصبحت الخطب المنبرية في حدّ ذاتها غاية وليست وسيلة بالنسبة لبعض الخطباء ؛ فصاروا ينصرفون إلى المداهنة حتّى يصرفوا الناس عن حقيقة كفاءتهم ومستوى تأهيلهم ، والبحث عن التكلّف والتصنّع خلال الإلقاء الشفوي للخطب ؛ وهي وضعية مناقضة للأولى ، لكنّها من ناحية فراغ المحتوى والمضمون تبدو متناغمة معها وموافقة لها . ومن ناحية غياب وسائل التمثيل والتشخيص والتأثير كآليات للإقناع ، وحضور أساليب التهويل والإعنات والاستخفاف يظهر " الإقماع " كحالة مرضية وجبت معالجتها في حال تمكّننا من الارتفاع بالمستوى الأخلاقي للخطاب الإسلامي ؛ فلسنا نزايد إذا قلنا أنّ أعراض هذه الحالة أو كثير

---

(1) محمّد العمري ، مرجع سابق ، ص ص (36 — 38)

(2) محمّد عابد الجابري ، نحن والتراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، الطبع الرابعة 1985 ، ص 38

منها صار مشخّصا ، ولا يحتاج إلاّ إلى تحديد العلاج ، فلم يعد الأمر متوقّفا فقط على الناحية الشكلية كاستخدام العامّية وعبارات الابتذال ، وإنّما تعدّاه إلى مضامين " الإقماع " داخل هذا الخطاب على غرار ضعف البصيرة بحقيقة الدين والجهل به الذي لا يُفضي إلاّ إلى غلوّ وتطرّف ، أو إلى انحلال وتسيّب ، وهو ما يعني تصدير الجهل للآخرين .

ومن مظاهر " الإقماع " في الخطاب الديني اشتغال بعض الخطباء الذين يفتقرون للعلم الشرعي بالمسائل الجزئية ، والأمور الفرعية ؛ وإهمال القضايا الكبرى التي تشغل بال الناس ، وربّما تتعلّق بهوية الأمّة ومصيرها . وهذا نوع من الهامشية المشينة في النبرة الخطابية للأئمّة الذين كثيرا ما غرقوا في الجدل العنيف ، والانقسام المُخيف ، الذي قد يطال فئات المصلّين الذين يحضرون خطب هؤلاء ، فيتأثّرون سلبا بما يقولون ، وهو ما يؤدّي إلى انحرافات على مستوى الممارسة والسلوك خاصّة لدى الشباب اليافع المتحمّس الذي قد يسقط في فخّ المغالطات والأباطيل دون شعور ولا وعي . والعجيب أن تجد من هؤلاء الخطباء والأئمّة الذين يثيرون مثل هذا الجدل والعنف المصاحب له ، أناسا معروفين في محيطهم العائلي بالتقصير في برّ الوالدين ، وحقّ الجيران والأهل ، بل إنّهم قد يضربون أسوأ الأمثلة في ذلك .

ومن " الإقماع " في الخطاب الديني ، التشديد والتضييق على الناس مع وجود سعة في الشريعة ، وربّما يعود ذلك إلى عدم الرسوخ في معرفة الفقه وأصوله ممّا يؤدي ببعض الخطباء إلى توسيع دائرة التحريم التي نهى عنها القرآن الكريم في قوله تعالى : " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" (النحل : 116) ؛ فالميّالون إلى الغلوّ من الخطباء قد يسارعون إلى التحريم مع وجود الخلاف في المسائل، فيجنحون دوما إلى الرأي الأكثر تشدّدا ، وقد يكون المذهب الأرجح في المسألة فيه من السعة والرخصة والتيسير ما يدفع التضييق على الناس . بل إنّك تجد من يبالغ في الزجر بعنف وفظاظة على من ترك بعض السنن ، وهو من حديثي العهد بارتياد المساجد ، فيكون ذلك دافعا له على ترك الفرائض ، وهذا واقع عايشه عامّة الناس .

ومن حالات " الإقماع " في الخطاب الإسلامي كذلك ، إتّباع المتشابهات في التعامل مع النصوص ، وترك المحكم والبيّن منها بالدليل ، وهو أيضا من علامات عدم الرسوخ في العلم ودليل على وجود زيغ في القلب ، كما جاء في قوله تعالى : " فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ " (آل عمران : 7) ؛ وقد سبق الحديث عن مزالق الخوارج ، وتورّطهم في التكفير لذات السبب في ظلّ غياب العلم وقلّة الفهم . و من " الإقماع " تحميل المحسنين تقصير المسيئين ، " ويُضاف إلى ضعف البصيرة بالدين ، ضعف البصيرة بالواقع والحياة وبالتاريخ ، وبسنن الله في الخلق ، فتجد أحدهم يريد ما لا يكون ، ويطلب ما لا يوجد ، ويتخيّل ما لا يقع ، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها ، ويفسّرها وفقا لأوهام رسخت في رأسه ، لا أساس لها من سنن الله في خلقه ولا من أحكامه في شرعه ، فهو يريد أن يغيّر المجتمع كلّه: أفكاره ومشاعره وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية وأساليب خيالية . " (1)

واللّجوء إلى العنف في مخاطبة الناس غالبا ما يؤدي إلى نتائج عكسية سواء كان المراد بذلك الخطاب إصلاحا لفساد ، أو تصحيحا لخطأ ، أو إقامة لحجّة ؛ فالمتلقّي الذي يُزجر بطريقة منفّرة ، أو يُعنّف بأسلوب فيه من القسوة والغلظة ما يُفقد القابلية للإصلاح و التغيير ؛ قد ينقلب على عقبيه ، ويتحوّل إلى الجهة المقابلة ، إرضاءً لدواخله النفسية الدفاعية ، ونوازعه الشيطانية ؛ وهو ما يفسّر فقدان خاصّية الإقناع لدى الخطباء الذين ينهجون تلك الطريقة في مخاطبة الناس ، وكثير منهم يأتي بالنصيحة على شكل فضيحة ، وبدل أن يداوي

(1) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص 98

النفوس أرداها منكسرة جريحة ؛ فالإقناع أسلوب في الكلام وطريقة في الفهم ، وقدرة على البيان والإيضاح ، وهي نادرا ما تتوفّر مجتمعة ، خاصّة لدى خطبائنا في الوقت الراهن ؛ ناهيك عن فنّ التعامل الذي يقتضي مخاطبة الناس على قدر عقولهم (لكلّ مقام مقال) ، وحسن التعامل مع الوقائع والأحداث المستجدّة (لكلّ حادث حديث) ، و هي صفات ترسم معالم وظيفة الإقناع في الخطاب الإسلامي الذي شوّهت صورته بالقتامة و السواد حالة " الإقماع " التي يعيشها واقعا مُرّاً ، ويحصد نتائجها ومخلّفاتها يوميا .

- خلاصة :

إنّ النتائج التي يمكن أن نخرج بها بعد هذا الفصل الذي عالجنا فيه بشيء من التثبّت ، المستوى الفكري لظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي المعاصر ؛ لا يمكن إلاّ أن تكون ذات أبعاد أنثروبولوجية و اجتماعية وحضارية عميقة ومعقّدة في آن واحد فما لاحظناهمن انحراف على مستوى هذا الخطاب هو نوع من الترويج لمذاهب منحرفة بائدة على غرار مذهب الخوارج ، والتي يُعدّ منطلقها الفكري بسيطا يتمثّل في سماع كلّ الأصوات المؤيّدة ، وصمّ الآذان عن كلّ رأي مخالف ؛ وباعتبار الصراع الفكري هو المحض الطبيعي للظاهرة كان الاشتباك بين التيارات الفكرية المتناقضة من حيث المرجعيات مغذّيا إضافيا انطلق من وقوع تلك الأطراف في فخّ التعصّب ، بل والتطرّف الذي دفعهم إلى ممارسة العنف كثقافة وفكر وخطاب ، بالإضافة إلى الانحراف الذي وقع على مستوى الممارسة الطقوسية فساهم في تأجيج التوتّر والاستفزاز باعتبار ذلك مناقضا للفكر والشرع الإسلاميين ؛ إذ ليس دقيقا تحميل الفكر الإسلامي مسئولية العنف في هذا الخطاب الذي ليس إلاّ صورة تطبيقية منفردة تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب والخطأ يرجع إلى الخطباء لا إلى الخطاب في حدّ ذاته ؛ وشتّان بين الخطاب الصادق الشرعي ، وخطاب الفتنة والإيديولوجيا البدعي ، وقد رأينا كيف أعاد التاريخ نفسه في الصراع المذهبي الذي وظّف الخطاب الإسلامي في الثلاثينيات من القرن الماضي ، ليعيد رسم الصورة ذاتها في التسعينيات ، وظهور أعراض أمراض ظنّ الناس أنّها صارت من إرث الماضي ؛ وبعد تحديد بعض أسباب الظاهرة وعواملها ، وتيقّننا من أنّ المشكلة ليست في اختلاف وجهات النظر وتباين الرؤى ، وإنّما في طريقة تسيير هذا الخلاف ، ومعرفة آدابه ، حيث تحوّلت الدعوة من التي هي أحسن إلى التي هي أخشن ، فكانت القسوة والفظاظة ، عناوينها الفضفاضة ، لتطرح مشكلة تخليق الخطاب الإسلامي بحدّة في ظلّ هذا الوضع الذي يتطلّب معرفة دقيقة ومستفيضة بذرائع

ممارسة هذا النوع من الخطاب التي يأتي على رأسها تقديم الإلزام على الإقناع . وهي ممارسة لا تعكس حقيقة الصورة الأصيلة للخطاب الإسلامي الذي يملك كلّ مقوّمات الإقناع من الناحية النظرية ؛ لكنّ ما رأيناه من فجوات على مستوى التطبيق يفرض ضرورة إيجاد علاج لتلك الظواهر والأعراض المرضية التي غلب عليها العنف والانحراف والتعصّب والصراع ، كأوجه رُسمت بملامح مشوّهة عن الانزلاقات الفكرية ؛ لتطرح بإلحاح إشكالية تأهيل الخطاب الإسلامي ، طبعا مع الوقوف على مستوى هذا التأهيل ومعرفة جوانب النقص فيه التي يفضي بعضها إلى الانحراف والعنف ، وهو موضوع الفصل الثاني .

الفصل الثاني :

(التطبيقي)

مستويات تأهيل الخطباء و انزلاقات الخطاب

محتويات الفصل الثاني (التطبيقي) :
مستويات تأهيل الخطباء و انزلاقات الخطاب

* تمهيد

2-1- المبحث الأوّل : مضامين العنف من خلال الخطب المنبرية

2-1-1- المطلب الأول : **التحليل الشكلي لمدونة الخطب المنبرية .**

2-1-2- المطلب الثاني : **تحليل مضمون مدونة الخطب المنبرية .**

2-2- المبحث الثاني : **مستويات تأهيل الخطاب المسجدي**

2-2-1- المطلب الأول : **التأهيل الاجتماعي والأخلاقي للخطباء .**

2-2-2- المطلب الثاني : **التأهيل العلمي والكفاءة الوظيفية للخطباء.**

* خلاصة

- تمهيد :

بعد الكشف عن بعض ملابسات الانزلاق ومسارات الانحراف على المستوى الفكري في الخطاب الإسلامي بشكل عام ، بات من مقتضيات البحث الذي بين أيدينا ربطه بإشكالية التأهيل في الخطاب المسجدي الجزائري الذي يُعدّ الشكل الاجتماعي على مستوى الممارسة بالنسبة لهذا النوع من الخطاب ، باعتبار البنية التركيبية للمجتمع الجزائري (التي يغلب عليها ضعف المقروئية) جعل اهتمامها ينحصر في هذا الجانب على السماع ولعب دور المتلقّي فقط ؛ وبالنظر إلى خطب الجمعة التي تُلقى في المساجد ، والتي تتكرّر أسبوعيا ، فتستقطب أعدادا هائلة من المصلّين ؛ تُطرح هنا وبشكل أكثر إلحاحا إشكالية التأثير و التأطير في آن واحد ؛ فبينما يبقى الخطاب المكتوب على صفحات الجرائد والمجلّات (بل وحتّى المسموع في وسائل الإعلام والملتقيات) ، مقتصرا على نوعية (حتّى لا نقول نخبة) من الناس ، كان الخطاب المسجدي على هذا الأساس هو الأحرى بالدراسة والاهتمام أكثر من غيره ؛ وانطلاقا من كون المسجد مؤسّسة اجتماعية موجّهة لإرضاء حاجات اجتماعية على غرار باقي المؤسّسات المجتمعية الأخرى ، كان واقعها يفرض وجود حالة من التكامل في علاقة هذه المؤسّسات بالمسجد ، وبخاصّة تلك التي تلعب دورا مشابها مثل مؤسّسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ؛ فلا يمكن حدوث أيّ انسجام بالنسبة لوظيفة المسجد مع باقي وظائف تلك المؤسّسات دون تقيّدها بالشروط الأخلاقية المحدّدة لمهامّها ، وعلى رأس تلك المهامّ ، الخطاب المسجدي الموجّه لعموم الناس ، الذي يُفترض أن يكون على جانب كبير من التأهيل ، خاصّة في شقّه المتعلّق بأولئك الذين يحملون على عاتقهم مسئولية هذه المهمّة الشاقّة والخطيرة في آن واحد ، والتي تتطلّب هي الأخرى

مجموعة من الشروط والضوابط ، حتّى لا تقع في فخّ المناورة والمجازفة التي قد تـــنزلق بها إلى هاوية العنف والانحرافات ، حيث يكون خطباء المساجد من أئمّـــة ومدرّســـين على قدر كبير من المسئولية في ذلك ؛ فما هي حقيقة العلاقة المفترضة بين مستويات تأهيل الأئمّة ، وظهور مضامين العنف والانزلاقات في خطبهم ومن خلال أجوبتهم ؟؟؟

2- 1- المبحث الأول : مضامين العنف من خلال الخطب المنبرية

قبل الدخول في خضمّ تحليل الخطب المنبرية ، لا بأس من الإشارة إلى مصادرها ومرجعياتها حتّى لا نخرج عن تقاليد تحليل الخطاب المعمول بها أكاديميا ، وهي مصادر قد لا تخفى على الدارسين الحقليين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بالإضافة إلى المتمرّسين في العلوم الدينية ، وهي على التوالي : القرآن الكريم ، الحديث الشريف ، الكتب المعتمدة في العلوم الإسلامية من فقه وسيرة وتفسير وغيرها ، والتراث الفكري الحضاري والأدبي الذي يُوظّفه هذا النوع من الخطاب ، فضلا عن باقي معطيات الواقع الثقافي ، السياسي ، الاقتصادي والاجتماعي التي يعبّر عنها الخطباء بطريقتهم أو نقلا عن جهات أخرى كوسائل الإعلام مثلا .

ولا يقع توظيف تلك المصادر دون التأثّر بالمحيط الخارجي دينيا ، سياسيا ، اجتماعيا وفكريا ؛ ففي الجانب الديني ، نجد الظهور اللاّفت للجماعات الدينية التي تتبنّى التغيير الثوري وقد تحدّثنا عنه في السابق ، وفي الجانب السياسي هناك الصراع الذي كان يحتدم بين التيارات التي تنهج النموذج الغربي العلماني، وباقي التيارات المحافظة القومية والإسلامية وما يطرحه من أزمات على غرار النقاش الديمقراطي و شرعية الدولة ممّا خلق مشكلة قدرة الخطب المنبرية على التكيّف والتعايش معها ، وعلى المستوى الاجتماعي نجد الاستبداد بالرأي والعنف وعدم التسامح الذي يطبع العلاقات الاجتماعية المتوتّرة في أغلب محطّاتها ، والكبت الذي ورّثه الإرهاب ومن قبله الاستعمار، بالتأثّر الواضح بالغزو الثقافي وحُمّى الفضائيات ، وفوضى الأشكال الاجتماعية المستوردة المتناقضة ، والحملة الإعلامية التي يتعرّض لها الإسلام ، حيث يتّهمه بعض المفكّرين الغربيين بأنّه يقيّد حرّية الفكر مع أنّ التاريخ يحفظ جيّدا أنّ الإسلام لم يكن يعرف في عصور ازدهاره أيّ نوع من أنواع الإكراه في الوقت الذي مارست فيه الكنائس الغربية نفسُها سطوًا كريها على حرّية الفكر ، وقمعا للمفكّرين . (1)

(1) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1998 ، ص 60

2- 1- 1- المطلب الأول : التحليل الشكلي لمدوّنة الخطب المنبرية

لقد اخترت كمدوّنة (Corpus) للتحليل أربع خطب منبرية ، اثنتان منها رسمية ألقيت بعدّة مساجد بتلمسان وهي مأخوذة من ديوان الخطب المنبرية الذي تعدّه وزارة الشؤون الدينية ، أمّا الخطبتان غير الرسميتين فقد أخذتهما من بعض الأشرطة المسموعة المسجّلة (12 شـــريطا) بمساجد تلمسان ، حيث كتبت الخطب المختارة على النحو الذي ألقيت به تماما . وقد عمـــدت إلى اختيار الخطباء غير الرسميين الذين يحملون شهادات جامعية تفاديا للقياس على الأضعف ؛ حيث تمثّل هذه الشريحة من الخطباء كما سيأتي لاحقا 11 % فقط ، وذلك إمعان في دقّة التحليل وتأكيد النتائج .

وتمّ ترتيب الخطب حسب ورودها بالملحق في آخر هذه المذكّرة على الشكل التـــالي :

ـ الخطبة الأولى عنوانها : حادثة الإسراء والمعراج ، وهي خطبة غير رسمية ألقيـــت بـــأحد مساجد تلمسان بتاريخ 26 سبتمبر 2003 ، وقد رمزنا لها بالرمز خ ـ غ ـ ر1 س 03 .

ـ الخطبة الثانية عنوانها : صفات اليهود في القرآن الكريم ، وهي خطبة غير رسمية ألقيـــت بأحد مساجد تلمسان بتاريخ 26 مارس 2004 ، وقد رمزنا لها بالرمز خ ـ غ ـ ر2 س 04 .

ـ الخطبة الثالثة عنوانها : الدين والإنسان ، وهي خطبة رسمية ألقيت بعدّة مســـاجد بتلمســـان سنة 2004 ، وقد رمزنا لها بالرمز خ ـ ر3 س 04 .

ـ الخطبة الرابعة عنوانها : ذكرى يوم المجاهد (20 أغسطس 1955) ، وهي خطبـــة رســـمية ألقيت بعدّة مساجد بتلمسان سنة 2003 ، وقد رمزنا لها بالرمز خ ـ ر4 س 03 .

يظهر الجدول الآتي بعض المعطيات الشكلية :

رقم الخطبة	رمزها	نوعها	عدد صفحاتها	عدد سطورها	ملاحظات
1	خ ـ غ ـ ر1 س 03	محضّرة	6	120	طويلة
2	خ ـ غ ـ ر2 س 04	ارتجالية	12	233	طويلة جدّاً
3	خ ـ ر3 س 04	مكتوبة	4	68	مختصرة جدّاً
4	خ ـ ر3 س 04	مكتوبة	6	91	مختصرة

نلاحظ من خلال الجدول أنّ الخطبة غير الرسمية رقم 1 ورقم 2 (خ ــ غ ــ ر1 س03 و خ ــ غ ــ ر2 س04) أطول من نظيرتها الرسمية رقم 3 و رقم 4 (خ ــ ر3 س04 و خ ــ ر3 س04) ، وربّما يرجع ذلك إلى كون الخطب التي تنتمي إلى ديوان الخطب المنبرية أكثر انضباطا من حيث المحتوى والوقت الذي تستغرقه الخطب حين يتمّ إلقاؤها ، وما يؤكّد هذه النتيجة هو الظهور الواضح للفارق الموجود بين الخطبة غير الرسمية المحضّرة رقم 1 ، والخطبة غير الرسمية رقم 2 الارتجالية التي تعتبر أطول خطبة في هذه المدوّنة ، لأنّ الخطيب المرتجل يستعصي عليه تحديد الوقت الذي يُمضيه وهو فوق المنبر خاصّة مع الاسترسال غير الموضوعي في الشرح التلقائي لمادّة الخطبة غير المنظّمة ومع كثرة تكرار الجمل وغياب المنهجية في الانتقال من سياق إلى آخر ممّا يستدعي إنفاق الكثير من الوقت حتّى تستوفي الخطبة حقّها نسبيا وهو ما ينعكس على المصلّين بالإرهاق والمشقّة خاصّة في أيّام الصيف والحرّ القائظ، أو في الشتاء البارد مع ما يصاحب ذلك من ازدحام شديد نظراً للإقبال المتزايد على الصلاة يوم الجمعة وهو ما يبرّر وصف بعض الخطب غير الرسمية بالعنف في هذا الجانب من الممارسة غير المحسوبة ، والإطالة المفرطة في الإلقاء ، ممّا يؤكّد قلّة الفقه كما قال رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ : " ***إنّ طول صلاة الرجل ، وقصر خطبتهّ مئنّةٌ من فقهه*** " (رواه مسلم) (1) ، أي ممّا يُعرف به فقه الرجل ، وكلّ شيء دلّ على شيء فهو مئنّة له ، ويقول الصنعاني : " وإنّما كان قصر الخطبة علامة على فقه الرجل ، لأنّ الفقيه هو المطّلع على حقائق المعاني ، وجوامع الألفاظ ، فيتمكّن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة ، ولذلك كان من تمام هذا الحديث : (فأطيلوا الصلاة ، واقصروا الخطبة ، وإنّ من البيان لسحراً) (2).

---

(1) صحيح مسلم ، مصدر سابق ، باب الجمعة ، حديث رقم 48

(2) محمّد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ، سبل السلام ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلّة الأحكام ، المجلّد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1998 ، ص 105

— علاقة العناوين بالخطب

إنّ المتعارف عليه في تقاليد الخطب المنبرية ، تلك العلاقة التكاملية بين عنوان الخطبة ومضمونها ، فالعنوان يمثّل فكرة عامّة للخطبة إذا لم نقل أنّه اختصار لها ، فهل وفّقت الخطب التي بين أيدينا في هذا الجانب ؟ وهل كان اختيار العناوين جُزافا ؟ أم بالعناية الفائقة التي يتطلّبها وضعها على مستوى الإلقاء والوقع الذي تخلّفه لدى السامعين ؟

جاء عنوان الخطبة الأولى (خ ــ غ ــ ر1 س 03) غير الرسمية بصيغة غير شرعية في مدلولها ، فقد استبدل الخطيب لفظ " معجزة " باصطلاح " حادثة " ، وهو ما يفيد ربط الإسراء والمعراج بواقع سياسي ، بالإضافة إلى ربط الإسراء والمعراج الذي حدث بالمسجد الأقصى بالقضيّة الفلسطينية ؛ فالخطيب من ناحية يوظّف اصطلاحات ذات مضمون سياسي ووضعي ، وينزلها في سياق ديني وشرعي ، ومن ناحية أخرى ينزع إلى إسقاط الجزء على الكلّ ، حين يربط المضامين الخاصّة بالإسراء والمعراج ، المعجزة التي وقعت بجزء من مدينة القدس (المسجد الأقصى) بالواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني برمّته من الناحية الاجتماعية ، السياسية و الأمنية .

أمّا علاقة العنوان بالخطبة فتكاد تكون منعدمة فلا حديث عن التكامل مطلقا لأنّ العنوان منفصل عن الخطبة تماما ، ولا وجود للاتّصال بينهما إلاّ في الجانب الجغرافي لوقوع الأحداث وهو ما يفسّر الانصراف الغريب من الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج إلى التذكير بما يجري في فلسطين من أحداث وما ينجرّ عن ذلك من الخوض في معطيات التاريخ والسياق الإعلامي . ثمّ إنّ معالجة مثل هذا الموضوع ، تتطلّب نوعا من إشارات الربط بالواقع ، ولكن ليس إلى درجة الانزلاق التامّ نحو المعطى الإعلامي الذي يعطي الخطبة بُعداً صحافيا ، مع الاكتفاء بتلميح بسيط إلى قيمة المسجد الأقصى الذي يعدّ بدوره خارج موضوع الخطبة التي أشار إليها العنوان ، فكان يصلح أن تُعنون هذه الخطبة بناءً على ما تضمّنته بالعنوان التالي : تاريخ المجازر الصهيونية في فلسطين ، أو الانتفاضة خطّ الدفاع الأوّل عن الأقصى ، أو أيّ عنوان آخر يتناسب مع مضمون الخطبة ويتكامل معها .

وفي الخطبة الثانية (خ ــ غ ــ ر2 س 04) غير الرسمية كذلك ، وعلى عكس الخطبة الأولى ، نجد نوعا من التناغم في العلاقة بين العنوان ومضمون الخطبة مع وجود نقص في التكامل نسبيا ، فمن الحديث عن صفات اليهود في القرآن الكريم يبحث الخطيب عن صفاتهم في الواقع السياسي والإعلامي على وجه التحديد ، فيسترسل في سرد الوقائع المرتبطة بكلّ صفة من الصفات على غرار صفة الإفساد التي ربطها الخطيب بممارسات أصحاب رؤوس الأموال من اليهود في الولايات المتّحدة الأمريكية ، المالكين لأسواق السينما ، وشبكات الإعلام الدولية ؛ وإشعال اليهود لفتيل الحربين العالميتين (حسب رأي الخطيب دائما) مع أنّ المطلوب من خلال العنوان كان إبراز الصفات الواردة في النصّ القرآني والتفاسير المعتمدة لهذا النصّ ، والتفصيل في معاني الآيات التي تتضمّن تلك الصفات ، فلا نجد في الخطبة أيّ إشارة من هذا النوع ممّا يطرح إشكالية التأهيل في طرق مثل هذه المواضيع ، والسياق الذي تُناقش فيه ، حيث جاءت معالجة الخطبة موغلة في المعطى الإعلامي والتاريخي ، خالية من أيّ مرجع في التفسير ؛ بالإضافة إلى انفصال القسم الثاني من الخطبة عن عنوانها ، حين يخصّصه الخطيب للحديث عن جريمة اغتيال الشيخ أحمد ياسين . أمّا العنوان المقترح لهذه الخطبة فهو " التحذير من صفات اليهود وأخلاقهم " .

أمّا الخطبة الثالثة (خ ــ ر3 س 04) التي تنتمي إلى ديوان الخطب المنبرية الرسمية ، فقد ورد عنوانها بسيطا ومختصرا " الدين والإنسان " من حيث المبنى ، لكنّه غير محدّد من حيث المعنى ، فهو عنوان مفتوح ومطلق يحتاج إلى تقييد ؛ ممّا يعني إخفاق هذه الخطبة كذلك في الارتباط التكاملي مع عنوانها ؛ حيث عالجت الخطبة ضرورة الالتزام برسالة الإسلام ، وما ينبغي أن تكون عليه مهمّة الإنسان المسلم ، في حسن استغلال النعم ، ومحاربة الاستغلال لتحقيق الرخاء والتعاون في ذلك ؛ ولعلّ العنوان المقترح الذي قد يوافق مضمون الخطبة هو : " رسالة الإنسان في الإسلام " ، لأنّ الدين قد يعني غير الإسلام عند كثير من البشر في هذا الوجود ، رغم حديث الخطبة عن التعاون الإنساني باقتضاب شديد .

ولم تخرج الخطبة الرسمية الرابعة (خ ــ ر4 س03) عن القاعدة ، فكان الانفصال هو النعت الذي توصف به علاقة الخطبة بعنوانها ، فإذا كان العنوان يتضمّن الإشارة إلى إحدى

الذكريات الوطنية ، وهي ذكرى يوم المجاهد التي تصادف يوم 20 أوت من كلّ عام ، وهو ما يعني تكرار الخطبة كلّ عام ، فبدل أن يذكّر الخطيب بمعاني هذه الذكرى وما ترمي إليه من وجهة نظر شرعية ، وبسرد الوقائع التاريخية التي صاحبت هجمات الشمال القسنطيني التي قادها المجاهدون الأشاوس ، انصرف الخطيب إلى شرح معاني الجهاد ، وفضل الاستشهاد ، والاستغراق في ذلك ببيان أنواع الجهاد ووسائله ، مع التغييب الواضح للواقع الجهادي الذي عايشه هذا الوطن لمدّة تزيد عن القرن ، من المقاومة الشعبية إلى ثورة التحرير المظفّرة .

فمن خلال ما تقدّم ، تبدو واضحةً علاقةُ عدم التكامل بين العنوان و الخطبة ، بل جاءت بعض العناوين منفصلة تماما عن مواضيعها ، والغريب هنا هو استواء الخطب الرسمية مع نظيراتها غير الرسمية في هذا الأمر ، رغم خضوع الأولى للتنقيح والتحضير ، كما استوت في ذلك الخطبة غير الرسمية المحضّرة ، مع الارتجالية ، بل إنّ هذه الأخيرة بدت الخطبة الوحيدة التي اقترب عنوانها من مضمونها بعض الشيء خاصّة في قسمها الأوّل ، ولعلّ ذلك يرجع إلى امتدادها الكمّي الذي حسّنها في هذا الجانب كما عيّبها من قبل .

2- 1- 2- المطلب الثاني : تحليل مضمون مدوّنة الخطب المنبرية

وبتطبيق تقنية الاختصار نحصل على الثبت الموالي ، الذي يصنّف العناصر والأفكار الهامّة للخطب بالترتيب والتي تبدأ عادةً بالحمد والتهليل والصلاة والسلام على رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وهي مقدّمة الخطب المنبرية في الغالب :

ـ **الخطبة الأولى (خ ـ غ ـ ر1 س03)** هي خطبة غير رسمية تناول فيها الخطيب موضوع الإسراء والمعراج ؛ لكنّه لم يركّز على موضوع قيمة المسجد الأقصى من الناحية الروحية ، بل ركّز على متابعة الأحداث في المنطقة ، ووصف المجازر الإسرائيلية السابقة .

ففي القسم الأوّل من الخطبة نجد :

ـ التحذير من خطورة حملة التهويد التي يتعرّض لها المسجد الأقصى .

ـ بيان الأهمّية الروحية للمسجد الأقصى .

ـ التذكير بما يحدث في فلسطين من مجازر وهدم للبيوت وربط ذلك بتاريخ اليهود .

ـ وصف بعض المجازر الإسرائيلية في فلسطين باستغراق وتفصيل وهي على التوالي :
مجزرة دير ياسين ، كفر قاسم ، تلّ الزعيتر ، صبرا وشاتيلا .
ـ التأكيد على المباركة الأمريكية والأوربية لتلك المجازر .
ـ ربط الأحداث الآنية في فلسطين بمسلسل الإجرام اليهودي _ حسب تعبير الخطيب _ .
ـ دخول شارون الاستفزازي إلى عتبات المسجد الأقصى الذي يعدّ مساسا بمشاعر المسلمين يعيد إلى الذاكرة ما فعله شارون في صبرا وشاتيلا .
ـ الدعاء على اليهود بالشتات والدمار ، والدعاء للفلسطينيين بالثبات والشهادة .

وفي القسم الثاني من الخطبة :
ـ ضرب الشباب الفلسطيني أروع الأمثلة في كراهية الدنيا واسترخاصها وحب الموت .
ـ مدح العمليات الاستشهادية بوصفها مرعبةً لليهود .
ـ الدعاء للفلسطينيين بنيل شرف الشهادة .
ـ الدعاء على اليهود بالزلزال والشتات والدمار وإغراق السفن وتنكيس الأعلام .
ـ الانتقال إلى مقام الدعاء للوطن الجزائري بالحفظ والأمن .
ـ الدعاء بتولية الأخيار من وُلاة الأمور ، وعدم التمكين للأشرار منهم .
ـ الدعاء لعامّة الناس من المرضى والمغبونين والدعاء بالرحمة للأموات ، والأدعية المأثورة الأخرى .
ـ **الخطبة الثانية (خ ـ غ ـ ر2 س04)** وهي أيضا من الخطب غير الرسمية حيث عالج فيها الخطيب موضوع صفات اليهود في لقرآن الكريم وتأويلها بطريقة تربطها بالأحداث السياسية والثقافية .

فكان ثبت القسم الأوّل من الخطبة محتوياً على :
ـ ذكر أسباب الحديث عن صفات اليهود .
ـ ضرورة الابتعاد عن صفات اليهود باعتبارها صفات ممقوتة .
ـ بيان حقيقة اليهود بعيداً عن وسائل الإعلام وبخاصّة القنوات الفضائية والصحف الإخبارية .

ـ وصف اليهود الذات الإلهية بالبخل .
ـ ادّعاء اليهود على الأنبياء وقولهم أنّ عُزير هو ابن الله ، والله في غنًى عن الولد .
ـ الحديث عن قلّة الأدب مع الله وأنّ من يتّصف بذلك لا يمكنه التأدّب مع البشر .
ـ كتابة اليهود للكتب بأيديهم ونسبتها إلى الله ، الوعيد الشديد بالويل لمن أقدم على ذلك .
ـ فعل اليهود للمنكرات وعدم نهيهم عنها جعل اللّعنة تنزل عليهم .
ـ تشجيع اليهود على الفساد بالمال .
ـ غاية الإفساد ما زالت موجود في يهود اليوم متمثّلة في توظيف دور السينما ، البنوك الربوية ، القنوات الجنسية ، وعبر مواقع الأنترنيت .
ـ من الصفات اليهودية أكل الحرام والحقد على المسلمين حسداً من عند أنفسهم ، لعلمهم أنّهم على الحقّ .
ـ إشعال اليهود للفتن والحروب ، وأنّهم كانوا وراء الحربين العالميتين الأولى والثانية (الأسباب الخفيّة حسب الخطيب) ، والثورتين الفرنسية والإنجليزية .
ـ كانت أهدافهم من إشعال الحروب كلّها ماديّة بحتة .
ـ ذكر نقض اليهود للعهود والمواثيق .

وفي القسم الثاني من الخطبة :

ـ الحديث عن اغتيال الشيخ أحمد ياسين .
ـ وصف الحالة المرضية للشهيد المشلول المقعد .
ـ شرح أبعاد وملابسات هذا الاغتيال ، وطريقته .
ـ يجب استخلاص الدروس والعبر من هذا الاغتيال .
ـ الدرس الأوّل : تحقيق أحمد ياسين للشهادة التي كان يطلبها .
ـ الدرس الثاني : مشاركة الولايات المتّحدة الأمريكية في جرائم إسرائيل وإمدادها بالمال والسلاح ، وباستخدام حقّ النقد " الفيتو" دفاعا عن مصالحها .
ـ بوش هو المحرّض على الاغتيال باعتباره المقاومة الفلسطينية إرهاباً .
ـ الاستغراب من تصريحات المسئولين الإسرائيليين الذين اعتبروا أنّ الشيخ أحمد ياسين

يستحقّ القتل لأنّه يدافع عن أرضه وعرضه ، ومقدّساته .

ـ السياسة الأمريكية تجعل الإرهابي هو الضحيّة والعكس صحيح .

ـ السياسة لم تعد فنّا بعد أن حوّلها " رُعاة البقر " (حسب تعبير الخطيب) إلى مسرح للشعوذة ووصف السياسيين بالمشعوذين .

ـ شرح بعض مصطلحات المعجم السياسي الأمريكي الجديد ، ومنها اعتبار الاستعمار الفاحش للشعوب تحريرًا ، والمقاومة إرهاباً ، والإبادة الجماعية للشعوب مجرّد مبالغة في العنف ، أو خطأً بشريا مبرّراً ، وخيانة الوطن بالتواطؤ مع المحتلّين نزاهةً وإحقاقا للحقّ .

ـ الدرس الثالث : موت الشيخ ياسين لن يُضعف المقاومة ، بل سيكون لعنةً على إسرائيل .

ـ ذكر مسلسل الاغتيالات التي نفّذتها إسرائيل ضدّ أبي يوسف النجّار ، أبي جهاد ، أبي إيّاد ، يحيى عيّاش ، إسماعيل أبي شنب .

ـ الجهاد لا يتوقّف بموت القائد ولو كان رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ ، كما حدث في غزوة أُحد لمّا أُشيع موته _ صلّى الله عليه وسلّم _ .

ـ الشعب الفلسطيني شعب ولود منجب للأبطال .

ـ الدرس الرابع : واجب المحافظة على الوطن من الفتن الداخلية ، والتذكير بما عاشته الجزائر من أحداث دامية مورداً مقولة الإبراهيمي " الاستعمار شيطان " .

ـ حثّ المصلّين على الذهاب للانتخابات الرئاسية حفاظا على مصلحة الوطن من التهديدات الخارجية .

ـ عودة الاستعمار الحقيقي من جديد إلى العراق ، زيادة على الاستعمار الثقافي والأخلاقي .

ـ تهنئة الشيخ أحمد ياسين بالشهادة .

ـ توعّد شارون بالويل ، ووصفه بالخنزير واللّعين ، والدعاء عليه بالدمار ، ووقف الدم في عروقه ، وحبس الأنفاس في صدره ، لأنّه صرّح بإشرافه على عملية الاغتيال ؛ والدعاء عليه كذلك بالشلل ، والجلطة التي يعاني منها سنينا وسنينا .

ـ تعميم الدعاء على كلّ اليهود بالدمار .

ـ الدعاء للوطن بالاستقرار والأمن ، ولمّ الشمل .

ـ الدعاء بالولاية للأصلح .

ـ **الخطبة الثالثة (خ ـ ر 3 س04)** وهي خطبة رسمية تعالج موضوع حمل الإنسان المسلم لأمانة الدين ممثّلاً في رسالة الإسلام ، والاستفادة من النعم لتحقيق العزّة والاستقلال الاقتصادي ومقاومة الاستغلال غير المشروع لثروات البلد بكلّ الوسائل المتاحة .

وقد تضمّن القسم الأوّل من الخطبة ما يلي :

ـ الإسلام هو النظام المختار لنا من الله .

ـ كتب الله الهداية لمن اتّبع هذا النظام ، والشقاء على من انحرف عنه .

ـ إتباع هذا النظام أساس الحياة الطيّبة والسعيدة .

ـ الإسلام رسالة شاملة وجامعة ، متكيّف مع متطلّبات الحياة في كلّ زمان ومكان .

ـ رفعت رسالة الإسلام من قيمة الإنسان في الوجود بوصفه خليفةً في الأرض ، وتسخير قوى الطبيعة لخدمته .

ـ واجب الاستفادة من النعم لتحقيق العزّة للأمّة .

ـ البعد عن الشريعة يُفقد الأهلية لحمل الأمانة التي أشفقت الجبال والسموات والأرض من حملها .

ـ الوفاء بالأمانة يكون بالانقياد التامّ للشريعة والاستفادة من النعم لتحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض .

ـ التحذير من التفريط في النعم ، ومن الاستغلال الأجنبي ، والاستنزاف الاستعماري .

ـ الالتزام بنظام الإسلام وتعاليمه في محيط الأسرة والعمل ، وفي التعامل مع الناس .

ـ الدين هو طاقة الرخاء ، والقوّة العاصمة من الاستضعاف ، وهو الباعث على التضامن والتعاون .

ـ دعاء عام بشرح الصدور والقلوب بالإيمان والنور ، وإفراغ الصبر .

واحتوى القسم الثاني على ما يأتي :

ـ الإسلام يوصي بالتعاون الإنساني وبإقامة علاقات عالمية تحقّق المصلحة المشتركة ، حتّى

مع الاختلاف في العقيدة .

ـ الإسلام يمقت استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، كما يمقت استسلام المسلم لهذا الاستغلال .

ـ المسلم مطالب بمقاومة الاستغلال حتّى يتحرّر من التبعية .

ـ مبدأ تحقيق العدالة الإنسانية في الإسلام (قصّة عمر بن الخطّاب مع الشيخ اليهودي) .

ـ تحذير المسلمين من استغلال الأجانب لثرواتهم ، ومطالبتهم بالحذر واليقظة ، والاستعداد التامّ للمقاومة .

ـ مطالبة المسلمين بالبحث عن التحرّر الاقتصادي ومقاومة الاستغلال ، ويجب أن يتحوّل ذلك إلى قتال ، وبيان أنّ من مات منهم في تلك المهمّة فهو شهيد .

ـ الشعب الجزائري على أتمّ الاستعداد للتضحية من أجل تلك الغاية .

ـ دعاء عامّ بالتوفيق والنصر ووحدة الصفّ مع الحقّ .

ـ **الخطبة الرابعة (خ ـ ر4 س03)** وهي خطبة رسمية كذلك في ذكرى يوم المجاهد تتحدّث عن فضل الجهاد وأنواعه وأهدافه والأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها المجاهدون .

وقد عالج القسم الأوّل من الخطبة ما يلي :

ـ تشريع الجهاد دفع للعدوان وحماية للعقيدة ، وحرية الأوطان.

ـ الجهاد ردّ على معاداة الأعداء ، ودرء لخطر الاحتلال ، وما يصحبه من ذلّ وهوان .

ـ فتنة الدين أشدّ ضرراً من القتل .

ـ القتال في الإسلام قضاء على الفساد .

ـ أمر الله بالصبر والمرابطة وحماية الثغور والحدود .

ـ التقوى هي طريق الفلاح .

ـ المجاهدون باعوا أنفسهم وأموالهم لله وهو شرف لهم .

ـ بيان فضل الرباط والجهاد والاستشهاد .

ـ الإيمان هو طريق الحرية والكرامة .

ـ الإيمان هو طريق النصر في الجهاد .

ـ النضال والكفاح هما أساس التصدّي للطامعين والمتربّصين .

ـ المزاوجة بين الزهد والعبادة و التقوى ، والشدّة والبأس في الجهاد .

ـ الجهاد تجارة مُنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، وسبيل إلى الفتح في الدنيا ، ودخول الجنّة في الآخرة .

ـ دعاء بالصبر على الجهاد والعون على الأعداء .

وجاء القسم الثاني من الخطبة محتويا على النقاط التالية :

ـ الجهاد ثلاثة أنواع : بالمال ، بالنفس ، وباللّسان ، وهي مراتب مع التركيز على بذل المال .

ـ المال هو عصب الحياة ، ولاشكّ أنّه طريق إمداد الجنود المحاربين .

ـ اللّسان هو وسيلة دعاية ، ووسائل الإعلام طالما استثمرتها بعض الجهات في الدعاية لقضاياها .

ـ دعاء بالتزام حدود الدين فيما يبدو من معالم الجهاد ، والتوصية بإعداد القوّة التي ترهب الأعداء .

ـ الدعوة إلى الاتّحاد في الجهاد ، ودعاء عام بجمع الصفوف ، والنصر للعرب والمسلمين .

أ- انحراف المتن الخطابي من الديني إلى السياسي

إذا ما تأمّلنا الخطبة الأولى غير الرسمية (خ ـ غ ـ ر1س03) ، والتي كان من المفروض أن يكون هدفها إبلاغيا يعرّف السامع بحيثيات هذه المعجزة التي يجهلها كثير من المصلّين ؛ راحت الخطبة ترسم معالم أخرى في وظيفة مضمرة لا تمتّ إلى النسق الخطابي الإبلاغي بالصلة ، بل إنّها صارت تجعل من التأثير على السامعين هدفها الخطابي الأوّل ، فإنّك تلحظ الانصراف المطفّف في بداية الأمر إلى الإشادة بالقيمة الروحية للمسجد الأقصى التي يعرفها أغلب المتلقّين (إذا لم نقل كلّهم) ويوظّف بعض الآيات والأحاديث ، رغم أنّ الموضوع هو الإسراء والمعراج ، وكأنّه نوع من الاستدراج والاستمالة التي تسبق الانحراف التام عن موضوع الخطبة ، حيث نجد أسلوب التهويل الصحفي حاضرا بقوّة في قول الخطيب : " المسجد الأقصى ... مقرّ الحدث ... مركز النبأ " ، وبعد رسم الصورة العظيمة

والمؤثّرة عن أهمّية الأقصى والتي شابها نوع من النقص من خلال التركيز على كون هذا المسجد ثاني مسجد في البناء ، والثالث في الفضل ، لكنّه أغفل أهمّيته عند المسلمين فهو أوّل قبلة لهم ، وهذا يرجع إلى عدم التركيز على موضوع الخطبة من الناحية الدينية ؛ فيأتي الانتقال مباشرة إلى التذكير بما يحدث في فلسطين ، فيصف المجازر بتدقيق صحفي خارق للعادة ، وبتصوير فنّي بالغ التأثير ، بغية ربط الموضوع الذي لم يُعالج (الإسراء والمعواج) بواقع سياسي فلسطيني تطغى عليه التفاصيل الدامية للأحداث المتسارعة هناك ، مع تذكير الخطيب بالحلقات السابقة لهذه الأحداث بنفس درامي بعيد كلّ البعد عن موضوع الخطبة المعلن والدليل على ذلك تركيزه على مجزرة صبرا وشاتيلا ، وربطها بممارسات شارون ، وحادثة دخوله باحة القدس ، ممّا يؤكّد الارتباط العضوي للخطيب بالأحداث هناك عبر وسائل الإعلام والفضائيات . ويتّضح الانزلاق نحو السياق السياسي جليّا في انتقاله في القسم الثاني من الخطبة إلى امتداح العمليات الفدائية التي يقوم بها الشباب الفلسطيني ممّا جعلهم مثالا للتضحية (على حدّ تعبير الخطيب) .

وفي الخطبة غير الرسمية الثانية المرتجلة (خ ــ غ ــ ر2 س04) ، لم يلبث الخطيب كثيرا في تعداد صفات اليهود كما وردت في القرآن الكريم (بدون الرجوع إلى كتب التفسير التي لم يرد لها أيّ ذكر بالمرّة) ، ليربطها في كلّ مرّة بالواقع الإعلامي والسياسي ، مثل صفة الفساد أو غاية الإفساد التي حصرها في إنشاء دور السينما ، والبنوك الربوية ، والقنوات الجنسية ، ومواقع الانترنيت الخليعة ؛ وإشعال اليهود لفتيل الحروب الذي ربطه الخطيب بجملة من الأحداث السياسية ، مثل جرّ الولايات المتحدة الأمريكية للحرب مع ألمانيا ، والتسبّب في نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية (الأسباب الخفيّة حسب الخطيب) ، وكذا الثورة الفرنسية ، وما سمّاه الثورة الإنجليزية ، وجعل الأساليب المستخدمة كلّها مادية .

ويظهر الانصراف المستفيض والاستغراق التام في المعطى السياسي في القسم الثاني من الخطبة حين ينتقل الخطيب بكلّ ما يملكه من آليات تعبيرية إلى الوصف الدقيق والشامل لتفاصيل اغتيال الشيخ أحمد ياسين، بل يتحوّل من مقام الصحافة إلى مقام التصريح السياسي حين يتّهم بوش ومن ورائه الولايات المتحدة الأمريكية بالمشاركة في جريمة الاغتيال ، ثمّ إلى

منظّر سياسي حين يقف منتقداً قاموس المفردات الجديدة للمعجم السياسي الأمريكي _ كما يسمّيه _ ، ثمّ مدافعاً عن أمن الوطن الجزائري واستقراره ، حين اعتبر الانتخابات الرئاسية السابقة رهانا حقيقيا للحفاظ على مصلحة الوطن واستقلاله بعد عودة الاستعمار الحقيقي إلى العراق ، فكانت دعوة الخطيب للذهاب للانتخابات قويّة تغلّفها المخاوف من عدم اختيار الأصلح لقيادة هذا الوطن؛ والخطيب في هذه الحالة وفيما سبقها من حالات قد أقتحم عدّة أجواء خارج إطار اختصاصه ، بل عكف على استعمال سلطة غير مخوّلة .

أمّا الخطبة الثالثة الرسمية (خ ــ ر 3 س04) ، فقد كان انحرافها طفيفا إذا ما قورن بسابقاتها ، ويتجلّى ذلك في التحذير من الاستنزاف الاستعماري ، والاستغلال الأجنبي للثروات في إشارة إلى الثورة الاشتراكية التي عرفتها الجزائر في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي ، والتي ما تزال رواسبها إلى الآن ، فالتوصية مثلا بإقامة علاقات بعيدة عن عدم التكافؤ يجرّ إلى نقد النظام السياسي والاقتصادي اللّبرالي كشكل من أشكال الهيمنة الإمبريالية ، والخطبة أوصت بعلاقات عالمية تحكمها المصالح المشتركة ، والتحرّر عند اتّخاذ القرارات الاقتصادية من التبعية السياسية للخارج ، وتمجيد مبدأ " عدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان " ، وتخوج الخطبة عن سياقها الموضوعي الديني المتمثّل في تبيان رسالة الإنسان في النظام الإسلامي المرتكز على استغلال النعم في تحقيق الرخاء للأمّة ، إلى المطالبة بمقاومة الاستغلال الرأسمالي ، واستكمال التحرّر الاقتصادي ، والتذكير بالتضحيات الجسيمة للشعب الجزائري ، وأنّه على أتمّ الاستعداد لتقديم المزيد من التضحيات في سبيل تأميم ثرواته الطبيعية ، وضمان حرّية التصرّف فيها .

أمّا الخطبة الرسمية الرابعة (خ ــ ر4 س03) ، فلم تتضمّن إلاّ بعض الإشارات الضمنية التي لا يمكن أن تعتبر انحرافاً عن موضوع الخطبة ، فعند تناول الخطبة لمسألة الدعاية وقت الحرب ، وتجنيد وسائل الإعلام في سبيل ذلك ، يتعرّض الخطيب بالإشارة إلى قضيّة المحرقة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية ، وكيف استغلّها اليهود في كسب استعطاف العالم ومؤازرة الرأي العامّ الدولي . رغم أنّ موضوع الخطبة يحتمل الخوض في بعض الأحداث السياسية التي مرّت بها البلاد في بداية ثورة التحرير ، فذكرى 20 أوت 1955

لا يمكن فصلها عن السياق التاريخي الحافل بالأحداث التاريخية ؛ فعدم التعرّض لذلك يعدّ من المآخذ والعيوب التي يوصف بها الخطاب الرسمي المبتعد عموما عن الواقعية ، والغارق في الرتابة ، بجفاف محتواه ، وعدم قابليته للتجديد ؛ فقد رأينا كيف عادت الخطبة السابقة إلى عبارات ومصطلحات اشتراكية تنتمي إلى السبعينيات من القرن الماضي ، وكيف دعت إلى مبادئ اقتصادية تُخالف توجّهات الحكومة الجزائرية حاليا .

ب- الجانب التوظيفي والأساليب المستخدمة

يمكن حصر الجانب التوظيفي للمتن الخطابي (corpus) ، في الآيات والأحاديث ، والأساليب والعبارات والألفاظ (المصطلحات) التي مثّلت البُنية التركيبية للخطب بنوعيها الرسمي وغير الرسمي ، ومنها أسلوب التكرار والتهويل ، التهييج والاستمالة العاطفية ، الألفاظ العامّية ، والعبارات المسيئة والمثيرة ، وحتّى الأرقام بشكل محدود .

ب- 1 - الآيات والأحاديث

إنّ الناظر إلى الخطبة الأولى غير الرسمية (خ ــ غ ــ ر1 س03) ، يتعجّب من العدد القليل للآيات والأحاديث الموظّفة فيها ، فباستثناء آيات المقدّمة التي تُستفتح بها الخطبة ، اكتفى الخطيب بآية وحديثين ، وهو توظيف محدود ، يدلّ على عدم الاهتمام بموضوع الخطبة والانصراف إلى وصف مجازر الصهيونية في فلسطين ، هذا بالإضافة إلى أنّ الاستشهاد بالآية الكريمة : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ "

(الإسراء : 1) ، لم يأت في سياق شرح أبعاد معجزة الإسراء والمعراج ، وإنّما جاء في ذكر فضل المسجد الأقصى ، ونوع من التمهيد للتطرّق لأحداث فلسطين ، وهو ما اعتُبر استدلالاً في غير محلّه .

ولقد رسمت الخطبة غير الرسمية الثانية (خ ــ غ ــ ر2 س04) وجها آخر للغرابة بعدم توظيف أيّ حديث شريف ، ويدلّ هذا كذلك على عدم تحضير الخطبة باعتبارها ارتجالية ارتأى صاحبها الاكتفاء بآيات القرآن التي يحفظها ، وجاء توظيفه للنصّ القرآني في كثير من المواضع غير دقيق ، ففي بيان صفات اليهود يستدلّ بقوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ " (النساء : 44) ، فقد تكون هذه الصفات في غير اليهود ، كما هو شأن الاستدلال بأدلّة تحريم الكذب ونقض العهود ، التي تعدّ كذلك من صفات المنافقين حتّى من بين المسلمين .

وسارت الخطبة الرسمية الثالثة (خ ــ ر3 س04) على نفس منوال سابقتها غير الرسمية في عدم توظيف أيّ حديث رغم كونها محضّرة باعتبار انتمائها لديوان الخطب المنبرية ولمّا كان موضوع الخطبة غير محدّد ، كان الاستشهاد بالآيات غير دقيق في مجمله ، فمثلا جاء توظيف الآية الكريمة : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " (الأنعام : 153) للتأكيد أنّ الإسلام هو الدين الذي اختاره الله للبشرية ، وهو الرسالة الجامعة والشاملة ، وكان الأحرى هو توظيف آية أخرى أقرب إلى هذا المعنى وهي قوله تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (آل عمران : 19) ، ويدلّ هذا كذلك على سوء ترتيب الاستشهاد بالأدلّة في هذه الخطبة التي جاءت مبعثرة في سياقها الموضوعي ، نظرا لعمومية توظيف الأدلّة في الغالب ، بالإضافة إلى ورود بعض الأخطاء في ذلك مثل الخطأ العقائدي في تفسير الخطيب لقوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " (البقرة : 30) ، حين تحدّث عن دور الإنسان " في خلافة الله في أرضه ؟؟؟ " ، فالله لم يغب على الأرض حتّى يستخلف الإنسان فيها ، وإنّما كان المقصود هو خلافة البشر بعضهم بعضا ، وهو ما عبّر عنه الخطيب بطريقة قد يُفهم منها أشياء أخرى ، فالدقّة مطلوبة في مثل هذه القضايا الدقيقة ، لأنّ هذا الأمر قد يستغلّه بعض مرضى النفوس في الإساءة إلى الخطباء واتّهامهم .

وجاء توظيف حديثين فقط في الخطبة الرسمية الرابعة (خ ــ ر4 س03) ، ليُظهر مدى العزوف عن توظيف الأحاديث في سياق المتن الخطابي الذي بين أيدينا ، والاكتفاء بالآيات القرآنية التي جاءت في هذه الخطبة أكثر توافقا في الاستدلال مع المضامين الأخرى إذا ما قورنت بالخطب السابقة ؛ ولكنّ إهمال الخطابين الرسمي وغير الرسمي للأحاديث النبوية ، وعدم الاستشهاد بها في سياق الشرح والبيان لمختلف القضايا المعالجة أو المطروحة على بساط الدرس ، جعل المجال يُفسح واسعا للانتقادات الموجّهة للخطباء الجزائريين ، والتي تتّهم بعضهم بعدم الأهلية لاعتلاء منابر الخطابة يوم الجمعة ، بل إنّ ذلك يعدّ ورقة رابحة قد يستخدمها بعض أدعياء الدفاع عن السنّة والمنتسبين بلا نسب لأهل الحديث ، في ضرب مصداقية هؤلاء الخطباء ورميهم بالجهل ، ويوفّر فرصة سانحة للنيل من مؤسّسات تكوين هؤلاء الخطباء كالزوايا ، والجامعات الإسلامية ، ومراكز تكوين الأئمّة ، والطعن في تأهيلها لتلك المهمّة من الأساس .

إنّ عدم التحكّم في توظيف النصّ الشرعي (القرآن والحديث) والذي تساوى فيه الخطابان الرسمي وغير الرسمي ، يكشف ضرورة إعادة تأهيل الخطابين معاً ، فلم تعد المسألة مقتصرة على درجة التحضير فحسب ، بل على مستوى التأطير والتكوين أيضا .

ب- 2 - الاستهواء والتكرار وأساليب التمويل (مزالق العنف اللاشعوري)

لقد استفدنا ممّا سبق ، أنّ الوظيفة الإبلاغية في الخطاب الإسلامي المسجدي قد لا تكون هي الطاغية من الناحية الكمّية ، لأنّ ثمّة وظائف تأثيرية أخرى قد أخذت بحظّ وافر من هذا الخطاب ، وأسبغته بصبغتها بشكل عمدي أو عفوي ، وهو ما ظهر على المتن الخطابي الذي بين أيدينا ، والذي يتميّز في مجمله بتوظيف العبارات المكرّرة ، والألفاظ المعبّرة ، وحشد الصور المؤثّرة ، بهدف الاستدراج ، وباستخدام آليات التهييج ، والاستمالة العاطفية ، والتعبئة الفكرية ، وحتّى الأرقام في بعض الخطب ، ونأتي فيما يلي إلى إبراز ذلك من خلال استنطاق المتن الخطابي (موضوع البحث) .

ففي الخطبة الأولى غير الرسمية (خ ــ غ ــ ر1 س03) ، نجد الحضور اللاّفت لأسلوب التكرار إمّا بإعادة العبارات نفسها ، أو بتغيير بعض الألفاظ في هذه العبارات ومن أمثلة ذلك : " كيف ننسى يا اخوة الإسلام مجزرة ... " العبارة التي تكرّرت 11 مرّة في هذه الخطبة والتي جاء ت في سياق الاستمالة العاطفية والتقرّب من جمهور المصلّين والوصول إلى قلوبهم ، باستخدام أسلوب الاستفهام الإنشائي بغرض التحذير من نسيان المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في حقّ الشعب الفلسطيني، ومن الأمثلة كذلك : " مذابح شرسة ... جرائم شرسة ...مجازر دامية " التي وظّفها الخطيب في وصف الوضع الفلسطيني والأحداث المصاحبة لذلك من نسف للبيوت وغيره ، ويكرّر عبارة : " لا أظنّ أنّكم نسيتم تاريخ اليهود الأسود ..." ، ليحذّر من النسيان ، ويقوم بربط تسلسلي لمجموعة من المجازر والجرائم ، وبحشد المزيد من الصور المؤثّرة ، واستخدام أسلوب التهييج ، والاستمالة العاطفية مع التكرار ، والعبارات التي تحرّك النفوس ، مع الوصف الدقيق لتفاصيل هذه المجازر بالأرقام والمشاهد التي تبدو حيّة بفضل النسق الجريء من الألفاظ المستخدمة ؛ ففي وصف مجزرة " دير ياسين " هناك تكرار العبارات والألفاظ التالية : " كيف ننسى ... كيف ينسى المسلم ... " ، " بلدة دير ياسين ...مجزرة دير ياسين " " قتلوا أكثر من 250 شخصا " ، والتكرار باستبدال المرادفات مثل : " كان من بين القتلى ...كان من بين الشهداء " ، " 25 امرأة حبلى ... 25 امرأة حامل " ، " أجبروا ...أرغموا " ، و تكرار الشرح بالعامّية مثل : " يدوسوا جثث إخوانهم الشهداء ... (يعفسوا) على جثث إخوانهم " ، حيث نلاحظ هنا كيف وظّف الخطيب أسلوب التكرار بغرض التأثير على جمهور المستمعين ، وإلهاب عواطفهم ، وهزّ مشاعرهم ، فكان استخدام لفظ قويّ الدلالة من العامّية " يعفسوا " ، والأرقام " 250 شخصا ...25 امرأة حبلى ...52 طفلا دون العاشرة " لتخدم نفس الغرض السابق ، مثل ما هو حال حشد الصور المؤثّرة ، على غرار : صورة النساء الحوامل ، والأطفال الصغار ، وبقر البطون واستخراج الأجنّة منها والتمثيل بالجثث بعد القتل . وتتكرّر نفس التقنيات في وصف مجزرة " غزّة " ، فكان تكرار عبارات مثل : " معسكر اللاّجئين النيام ... وهم نيام ...الأبرياء ...العُزّل...النائمين الآمنين " ، وتوظيف الأرقام " سنة 1955...قتلوا 33 شخصا " ، لتهدف إلى استمالة العواطف فالألفاظ

المستخدمة قويّة الدلالة والتأثير مثل : " العُزّل ...الآمنين " ، ويأتي أسلوب التهويل من خلال قوله : " كانوا يقصدون قتل الجميع " ومصدره في ذلك الصحافة التي ينقل عنها عبارة : " كما يقول شاهد عيان " ، و " الجرحى عدد كبير " ، وهو نوع من العزوف عن التحديدات السابقة واللاّحقة ، بتغييب رقم الجرحى ، وغموض المصدر . وفي وصف مجزرتي " كفر قاسم" و" تلّ الزعيتر" ، تعود تلك التحديدات الصحفية باستخدام الأرقام ، وبالتركيز على فئة معيّنة من الضحايا (النساء والأطفال) بهدف التأثير على السامعين ، مع تكرار العبارات السابقة : " كيف ننسى ...وكيف ننسى" ، والأرقام " سنة 1956 ...57 قتيلا ...17 امرأة من القتلى ...سن 1976 " ، والمبالغة في التهويل مع التكرار في قوله : " تخيّلوا هذه المجزرة استمرّت 55 يوما ...كانت النتيجة أكثر من3000 قتيل ...أكثر من 3000 قتيل ... والعالم ينظر...والعالم ينظر عربا وعجما " ، فلفظ " التخييل " هنا يقع بالتأكيد _ حسب محمّد العمري _ تحت طائلة العنف اللّفظي الذي يقابل القمع المادّي (1) ، والغريب في هذا السياق وصفه لمجزرة تلّ الزعيتر بالعظيمة ، ثمّ استدراكه على هذا الخطأ بقوله " عند الله تبارك وتعالى " ؛ بل إنّ الغريب فعلا هو عدم إعطاء مجزرة " صبرا وشاتيلا " الأهمّية التي تستحقّها (على الأقلّ بالمقارنة مع المجازر الأخرى) ، فقوله " كلّكم تسمعون بهذه المجزرة " ربّما قد أغنى عن بعض التفاصيل التي اعتاد الخطيب على الإتيان بها ، بالإشارة الخفيفة إلى العناصر السابقة للوصف ، بتكرار : " الأطفال ... النساء " والأرقام " 15000 قتيل ...15000 قتيل ... 36 ساعة " ، مع إضافة بعض الأوصاف مثل : " الأطفال الرضّع ...ونساء انتهكت حرمتهنّ وكرامتهنّ " ، وتأكيده على المباركة الأمريكية والأوربية لجرائم اليهود ؛ أمّا قوله الذي تكرّر مرّتين : " أقلّ شيء الدعاء " فقد يُفهم منه مطالبة الخطيب بأكثر من الدعاء ؛ ويتكرّر الخطأ السابق : " المجزرة العظيمة " ، ولكن دون استدراك هذه المرّة . ولعلّ عدم الاستغراق في الوصف هذه المرّة يعود

(1) محمد العمري ، مرجع سابق ، ص 10

إلى الهدف المضمر الذي يريد الخطيب التوصّل إليه بالانتقال إلى سياق آخر ، بربط هذه المجزرة بشخصية " شارون " ، فيتكرّر لفظ " حلقة " خمس مرّات في الإشارة إلى مسلسل المذابح والجرائم ، ويتفنّن الخطيب في وصف شارون بنعوت قريبة من السبّ والشتم ، مثل : " اللّعين ، الملعون ، السفّاح ، أكبر إرهابي في العالم ، مثلما يتفنّن بالدعاء عليه : بالشتات والدمار، وبالتعجيل به من حيث لا يشعر؛ فالصورة التي هدف الخطيب إلى وصفها هنا ليست المجزرة السابقة ، وإنّما دخول شارون ساحات المسجد الأقصى ، حيث عمد الخطيب إلى تحديداته الصحفية والرقمية المعهودة في قوله : " الخميس 28 سبتمبر2000 ...وهو محاط ب3000 جندي " والغرض هنا التعبئة والاستنكار الشديد والاستثارة العاطفية اللاّشعورية المنطوية أحيانا على المبالغة ، فكيف للخطيب مثلا أن يرى شارون يقول بشفتيه أو " بصريح شفتيه " _ على حدّ وصفه _ ، والتصريح مكتوب على صحيفة وليس منطوقا ، وهو إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على حرص الخطيب على استنهاض المشاعر ، وإهماله للتفاصيل الأخرى . وقد وقع الخطيب في شرك التعبير الفاسد في قوله : " كي يمسّ شعور المسلمين ... لا يحترم شعورهم ...لا يبالي بالمسلمين " يقصد شارون ، فكان يكفيه أن يعبّر عن هذا بالقول أنّ محاولة شارون هي استفزازية بالأساس ، وكذلك إسقاطه كلمة : " مثل " في قوله : " في هذا الشهر " ، وهو يقصد تاريخ الحادثة ، بينما الخطبة ألقيت في سنة 2003 ، أي بعد ثلاث سنوات ، هذه الأخطاء في التحديد هذه المرّة يمكن عزوُها إلى تركيز الخطيب على جوانب التهويل في الحادثة وحشد أكبر عدد من الصور المؤثّرة ، بهدف استمالة العواطف ، والتأثير على مشاعر المصلّين ، وإرواء غليلهم ، وهذا يعدّ من مميّزات الخطاب غير الرسمي الذي لا يعترف في كثير من مضامينه بالالتزام الموضوعي الذي لم يُعنى به الخطيب مطلقا في هذه الخطبة .

ومن العبارات التي تكرّرت أيضا : " ضرب الشباب الفلسطيني أروع الأمثلة ..." الذي جاء في سياق المدح للعمليات الاستشهادية ، وحشد المزيد من صور التضحية بهدف استنهاض المشاعر وتأجيج الأحاسيس ، ومن الأدعية التي جاءت في آخر الخطبة : " اللّهم عليك باليهود أعداء الدين " ، مع أنّ هناك أعداء للدين من غير اليهود ، وهو ما لم ينتبه له الخطيب ، ولعلّها

كما يقول محمّد العمري (1) تدخل في إطار أشطنة الآخر ، والهوس الخطابي الذي قد يُعمي عن بعض الحقائق الماثلة للعيان والتي قد لا تحتاج إلى كثرة تأمّل ، لكن التركيز على جزء ومحاولة إسقاطه على الكلّ ، باختصار كلّ أعداء الدين في اليهود ، قد جعل الخطيب يغفل عن كثير من جزئيات المعالجة المنطقية في هذه الخطبة، وبعد الدعاء (المعنوي) بتنكيس أعلام اليهود ، يأتي الدعاء عليهم بالزلازل ليتكرّر مرّتين ، والدمار والشتات ، ويرسم صورة أخرى للنقمة على الوضع ، وإحراج الخطاب الرسمي الذي لا يجرؤ على هكذا عبارات ، وعلى التطرّق لموازين القوى واختلالاتها في الشرق الأوسط بمثل هذه الحنكة التي قد لا يتوفّر عليها السياسيون أنفسهم ؛ لكن في الوقت نفسه قد يصيب هذا الدمار وتلك الزلازل حتّى العرب والمسلمين الذين يعيشون داخل ما يسمّى بالخطّ الأخضر (عرب 48) ، ناهيك عن الأطفال الذين لا ناقة لهم ولا جمل في مثل هذا الصراع الدامي .

وسارت الخطبة غير الرسمية الثانية (خ ــ غ ــ ر2 س04) على نفس نسق الخطبة الأولى في استخدام أسلوب التكرار ، الذي يخدم وظيفة الخطاب الإبلاغي في بداية الخطبة ، باعتبار الحديث عن صفات اليهود يتطلّب ذلك ، بالإضافة إلى الأسلوب الإنشائي من خلال ورود الاستفهام في غير ما موضع على غرار : " لماذا نتحدّث عن أخلاق اليهود ؟...ما هو السبب ؟ " التساؤل الذي تكرّر ثلاث مرّات رغم أنّه استفهام زائد هدفه إعطاء نوع من الأهمّية للموضوع، لأنّ الجواب عليه معروف وبسيط . ومن العبارات التي تكرّرت في سياق الخطبة : " اليهود عليهم اللّعنة " التي بلغت تكراراتها ثمان مرّات ، وربّما يعود ذلك إلى رغبة الخطيب الجامحة في إثبات صدق عاطفة كراهيته لليهود ، وبذلك يفلح ربّما في التقرّب من جماهير المصلّين ، ممّا يضفي المصداقية على ما يريد تصديره خلال فصول الخطبة ، وهو ما نلمسه في تكراره لعبارة : " أخلاق اليهود ...الأخلاق اليهودية " التي تكرّرت بدورها ثلاث

(1) محمد العمري ، مرجع سابق ، ص 75

مرّات ، لتربط كلّ الأخلاق الرذيلة المعروضة باليهود ، بل واعتبارها " أخلاقا يهودية " ، رغم أنّ بعض تلك الصفات كثيراً ما ارتبطت بالمنافقين الذين ليسوا بالضرورة من اليهود ، مثل : الكذب ، ونقض العهود ؛ بل إنّ الخطيب يلجأ إلى عبارة قد يُلمس فيها نوع من العنصرية عندما يقول : " كي نعرف هذا الجنس من البشر " وهو ما قد يحيل إلى ما يسمّيه الغرب اليوم " معاداة السامية " ، فالخطيب يُعطي المسوّغات على ذلك بتجاوز حدود النصّ القرآني نفسه ، ورغم زعمه التعريف بصفات اليهود بعيدا عن وسائل الإعلام ، إلاّ أنّه يعود إليها في كثير من مضامين الخطبة ، إذا لم نقل أنّها من مصادر الخطبة الأساسية .

ومن مزالق الخطبة على مستوى التعبير كذلك ، وصف الجرأة على الله التي صنّفها الخطيب من صفات اليهود بقلّة الأدب مع الله ، وهو ما تكرّر عدّة مرّات في سياق هذه الخطبة مع كون التعبير فاسدا من الناحية اللّغوية و ينطوي على أسلوب ركيك ، بالإضافة إلى الجانب العقيدي والعلمي للمسألة المتمثّل أساسا في تنزيه الذات الإلهية من مثل هذه التعابير التي قد تصلح في التعامل مع البشر وليس مع خالقهم ، والغريب أنّ الخطيب يتمادى في ذلك الخطأ في سياق الاستفهام الذي جاء بصيغة الاستنتاج في قوله : " إذا كان الإنسان قليل الأدب مع الله ، أتنتظر منه أن يكون مؤدّبا مع البشر ؟ " ، ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ ، فلقد عمد الخطيب إلى توظيف العامّية في سياق ساخر في شرحه طلب اليهود رؤية الذات الإلهية جهرة ، بقوله : " ورّينّا ربّك ، ورّينّا الله نشوفوه " ، ففي ذلك مبالغة في التصوير ، رغم خطورة التناول الموضوعي لأنّ الأمر يتعلّق بأصول العقيدة . ويُضيف الخطيب إلى الصفات " اليهودية " _ كما يسمّيها _ فعل المنكرات وعدم النهي عنها ، ويحذّر في ذات السياق المسلمين من الوقوع في ذلك ، دون الإشارة إلى فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ممّا يعني تغييب الاختصاص تماما ، مع أنّ هذه المهمّة منوطة بوُلاة الأمور لا بالعامّة من الناس كما يؤكّد الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني (1) ؛ ثمّ إنّ الآية 81 من سورة المائدة لم تحدّد وجود هذا

(1) سعيد بن مسفر القحطاني ، الغلوّ أسبابه وعلاجه ، انظر الموقع www:iqraa.net

الخُلق في اليهود وحدهم ، كما أنّ ذات الآية تتوجّه باللّعنة للذين كفروا من بني إسرائيل ، أي تلعن الذين عصوا منهم ولم تعمّم اللّعنة كما فعل الخطيب . ويستمرّ الخطيب في توظيف أسلوب التكرار في سياق التهويل عندما يشير إلى تشجيع اليهود للفساد ، فتتكرّر العبارة بمرادفاتها 11 مرّة في فقرة واحدة ، لكن لم يخل تحليله كالعادة من الهفوات اللّغوية ، والتعابير الفاسدة ، التي غلّفها أيضا بأخطاء فكرية وتعميمات شمولية لا دليل عليها ، فعلى مستوى اللّغة تكرّر استخدام لفظ " كوّنوا " أربع مرّات بدلا عن كلمة " تأسيس" الأجدر بالاستخدام في الإشارة إلى ملكية اليهود للبنوك الربوية ، القنوات الجنسية ، بيوت الدعارة ويقول كذلك :

" خلقوا دور السينما " ، في الإشارة إلى التأسيس ، ثمّ استدرك ذلك في العبارة المكرّرة فقال : " أنشئوا ..." ، ولعلّ أغرب تعبير في هذا السياق هو قوله : " ويكوّنون اليوم في الإنترنت العلاقات الجنسية... " ، فقد ابتعد الرجل كثيرا عن حدود التعبير من خلال هذه الجملة ، حتّى إنّك لا تستطيع فهم ما يريد قوله بالدقّة التي تتوفّر عليها اللّغة العربية الغنيّة بأساليبها ومفرداتها فالعجز يعود بطبيعة الحال إلى الخطيب الذي لم يُوفّق في إصابة المعنى الذي يريد إطلاقه ؛ ثمّ إنّ ربط السينما بالفساد مطلقا ليس دقيقا ، بدليل وجود إنتاجات لا تخدم أفكار اليهود بل تدعو لمعاداتهم في بعض الأحيان ، ومن آخر تلك الأفلام " آلام المسيح " (passion of the Christ) لمخرجه " مال غيبسون " ، فقد حمّل هذا الأخير اليهود مسئولية صلب المسيح ، ولا ننسى أنّ " مصطفى العقّاد " استغلّ السينما في الدعوة للإسلام من خلال فيلمه الشهير " الرسالة " ، ومن التناقضات الواردة على لسان الخطيب أيضا ، قوله أنّ اليهود يخرجون النقود من جيوبهم (أي : ينفقونها على الفساد كما يرى) ، ثمّ يستدرك فيقول: " لأنّهم ماديّون ... " ، فلا مجال للجمع بين البخل والسخاء ، لكن الخطيب تجرّأ على ذلك ، ربّما من حيث لا يدري ، فالخطبة ارتجالية ، وسياق الشرح في هذا الموضوع جدّ معقّد . ولم يشذّ الخطيب عن قاعدة " ربط الشرّ باليهود مطلقا " ، ففي شرحه لصفة " أكل الحرام " ، وقع في فخّ التغاظي عن الفرق بين الأكل من الغصب والربا ، وبين الحرام الفقهي مثل الميتة والخنزير ، فطعام اليهود (الذين هم من الذين أوتوا الكتاب إلى جانب النصارى) هو حلّ لنا إذا ذكر اسم الله عليه عند الذبح ، هذا التفصيل الذي يجهله كثير من العوامّ من المصلّين ، لم يشر إليه الخطيب الذي بالغ في تعميم

أكل الحرام مع ربطه باليهود كما هو حال الكذب الذي قد يقع فيه بعض المسلمين ، كما غفل الخطيب عن شرح الآية 44 من سورة المائدة ، وبالتحديد كلمة " السحت " التي تعني الحرام وجمعها أسحات (1) ، رغم غرابة اللّفظ بالنسبة لجمهور المستمعين . وبالانتقال إلى صفة إشعال اليهود لنار الحروب ، يعرّج على صفة الحسد التي لا ترتبط بدورها بجنس معيّن من البشر ، ولعلّ قصّة قابيل وهابيل خير دليل على ذلك ، يأتي الخطيب بعبارة مكرّرة تحمل في طيّاتها أسلوبا ركيكا وفاسدا فيقول : " يحسدون العباد ...من اليهود ومن غير اليهود ..." ، رغم أنّ الحسد الوارد في الآية 108 من سورة البقرة ، تشير إلى الحسد الذي يصدر عن أهل الكتاب بوجه عامّ ضدّ المؤمنين من بعدما تبيّن لهم أنّ الحقّ إلى جانبهم ، فانظر إلى الفرق الشاسع بين هذا وذاك .

وينصرف الخطيب بعد ذلك انصرافا تامّا إلى ربط مجموعة من الأحداث التاريخية ، والحروب باليهود مباشرة ، بلا دليل ، ودون الرجوع لأيّ مصدر ، ولو بالإشارة ، وهو ما يعتبر من التهويل الذي يهدف من خلاله إلى إلهاب مشاعر العداء ضدّهم ، واستنهاض عواطف الاستنكار ، والتحضير للقسم الثاني من الخطبة ، فقوله أنّ اليهود جرّوا الولايات المتّحدة للحرب مع ألمانيا ، والخطيب هنا ينطق هذه الدولة خطأ من جهتين ، الجهة الأولى : إطلاق لفظ " إمريكا " الذي هو اسم القارّة الأمريكية كلّها ، وهذا خطأ شائع ، لكن لا يليق ذلك بخطيب من المستوى الجامعي ، أمّا الجهة الثانية للخطأ فهي الهمزة التي جاءت تحت الألف في لفظ " إمريكا " ، فالأمر لا يتعلّق بخطأ مطبعي ، بل إنّ الخطيب نطقها على هذا الشكل لأنّ الخطبة مسموعة ، وارتجالية ، وما فعلناه فقط هو كتابتها كما نُطقت في التسجيل ؛ كذلك تحميل اليهود مسئولية إضرام نار الحربين العالميتين ، أو ما سمّاه الأسباب " الخفيّة " ، فإذا كانت كذلك ، فأنّى للخطيب أن يعرفها ، وقال أنّ وسيلتهم في ذلك كانت بالسيطرة على بريطانيا ؛ فإذا كان

(1) علي بن هادية وآخرون ، مرجع سابق ، ص 456

الأمر دقيقا ، فلماذا اعتُبر اليهود من ضحايا هذه الحرب ؟ وارتباط تاريخ معاناتهم بالمحارق النازية التي كثيرا ما تذرّعوا بها ونالوا من خلالها كثيرا من الاستعطاف من لدن الرأي العام الدولي ؛ وذهب الخطيب إلى كون إشعال اليهود للثورة الفرنسية مثلا ، والحربين العالميتين كان بأهداف ماديّة ، ومالية ، فإذا كانت أهدافهم ماديّة ، فأين هي غاية الإفساد التي تحدّث عنها الخطيب من قبل ؟ والغريب في هذا الأمر هو تقديم الخطيب لهذه المعلومات في سياق التأكيد ، ثمّ يقول بعد ذلك : " ستأتي الفرصة ونقف على هذه الأحداث وعلى هذه الوقائع التاريخية لتتأكّد لنا المعلومات ..." ، إذن فالمعلومات غير مؤكّدة ، لكن الخطيب استطاع تصويرها في قالب رسمي يعطي الانطباع عند السامع أنّ كلّ ما يقوله الخطيب دقيق ؛ فالصفات التي عدّدها والتي كان من المفترض أن يجمعها من التفاسير المعتمدة للقرآن الكريم راح يقحمها في الجدل التاريخي تارة ، وفي التأويلات السياسية لوسائل الإعلام تارة أخرى . ويستمرّ الخطاب غير الرسمي في إحراج غريمه الرسمي ، بمواكبته للأحداث الدولية وجرأة تطرّقه للأحداث الوطنية ، ممّا يجعل هذا النوع من الخطاب الأقرب إلى قلوب السامعين ، وحتّى إلى عقولهم .

وبحشد المزيد من الصور المؤثّرة ، يصف الخطيب اغتيال الشيخ أحمد ياسين ، ويتوسّع في تقرير حالته المرضية باعتباره مشلولا ومقعدا ، ويُسقط الخطيب (عمدا ربّما) لفظ " الإسلامية " في الإشارة إلى تأسيس الشيخ لحركة المقاومة الفلسطينية ، وذلك وقوفا عند حدود معيّنة ، فكان بالإمكان استخدام لقب هذه الحركة وهو " حماس " ببساطة ، والتفاصيل التي قدّمها الخطيب حول تصريحات الشيخ ياسين تكشف مدى تأثّره بما تعرضه القنوات الفضائية ، فهو على ما يبدو من أشدّ المتتبّعين لها ويظهر ذلك في بعض الإشارات مثل : " ظهر على القنوات التلفزيونية ...العدو يحاصرني في الجوّ عن طريق الخونة ..." ؛ ولا عجب أن نراه يقتحم ميدان التعليق السياسي ، فيجعل الولايات المتّحدة الأمريكية شريكة لإسرائيل في هذه الجريمة ، وما سبقها من جرائم ، فقد صاغ الخطيب ما يربو عن 10 جمل بصيغ مختلفة ومكرّرة تؤكّد هذا الأمر بالإضافة إلى تصويره التحالف الأمريكي الإسرائيلي

بأسلوب ركيك ، عندما قال : " إمريكا لا تؤدّب إسرائيل ، ولا توجّه لها كلمة لوم ..." ، بل إنّه يجعل من إسرائيل طفلا ، تنتظر إرشادات الأخ الأكبر ، فضلا عن تكرار الخطأ في نطق " إمريكا " بدل " أمريكا " ؛ ويأتي الخطيب بمصطلح سياسي في سياق شرعي هو " الفيتو الأمريكي " ، وبالعكس يأتي بمصطلح شرعي في سياق سياسي عندما قال : " بوش هو الذي أفتى لشارون وعصابته... " ؛ في الإشارة إلى اعتبار بوش المقاومة الفلسطينية إرهاباً ، ويقوم الخطيب باستنتاج شخصي فيقول : " معنى أنّها إرهابية أنّها تستحقّ القتل ، وأنّه لا عقوبة على من قتل الإرهابيين... " ، وهذا يُضاف كذلك إلى سياق التهويل الذي سارت عليه الخطبة في كثير من مضامينها . أمّا اللّعنة التي وردت في كلّ المرّات السابقة على اليهود بشكل عام ، تقع هذه المرّة بشكل خاصّ على الصهاينة (كاستثناء للقاعدة) ، وتتكرّر ثنائية " بوش ...شارون" كشخصيتين عدائيتين صبّ عليهما الخطيب جام غضبه ؛ فبينما نال شارون نصيبه من الأوصاف التي ظلّت تتكرّر في سياق الخطبة باستمرار من مثل : " الخنزير شارون (بأخبث حيوان عند المسلمين) ...السفّاك...اللّعين...السفّاح...أكبر إرهابي في العالم ..." ، ونصيبه من الدعاء بالجلطة والويل والشلل ، وحبس النفس في الصدر ، ووقف الدم في العروق ، والدمار ألحق الخطيب كلّ الأمريكيين ببوش في قوله : " ...رعاة البقر وأذنابهم ..." ، ويستمرّ الخطيب في توظيف العامّية في سياق السخرية من السياسة الأمريكية التي يلقّبها " بالعوجاء ...العرجاء ...العوراء " تارة ، وبمسرح للشعوذة ، وأكوام من الخزعبلات تارة أخرى ، ويصف السياسيين بالمشعوذين عموما ؛ أمّا معجم المصطلحات الأمريكي الجديد ، فقد وظّف الخطيب انتقاده له في فضح خطط الاستعمار الجديدة ، حيث ألصق به بعض النعوت الفقهية والشرعية مثل : " الاستعمار الفاحش ...الاستعمار شيطان ..." ، ممّا يجعل وظيفة الخطاب هنا تأثيرية ، وليست إبلاغية ، فقوله الاستعمار شيطان مثلا هو نوع من إظهار العداوة الروحية قبل أيّ شيء آخر ، والهدف منه تحريك مشاعر المسلمين باعتبارهم مأمورين بمعاداة الشيطان شرعا ، فيأخذ الخطاب أبعاده الدينية والإعتقادية المشوبة بطابع سياسي، لأنّ الإمام _ كما يقول

" ألكسندر ديلفال " يمثّل سلطة الدين وبالتالي يستطيع توجيه خطابه وجهةً سياسيةً (1) ، ويجعل العداوة مع الاستعمار أبديةً ، كما هي مع الشيطان . وبعد اللّعنة التي وجّهها الخطيب لإسرائيل (وقد نسي أنّ إسرائيل هو اسم نبيّ الله يعقوب) ، ينتقل الخطيب إلى ربط عودة خطر الاستعمار (الحقيقي كما سمّاه و في إشارة ضمنية إلى أنواع الاستعمار الأخرى) ، بالانتخابات الرئاسية في الجزائر ، ليحثّ على الخروج للانتخابات بقوّة ، ويعطي صوته لمن يحفظ للوطن استقلاله ، واستقراره من خطر الاستعمار ، فكأنّه يدعو للانتخاب ضدّ الاستعمار وعلى عكس الخطبة الأولى ، يدعو الخطيب على من يريد بالوطن سوءً من المرشّحين بقوله : " ...فأشغله في نفسه..." ، بينما كان الدعاء بالهداية في الخطبة الأولى ، وربّما يرجع السبب إلى كون الخطبة ارتجالية هذه المرّة .

وبالمقابل لم تحمل الخطبة الرسمية الثالثة (خ ــ ر3 س04) نفس صفات سابقاتها ، فكانت رتابة الأسلوب ، وركاكته هي السمة الغالبة ، فهي أشبه ما تكون برسالة منها إلى خطبة وجاءت وظيفة الخطاب إبلاغية على طول الخطّ ، في ظلّ الغياب التامّ لأساليب الإنشاء ، إلاّ في موضعين اثنين من خلال قوله : " اتّقوا الله ! ...أستسوها على هدًى من الله ! ..." ، وفي وصف الإسلام بأنّه " النظام المختار من الله لنا ..." توظيف لمصطلح وضعي (قانوني) في سياق شرعي ، بالإضافة إلى ثقل الأسلوب الواضح في العبارة ، حيث كان الأولى استخدام " النظام الذي اختاره الله لنا... " ، وكان أسلوب التكرار حاضرا من خلال بعض العبارات والألفاظ المكرّرة على غرار : " نظام الله المختار ...رسالة...الإسلام...نظام الإسلام ...التعاون..." ، والتي كانت كلّها تخدم وظيفة الإبلاغ ، إلى جانب اختيار الألفاظ السهلة السلسة البعيدة عن التعقيد مثل " ...الهداية لمن اتّبعه...الشقاء لمن انحرف عنه..." وهي من المقابلات الجيّدة في الخطبة ، بالإضافة إلى تبنّي الخطبة لمصطلحات اقتصادية مثل : " مقدّرات " ، وتكرار استخدام مصطلحات مثل : " الدور...المكانة " التي تنتمي إلى حقل علم الاجتماع

(1) Alexandre DELVALLE , l'Islam et le pouvoir , voir le site : www.alexandredelvalle.com

والأنثروبولوجيا ، وما يرتبط بها من نظريات عضوية ، وبنيوية وظيفية ، هذه المصطلحات التي وُظّفت كلّها في سياق شرعي ، يهدف بالأساس إلى تبيان رسالة الإنسان المسلم في الوجود ، والمتمثّلة في الاستفادة من الثروات والنعم خدمةً لمصلحة الوطن ، والرخاء للمواطنين ؛ لكنّ هذا الاسترسال في الحديث عن هذا الموضوع غير المحدّد من الناحية الفكرية لم يبعد (على ما يبدو) الخطبة عن سياق الاقتصاد الاشتراكي (الماركسي) ، باعتماد مصطلحات مثل : " ...المصلحة المشتركة ...التعاون ...التضامن..." ، بل هناك توظيف لمصطلح " قوى الطبيعة " الذي قد يُحيلنا إلى الفكر الإلحادي للعقيدة الشيوعية .

وبالتحذير من العدوّ الكلاسيكي الرأسمالي في عبارات من طراز : "...ندافع عنها ضدّ كلّ استغلال أجنبي أو استنزاف استعماري ...حتّى يتحرّر من التبعية...طاقة الرخاء من الاستضعاف ..." الخطاب الذي يعيدنا إلى السبعينيات من القرن الماضي ، رغم تداول الخطبة على أيّامنا هذه ، وهو ما يُحتّم إعادة النظر في صياغة الخطب المنبرية الرسمية التي تبدو من خلال سياقها بعيدةً عن واقع الناس واهتماماتهم ، بل وبعدها حتّى عن توجّهات الحكومة الجزائرية الحالية المتمثّلة في الاقتصاد الحرّ ، أو اقتصاد السوق . ومن العبارات الغريبة في الخطبة : "...في تعاملنا مع أنفسنا ، ومع الله ، ومع الناس " ، فبغضّ النظر عن الترتيب الذي جعل التعامل مع الله في المرتبة الثانية ، من ناحية المبنى ، يبدو الطرف الوحيد الذي يحتمل التعامل هو الطرف الأخير من ناحية المعنى ، ممّا يؤكّد ضعف تأهيل الخطبة لغوياً وشرعياً . أمّا مطالبة الخطبة بمقاومة الاستغلال (الذي يعني الإمبريالية) ، من أجل التحرّر من التبعية ، واستكمال الاستقلال السياسي بالتحرّر الاقتصادي الذي يضمن _ حسب الخطيب _ حرية التصرّف في الموارد والثروات الطبيعية (في إشارة إلى التأميمات الاشتراكية) فهو دعوة صريحة للثورة الاشتراكية ، وإعلان للجهاد على كلّ من يقف ضدّ هذا المشروع ، ويأتي سياق التهديد والوعيد واضحا في قول الخطيب : " ...إنّ شعبنا المسلم ، وقد ضحّى بالعديد من أبنائه في سبيل تحرّره السياسي ، واستعادة استقلاله ، لعلى أتمّ الاستعداد لمزيد من التضحية ..." ؛ فقد يُفهم من هذا الكلام محاربة كلّ الشركات الأجنبية المستثمرة في الجزائر هذه الأيّام ، وهو ما يُعد كارثة على اقتصاديات الحكومة الجزائرية الحالية التي أصبحت من التلاميذ النجباء

لصندوق النقد الدولي ، كيف لا وهي عاكفة كلّ الوقت على تثبيت آليات الاقتصاد اللّبرالي الرأسمالي الحرّ ، في الوقت الذي ما يزال فيه الخطيب غارقا في الأحلام الوردية للتضامن والتعاون ، ومفاهيم العهد الاشتراكي البائد ؛ أمّا ما ورد في سياق الخطبة من تهديد ووعيد بالعودة إلى التضحيات لاستكمال التحرّر الاقتصادي ، يجعل الخطاب الرسمي هو الآخر يسير في ركب الخطاب غير الرسمي الذي يُحمل عليه في الغالب مثل هذه الدعوات غير المحسوبة ، بالإضافة إلى تعارضها مع سياسة الانفتاح الاقتصادي التي تنهجها الدولة الجزائرية منذ سنوات ممّا يطرح إشكالية التأهيل حتّى في الخطاب الرسمي .

واستغلّت الخطبة الرسمية الرابعة (خ ــ ر4 س03) ذكرى 20 أوت 1955 للحديث عن فضل الجهاد ، ومراتب الشهداء ، ولقد سبقت الإشارة إلى عدم تكامل هذه الخطبة مع عنوانها، بل انفصالها تماما عن هذا العنوان بعدم تطرّقها ولو بشكل يسير (رغم كونها خطبة رسمية) إلى ما تعنيه هذه الذكرى في التاريخ الثوري والنضالي للشعب الجزائري ؛ وراحت الخطبة تنهج نفس أسلوب سابقتها في إفادة الخطاب الإبلاغي برتابة منقطعة النظير ؛ لكن ما يميّز نسق العبارات في هذه الخطبة _ خلافا لما سبق _ ، غياب أسلوب التكرار ، وعدم انحصار الزاوية الموضوعية عند المعالجة ، والاهتمام بالجوانب الشكلية والجمالية مثل توظيف العبارات المسجوعة على غرار : " ...في البلاد...بين العباد..." و " ...دفعا للعدوان ...تأمينا لعقيدة الإيمان... حماية حرية الأوطان...وصيانة لكرامة الإنسان..." وكذلك : "...ردّا على معاداة الأعداء لنا بالقتال...ودرء خطر الاحتلال ...وما يترتّب عليه من مهانة وإذلال ..." ، و"...تنال حرّيتها...تصل إلى أهدافها...تصون كرامتها...بالإيمان يملأ قلبها...يضيء السبيل أمامها..." وغيرها من عبارات السجع التي يصنّفها الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " من انزلاقات الخطاب التي تستحضر وظيفة السجع بغية التأثير والسحر والاستهواء ، ويقول في ذلك : " لو كان هذا المتكلّم السجّاع لم يرد إلاّ الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنّه

عسى أن يكون أراد إبطال حقّ ، فتشادق في الكلام " (1) . رغم أنّ البلاغة العربية قد عرفت الاستمالة بالأسجاع ، ومن قبلها البلاغة اليونانية بالمغالطة والاستدراج بالألفاظ والدلالات الذي يسمّيه هشام الريفي بسلطة القول (2) ، وتبيان وظيفة السجع في الخطابة لا يعني اتّصاف الخطبة بالأوصاف التي أطلقها الجاحظ ، أو كونها تبطل حقّا ، أو تحقّ باطلا ، ولكنّ ذلك ممّا يعيبها باعتبار لغة الخطبة بعضٌ من بنيتها التركيبية ، وباعتبار الموضوع يحتاج إلى تدقيق في المعطيات الشرعية ، وليس إلى الاسترسال في إعطاء العبارات نغماتها الرنّانة ، كما هو الجناس المسجوع في قوله : "...الدار العاجلة ...الدار الآجلة...إعداد وإمداد..." .

فالانتقال غير الموضوعي من الحديث عن أهداف الجهاد والقتال في الإسلام ، وبدون فواصل تُذكر إلى ، إلى امتداح المجاهدين بقوله : "...وحسب المجاهدين شرفا أنّهم باعوا أنفسهم وأموالهم لله ... " ، زيادة على سوء توظيف الآيات القرآنية الذي سبق التطرّق إليه ، والذي يدخل في صميم هذا الانتقال غير الموضوعي باعتبار سرد الخطيب لآيتين في نفس السياق مع اختلاف الاستشهاد .

وممّا يكشف تأثّر الخطبة بالمحيط الاشتراكي ، رغم أنّها ما تزال تُتداول (إلى جانب كلّ الخطب التي يتضمّنها ديوان الخطب المنبرية) ، هو توظيفها بعض المصطلحات والعبارات التي تأخذ أبعادها من العقيدة الاشتراكية الثورية ، والتي لها بعض الإمتدادات على المستوى السياسي مثل : "...لتذود عن مبادئها ...وسيادتها واستقلالها..." وكذلك : " ...التضامن والوحدة ...العتاد والعدّة ...الاحتمال والمثابرة...النضال والكفاح..." ممّا يرسم معالم المحيط السياسي للسبعينيات من القرن الماضي في الجزائر ، و من ذلك الإشارة إلى

---

(1) البيان والتبيين ، مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص ص (287 ــ 290)

(2) هشام الريفي ، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب والفنون ، تونس 1999 ، ص 55

القُوى الإمبريالية في قوله : "... وتحيى قوية مرهوبة الجانب يخشاها الطامعون ويتحاشاها المتربّصون..." ، وهي إشارة أيضا إلى الحرب الباردة التي كانت الجزائر تميل إلى أحد طرفيها ، وتحذّر من أطماع الطرف الآخر في الهيمنة والاستغلال ، بينما يختلف الأمر تماما في الوقت الراهن ، فرياح التغيير التي هبّت في كلّ أنحاء العالم ، ربّما لم تغيّر من نبرة الخطاب الرسمي الذي ما يزال يتخبّط في مثالية لا وجود لها إلاّ في المحيطات النظرية والتنظيرية لمعسكر اشتراكي انهارت أركانه التطبيقية الواحد تلو الآخر.

فيبدو الجمع غريبا ، بين السياق الاشتراكي الثوري ذي النزعة السياسية ، وبين السياق الشرعي المقدّس للجهاد في الإسلام ، ومقابلة المصطلح تظهر واضحة بين مفهومي " الكفاح " و" الجهاد " ، فالأوّل يفيد النضال من أجل التصدّي للطامعين والمتربّصين ، والثاني تجارة تنجي من عذاب أليم ، بنيتها الأساسية العبادة والتقوى والصبر والرّباط ؛ وفي معرض الدعاء قال الخطيب : "...واجمع العرب والمسلمين ورؤسائهم على كلمة سواء..." مع أنّ هناك زعماء عرب من الملوك والأمراء من غير الرؤساء ، وهو إقصاء ينتمي إلى السياق الاشتراكي الذي ينفي العروبة والإسلام ، وحتّى الدعاء عن الأنظمة اللّبرالية .

وفي الحديث عن دعائم الجهاد ، يأتي بصفة " الصحيح " ، وكأنّ هناك جهاد غير صحيح ! ، ويجعل الجهاد بالنفس سابقا على الجهاد بالمال ، على خلاف النصّ القرآني الذي يجعل الجهاد بالمال أوّلاً ، ويأتي بنوع ثالث هو الجهاد باللّسان ، ولم يفصّل الخطيب ما يعنيه بجهاد اللّسان ، إلاّ قوله : "... فهو وسيلة الدعاية...أهمّ وسائل الإعلان لنصر الحقّ ..." ، واستعانته بالقول المأثور " الحرب أوّلها الكلام " ، ولعلّ هذا ما سمّاه محمّد العمري ركوب الغموض في البلاغة العربية الذي يوفّر فرصة للتراجع عن المصرّح به عند الضرورة .(1) وحصرت الخطبة الجهاد بالمال باعتباره " عصب الحياة " كما جاء في الخطبة ، في إمداد المحاربين بالكسوة والمال ، وغفلت عن التجهيز بالسلاح ؛ ناهيك عن إغفال الحديث عن

(1) محمّد العمري ، مرجع سابق ، ص 81

الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس (وليس بالنفس) ، إضافة إلى كون الجهاد بالمال يخدم قضايا أخرى غير التي أشارت إليها الخطبة ، ومن المغالطات الواردة في هذه الخطبة وسابقتها ، جعل المقاومة والقتال دفاعا عن المال إلى جانب الدفاع عن النفس والعرض ، والحقيقة أنّ المال يُدفع به عن النفس والوطن ، وقد نشأت هذه المغالطة من سوء التقدير وإنزال الأحكام الشرعية في غير محلّه ، والتباس المغالطة بالغلط هنا هو نتاج عدم التأهيل في التطرّق لمثل هذه المواضيع الدقيقة ، بسبب غياب الكفاءة العلمية وعدم قدرة الخطيب في هذا الوقت الوجيز (الوقت الذي تستغرقه الخطبة) على إيجاد سقف للتفاهم مع جمهور المتلقّين كما يقول "والتون دوغلاس" (1) ، الذين قد لا يعون حقيقة ما يريد إيصاله الخطيب ، فيعملون على ملء الفراغ الذي خلّفه عدم الاختصاص لدى الخطيب بطريقة قد تكون العشوائية عنوانها الرئيس .

من خلال ما سبق ، يظهر جليّا غياب التأهيل بجوانبه الشرعية واللّغوية على الخطابين الرسمي وغير الرسمي على حدّ سواء ، حيث وجدنا فجوات معتبرة على مستوى انتقاء الألفاظ والعبارات ، التي تؤدّي المعنى والتي جاء بعضها مسيئا (إذا لم نقل عنيفا) ، ورأينا الجرأة التي تميّز بها الخطاب غير الرسمي في تطرّقه لمواضيع واقعية ومواكبته للأحداث ، ممّا أهّله للتقرّب أكثر من قلوب وعقول المصلّين ؛ لكن في المقابل بُعده عن الموضوعية والالتزام المنهجي والشرعي أسقطه في فخّ الاستهواء والتهويل ، والاستمالة العاطفية ، وباستخدامه للتكرار ، وحشد الصور والعبارات والألفاظ المليئة بالإثارة نقلته من حالة الإقناع إلى الوظيفة التأثيرية التي قد تخرج الخطاب تماما عن سياقه الديني ؛ وفي الجهة المقابلة يقف الخطاب الرسمي منزويا في حالة من الرتابة وجفاء الأسلوب وركاكته (الإبلاغ الجامد) ، وعدم تغيّر نبرته وعزلته عن الأحداث المحيطة به ، رغم استخدامه لبعض آليات الخطاب غير الرسمي على مستوى الأسلوب والألفاظ ، لكنه يبدو أكثر التزاما من الناحية الموضوعية التي

(1) Douglas WALTON, Types de dialogues et glissement dialectique en argumentation , Editions de l'Université de Bruxelles , Belgique 1990 , p 228

لا تلغي الأخطاء والعبارات الإقصائية ، وعدم الدقّة العلمية ، فضلا عن وقوعه كذلك في مزالق الاستهواء واستغلال المناسبات في طرح مواضيع لا يستطيع الإحاطة بها من الناحية الشرعية ، نظرا للضعف المسجّل في مادّة الخطب المنبرية الرسمية خاصّة من الناحية المنهجية ، فالدعاء لأولياء الأمور مثلا لا يقع إلاّ في 3 % من مجموع الخطب التي يضمّها ديوان الخطب المنبرية رغم انتمائه للطابع الرسمي ؛ بالإضافة إلى كون الخطب غير الرسمية أطول من نظيراتها غير الرسمية ، ممّا يجعلها أكثر عرضة للوقوع في الأخطاء والمزايدات ، خاصّة طريقة الإلقاء الارتجالية التي تزيد من طول الخطبة واحتمالات انزلاق الخطاب خاصّة عدم التزام المعطى الشرعي والعلمي للمواضيع ، وللحصول على معطيات أكثر دقّة سنحاول في المبحث الموالي ربط المسألة بالمحيط الميداني للظاهرة ، بالرجوع إلى إحداثيات تأهيل الخطباء بعد ما لاحظناه من نقص خلال تحليل المتن الخطابي الذي رأينا ، ومحاولة قياس صحّة الفرضيات التي طرحناها في بداية هذا البحث .

2- 2– المبحث الثاني : مستويات تأهيل الخطاب المسجدي

لا بأس قبل الوقوف على حقيقة تأهيل الخطاب المسجدي ومستويات تأهيل الخطباء ، أن نقف على بعض مميزات قطاع الشؤون الدينية بتلمسان من خلال بعض الأرقام عن واقع الأسلاك الدينية والتعليم القرآني والبنية المسجدية باعتبار مجال البحث يقع بهذه الجهة من الوطن الجزائري الحبيب ، ونبدأ بالمدارس القرآنية والكتاتيب التي لا تمثل حسب الشكل 1 إلا نسبة 1 % من مجموع المدارس القرآنية والكتاتيب على المستوى الوطني ، وبالنظر إلى الثقل الثقافي والإرث التاريخي الذي تتميز بها مدينة تلمسان ، تبدو النسبة ضعيفة جدا ، حيث لا يضم قطاع الشؤون الدينية بولاية تلمسان سوى ثلاث مدارس قرآنية ، و 26 كتّابا والجدول الموالي يظهر ذلك بدقة ، من خلال نسبة الكتاتيب التي تقارب 90 % ، حيث تتميز هذه الكتاتيب بفوضى في البرمجة التي جعلت بعضها شبيهة بدور الحضانة ، من حيث اقتصارها على الأطفال من سن معينة ، ونحن إذ نقول هذا الكلام لا نعمم، لأن هناك كتاتيب تتميز بتنظيم جيد وحققت وما تزال نتائج لا بأس بها في المسابقات الرسمية ، وتخرج منها كثير من حفظة القرآن ، الذين أصبح بعضهم من معلمي القرآن ، وحتى من الأئمة .

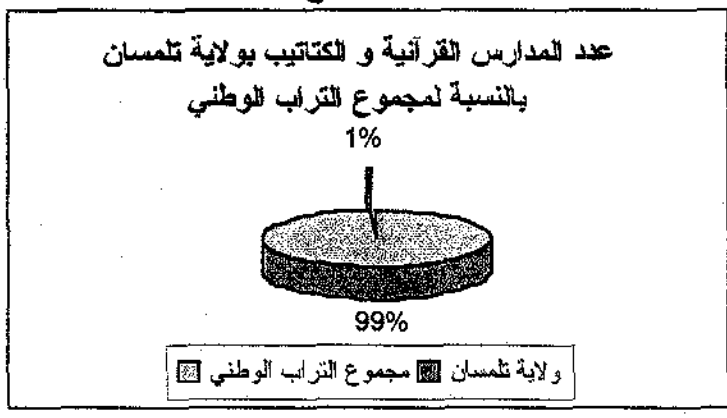

شكل (1)

التعليم الديني بتلمسان	التكرارات	النسب
المدارس القرآنية	3	10,34 %
الكتاتيب	26	89,66 %
المجموع	**29**	**100,00 %**

ومن المؤسسات التقليدية التي حملت لواء التعليم الديني الزوايا التي تمثل نسبة 7 % ، والشكل 2 يبين ذلك بوضوح .

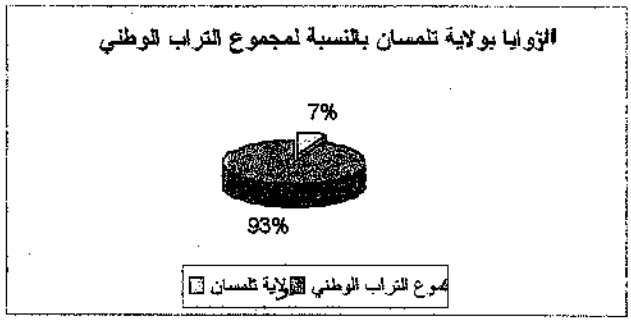

شكل (2)

كما يبين الجدول الموالي أن عدد الزوايا يفوق بقليل عدد المدارس القرآنية والكتاتيب ، لكن تبدو الزوايا غير العاملة أكثر من الزوايا العاملة ، فهذه الأخيرة لا تمثل سوى 23 % من مجموع عدد الزوايا بتلمسان .

عدد الزوايا بتلمسان	التكرارات	النسب
زوايا عاملة	7	23,33 %
زوايا غير عاملة	23	76,67 %
المجموع	**30**	**100,00 %**

وهذا في نظرنا من العوامل التي أضعفت مردود العملية التعليمية الدينية بالمنطقة ، الذي يرجع ربما إلى الوظيفة الصوفية لأغلب الزوايا .

أما المساجد فتمثل 4 % من عددها الإجمالي بالتراب الوطني(1) ، وتبدو هذه النسبة مرتفعة إذا ما قورنت بعدد المدارس القرآنية والكتاتيب كما يوضح الشكل 3 .

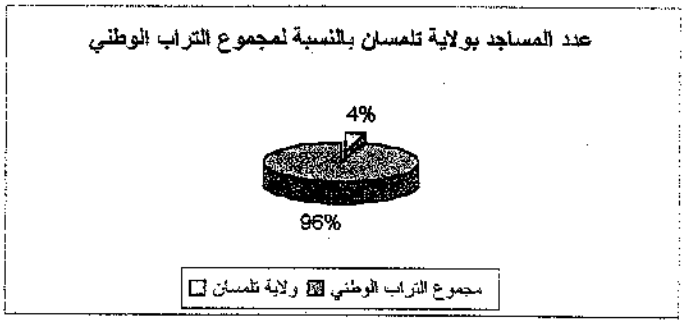

شكل (3)

(1) انظر مصدر الإحصائيات على المستوى الوطني من خلال موقع وزارة الشؤون الدينية على شبكة الإنترنت بعنوان : www:marwak-dz.or

بينما يصنّف الجدول التالي المساجد التلمسانية حسب أهمّيتها وطبيعة وظيفتها وعملها ، حيث تمثّل المساجد المحلّية الجامعة أكبر نسبة 78 % من العدد الإجمالي للمساجد عبر الولاية ، ممّا يؤكّد تركيزنا على ربط البحث بالمحيط المحلّي من خلال دراسة علاقة الخطباء بجماعة المصلّين ومعطيات الأصل الاجتماعي .

عدد المساجد بتلمسان	التكرارات	النسب
مساجد وطنية	3	0.67%
مساجد وطنية مركزية	1	0.22%
مساجد محلية جامعة	351	78.00%
مساجد محلية	76	16.89%
مساجد أثرية عاملة	15	3.33%
مساجد أثرية غير عاملة	4	0.89%
المجموع	**450**	**100.00%**

2- 2- 1- المطلب الأول : التأهيل الاجتماعي والأخلاقي للخطباء

رغم أنّنا تطرّقنا إلى عيّنة البحث في المقدّمة ، إلاّ أنّنا نعاود وصفها هنا حتّى تتّضح معالم الدراسة الميدانية بشكل يسمح بتتبّع دقيق لمختلف المتغيّرات والمؤشّرات ، وبالنظر إلى عدد المساجد المدرج آنفا ، والمقدّر ب 450 مسجدا ، وباعتماد مبدأ العُشر ، حصلنا على عيّنة مكوّنة من 45 خطيباً موزّعين حسب الوظيفة التي يشغلونها ، مع مراعاة أن تكون العيّنة مُمثّلةً لمختلف الفئات التي تمارس الخطابة بالمساجد بشكل عامّ ؛ والجدول المقابل يفصّل ذلك بدقّة .

العينة المدروسة	التكرارات	النسب
الأئمّة المعتمدون والأساتذة	3	6, 67 %
الأئمّة المدرّسون	7	15, 56 %
الأئمّة المعلّمون	14	31, 11 %
المؤذّنون ومعلّمو القرآن	15	33, 33 %
القيّمون والمتطوّعون	6	13, 33 %
المجموع	**45**	**100, 00 %**

أ- التأهيل الاجتماعي للخطباء

أ- 1 - عامل السن

لا شكّ أنّ عامل السنّ من العوامل التي قد يكون لها تأثير على نتيجة البحث ، باعتبار ممارسة أيّ نوع من الخطاب يمرّ عبر العلاقة بين الخطيب والمصلّين ، والمجتمع الجزائري تغلب عليه فئة الشباب ، فالمفترض أن يكون لتقارب السنّ بين الإمام والمأمومين أثر كبير في الانسجام ، وبالتالي قبول خطابه ، كما قد يكون العكس سببا في عدم قبول هذا الخطاب ، والجدول الموالي يبيّن أنّ فئة ما فوق 50 سنة لا تمثّل إلاّ حوالي 16 % ، بينما فئة أقلّ من 30 سنة تمثّل 20 % ، بينما تمثّل فئة ما بين 41 و50 سنة أكبر نسبة ، حيث تقدّر بحوالي

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذّنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
السن	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
30-18	0	0.00%	3	42.86%	6	42.86%	0	0.00%	0	0.00%	9	20.00%
40-31	2	66.67%	0	0.00%	0	0.00%	10	66.67%	0	0.00%	12	26.67%
50-41	0	0.00%	4	57.14%	8	57.14%	5	33.33%	0	0.00%	17	37.78%
فوق 51	1	33.33%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	6	100.00%	7	15.56%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	57.14%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

38 % ، تليها فئة ما بين 31 و40 سنة بحوالي 27 % ، وإذا جمعنا الفئات الثلاث الأخيرة التي يمكن اعتبارها أكثر تقرّبا من فئة الشباب حصلنا على نسبة تصل إلى 84 % كما يبيّن الشكل 4 ، ويركّز الدكتور يوسف القرضاوي على ما يسمّيه مراعاة حقّ السنّ

شكل (4)

فيقول : " ...فلا ينبغي إسقاط هذا الفارق ، ومخاطبة الكبير مخاطبة الصغير ، ومعاملة الشيوخ كما يعامل الشباب ، بزعم أنّ الإسلام يسوّي بين الناس جميعا ، فهذا فهم مغلوط للمساواة ..." (1) وقد يتحوّل الأمر إلى توجيه خطاب فئوي إقصائي من هذا المنطلق .

أ- 2 - الأصل الاجتماعي

وقد عبّر 76 % من الخطباء المستجوبين أنّهم ينحدرون من أصول ريفية ، في مقابل 24 % فقط من الذين ولدوا بالمدينة كما يُظهر الشكل 5 ، أو ترعرعوا فيها ، ممّا يعني عدم انتمائهم إلى بيئة الخطاب الذي يجعلهم منفصلين عن بعض اهتمامات المخاطبين ، لأنّ منهج الحكمة يقتضي ممارسة خطاب موزون يراعي حالة المخاطبين وطبيعة بيئتهم بأدقّ تفاصيلها ، كما أنّ عدم التأقلم مع بيئة الخطاب قد يدفع ببعض الخطباء إلى رمي بعض الناس بالفسوق عن الدين ، ويتّخذ منهم موقف الجفاء أو العداء لمجرّد ارتكابهم لبعض صغائر الذنوب ، وربّما بعض المشتبهات التي يختلف العلماء في حكمها (2) ؛ وعليه فقد يكون الأصل الاجتماعي ومجاورة

شكل (5)

(1) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص 216

(2) المرجع نفسه ، ص ص (180 — 181)

الخطيب لنمط اجتماعي مختلف قد يدفعه دفعا إلى إقصائه خطابيا ، وإنكاره من منطلقات بيئية لا تمتّ للدين بالصلة ، ممّا يُحدث حالة انفصال بين الخطيب ومحيطه الخطابي الجديد ، والعامل المسبّب (causal factor) هو اختلاف الأنماط الاجتماعية الناتج عن تناقضات البيئة الأصلية والأنساق الاجتماعية المرتبطة بها . (1) و الجدول الموالي يبيّن كيف تنتمي أغلب فئات الخطباء إلى النمط الاجتماعي الريفي ، ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ أغلب حفظة القرآن من الأرياف ، باعتبار التوظيف بالسلك الديني كان يمرّ عبر حفظ القرآن ، وهو ما أعطى التفوّق للأصل الاجتماعي الريفي بالنسبة لجميع الفئات ، فالأئمّة المعتمدون والأساتذة ، وكذا المتطوّعون بنسبة 100 % ، ثمّ الأئمّة المعلّمون بحوالي 79 % ، والمؤذّنون ومعلّمو القرآن بما يقارب 69 % ، إلى جانب الأئمّة المدرّسين بنسبة 57 % .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذّنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
ريفي	3	100.00%	4	57.14%	11	78.57%	10	66.67%	6	100.00%	34	75.56%
حضري	0	0.00%	3	42.86%	3	21.43%	5	33.33%	0	0.00%	11	24.44%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

الحالة التعليمية للوالدين

والشكل 6 يؤكّد النتيجة السابقة باعتبار الأصل الاجتماعي الريفي الذي بلغت نسبته 76 % ، يأتي متطابقا نسبيا مع حالة الوالدين التعليمية التي غلبت عليها الأمّية بحوالي 78 % ، ممّا يعدّ من مميّزات الأنماط الاجتماعية الريفية ، التي تخلق نوعا من الخلط بين الأصل الريفي و المكانة الاجتماعية

حالة الوالدين التعليمية

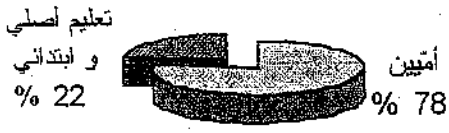

شكل (6)

(1) أحمد أبو زيد ، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان 1978 ، ص 177

الحضرية باعتبار ممارسة الخطباء لنشاطاتهم في الأوساط الحضرية ، وهي المشكلة التي سبق للعالم الأنثروبولوجي الأمريكي " سوروكين بيتيريم " معالجتها في كتابه " الحراك الاجتماعي والثقافي " حيث حرص على ضرورة تحديد الوضع الاجتماعي للفرد (الأصل الإيكولوجي) ، وبالتالي معرفة مكانة عائلته ، ومكانته الاقتصادية (1) ، بينما ربطها محمّد الدقس بظاهرة العزلة في الحياة الريفية (2) ، وأرجعها نور الدين طوالبي إلى تزمّت الممارسة الدينية في الريف مقارنةً بالمدينة بنسبةٍ تزيد عن 87 % . (3)

- **الهواية أو الوظيفة قبل دخول السلك الديني**

وتأتي معرفة المكانة الاقتصادية حسب " سوروكين " بالتطبيق على بحثنا من معرفة النشاط الذي مارسه الخطباء قبل توظيفهم بالسلك الديني ، أو على الأقلّ الهواية التي يحنّون إليها ، فكانت النتيجة كما هو واضح في الشكل 7 ، تعبير الخطباء عن ميولاتهم الحرفية وممارستهم لوظائف ونشاطات تقليدية بنسبة 71 % ، الأمر الذي يؤكّد بشكل أكثر مصداقيةً النتائج السابقة عن الأصل الاجتماعي الريفي لأغلب الخطباء ، ممّا يجعل أمر التأهيل الاجتماعي مرتبطاً بنسبة معيّنة بظهور أنماط الخطاب الإقصائي (كشكل من أشكال العنف اللّفظي)، وعدم الانسجام بين الخطباء المنتمين للمجتمعات المحلّية والمخاطبين الذين لا يجدون في هؤلاء ما يوحي بمعرفتهم بظروف عيشهم ، وبالتالي انفراط عقد التواصل في الخطاب بين المرسل والمرسل إليه ، ممّا يولّد حالة من التنافر بينهما قد تصل إلى ممارسة العنف ضدّ الآخر

الهواية أو الوظيفة قبل دخول السلك الديني

شكل (7)

---

(1) SOROKIN , P , Social and Cultural Mobility , The Free Press , New York USA 1959 , PP (3-40)

(2) محمّد الدقس ، التغيّر الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، دار مجدلاوي عمّان الأردن ، الطبعة الثانية 1996 ، ص 54

(3) نور الدين طوالبي ، مرجع سابق ، ص ص (255-256)

المختلف ، ولا يعدّ توظيف الخطاب الديني في هذه العمليّة أمراً مستبعداً ، وقد استقينا من معطيات البحث الميداني ، أنّ هناك من بين أفضل الأئمّة على مستوى الولاية (تلمسان) سارع إلى الانتقال للعمل بمسقط رأسه (بمسجد محلّي بالريف) ، بسبب هذا " البعد الإيكولوجي " (غياب التأهيل الاجتماعي) الذي قد يملك سلطة الفصل بين أيّ نمطين اجتماعيين مختلفين كما يؤكّد " إيفانس بريتشارد " . (1)

أ- 3 - الأحوال المادية

وننطلق في مناقشتنا للأحوال الماديّة كذلك من معرفة ظروف الإقامة ، ومشاكل التنقّل كعناصر لقياس الحالة المادية لمختلف فئات الخطباء ، وبالتالي يتسنّى لنا ربطه بإشكالية البحث ، والجدول التالي يبيّن بشكل دقيق كيف تتدرّج النسب من 33% عبّروا عن فقرهم (ضيق ذات اليد) في الإجابة عن السؤال رقم 10 من المعتمدين والأساتذة (أعلى رتبة في سلك الأئمّة) ، ثمّ 43 % عبّروا عن ذلك من الأئمّة المدرّسين ، لتأخذ النسبة في الارتفاع ابتداءً من 50 % للأئمّة المعلّمين ، إلى 67 % عند المؤذّنين ومعلّمي القرآن ، ويأتي القيّمون والمتطوّعون في المرتبة الأولى بنسبة 83 % ، وهكذا بدت النتائج طبيعية جدّا بموافقتها للسلّم الوظيفي . أمّا نسبة الإجابات الأخرى فتبدو هي الأخرى على قدر من الأهمّية حيث بلغ مجموعها 40 % ، والتي جاء أغلبها يصبّ في النسق مثل : " متوسّط الحال " ، " لا بأس والحمد لله " ، وهي تعبّر بطريقة أخرى عن الأحوال المادية غير المقنعة بالنسبة لهؤلاء .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذّنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
ضيق ذات اليد	1	33.33%	3	42.86%	7	50.00%	10	66.67%	5	83.33%	26	57.78%
إغداق في المصروف	1	33.33%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	1	2.22%
إجابة أخرى	1	33.33%	4	57.14%	7	50.00%	5	33.33%	1	16.67%	18	40.00%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) Evans Pritchard , The Nuer . O.U.P London UK 1940 . P 109

- أسباب عدم الرضا الوظيفي

يؤكّد الشكل 8 أنّ الظروف المادية غير المناسبة تأتي على رأس أسباب عدم الرضا الوظيفي وبنسبة مرتفعة 78 % ، لتجعل تأويلنا للإجابة الأخرى على نحو سلبي أمرا مفهوما كما هو حال بعض الإجابات الأخرى على غرار " مخصوص من السكن " التي بالإضافة إلى كونها تعكس اختلاط العامّية بالفصحى ، تعكس الحالة السكنية غير الملائمة بالنسبة لكثير

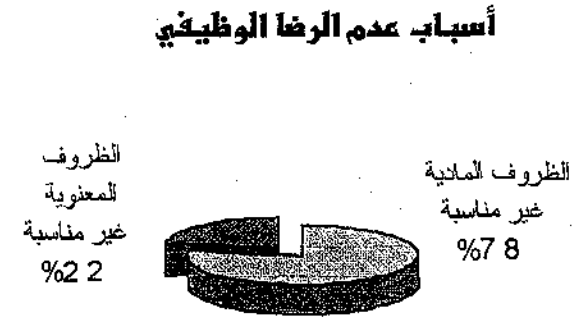

شكل (8)

من الخطباء التي يمكن إضافتها إلى مؤشّرات الحالة المادية بشكل عام ، وهو ما تمّ في هذا البحث بشكل مفصّل ، إلى جانب ظروف النقل والتنقّل .

- النقل والتنقل

والشكل 9 يكشف بوضوح أنّ 16 % فقط من الخطباء يملكون سيارات ، بينما الأغلبية الساحقة منهم تعيش في دوّامة مشاكل

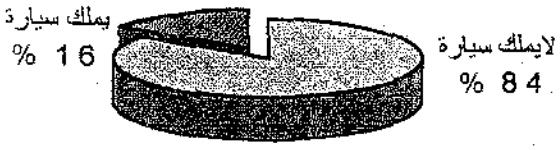

شكل (9)

النقل ، وباعتبار كلّ الذين استجوبناهم من المتزوّجين ، فإنّ ظروف تنقّلهم (على الأقلّ في المناسبات الدينية والأعياد) يكوّن مشكلة حقيقية بالنسبة لهم لأنّ أغلبهم كما رأينا يعاني ظروفا مادية غير مستقرّة .

-ظروف الإقامة

كما سبقت الإشارة ، تأتي مشكلة السكن _ على ضوء ما استقيناه _ على رأس المشاكل التي يتخبّط فيها كثير من الخطباء ، والتي تُضاف بدورها إلى الأحوال المادية لتجعلها أكثر تردّيا ، فكما هو واضح في الشكل 10 ، يعيش 61 % من الخطباء ظروفا سكنية مزرية ، وإليك الجدولان اللّذان يفصّلان هذه النتيجة بدقّة أكبر.

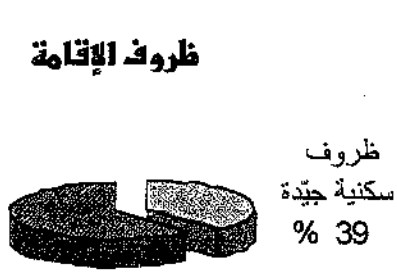

شكل (10)

- طبيعة الإقامة

إنّ نسبة 39 % التي عبّرت في الشكل السابق عن ظروف سكنية جيّدة يقابلها في هذا الجدول نسبة ملكية السكنات الخاصّة عند الأئمّة المعتمدين والأساتذة التي تقارب 67 % ، ونسبة 57 % عند الأئمّة المدرّسين ، لكن ملكية السكن الخاصّ بالنسبة للفئات الأخرى مثل فئة القيّمين والمتطوّعين ب100 % ، والمؤذّنين ومعلّمي القرآن ب33 % ، والأئمّة المعلّمين ب 50 % ، فيقابلها تعبير هؤلاء عن ضيق سكناتهم ، بالإضافة إلى نسبة السكن الوظيفي الواضحة في الجدول والتي يزيد مجموعها على 46 % ، كمؤشّر على سوء الأحوال السكنية ، والتي تتدرّج بدورها من 33 % عند المعتمدين والأساتذة ، ف43 % لدى الأئمّة المدرّسين ، ثمّ 50 % بالنسبة للأئمّة المعلّمين ، و67 % للمؤذّنين ومعلّمي القرآن ، أمّا ملازمة الصفر للسكن المأجور فيعود حتما إلى عدم الاستطاعة المادية بفعل الأجور المتدنّية لكلّ أسلاك الوظيف العمومي بشكل عامّ .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذّنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
سكن خاص	2	66.67%	4	57.14%	7	50.00%	5	33.33%	6	100.00%	24	53.33%
سكن مأجور	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%
سكن وظيفي	1	33.33%	3	42.86%	7	50.00%	10	66.67%	0	0.00%	21	46.67%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

- محل الإقامة

أمّا مسألة القرب والبعد ، فتستلزم مناقشتها حذف نسبة السكن الوظيفي والمقدّرة بحوالي 47 % ، تصبح نسبة القرب من المسجد لا تقدّر في الحقيقة إلاّ ب20 % ، تضاف إليها نسبة البعد عن المسجد المرسومة على الجدول والتي تفوق 31 % ، ممّا يجعل من سوء الأحوال السكنية مؤشّرا آخر يقوّي فرضية سوء الأحوال المادّية في عمومية طرحها على بساط البحث.

الفئات / الإجابة	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
قريب من المسجد	2	66.67%	3	42.86%	10	71.43%	10	66.67%	6	100.00%	31	68.89%
بعيد عنه	1	33.33%	4	57.14%	4	28.57%	5	33.33%	0	0.00%	14	31.11%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

ولعلّ القضيّة التي تُطرح هنا أيضا من منطلقات ميدانية بحتة كذلك ، و سوء استغلال بعض الأئمّة لبعض المحتسبين لفعل الخير ، من خلال بناء مساكن للإمام والمؤذّن ، بل إنّ بعضهم يشترط قبل البناء اختيار بعضا من أقاربه أو معارفه لشغل وظيفتي المؤذّن والقيّم ، ليستأثروا بالسكن المريح بغضّ النظر عن كفاءتهم وقدرتهم على الاضطلاع بهذه المهامّ الكبيرة والجليلة ، والسؤال الذي يُطرح هنا بإلحاح ، هو كيف يمكن أن تُشرّع مثل هذه الاشتراطات ؟، وكيف تتمّ الموافقة عليها ؟ ، فما أغرب ما آلت إليه وظيفة الإمام في وطننا ! ، وليس ذلك خاصّا بالجزائر وحدها ، فالمشكلة مطروحة في بلدان أخرى ، وبنفس الحدّة ، غير أنّ ذلك لا يمنع من العناية بالمساجد ، حيث إنّ رفع مستوى الأداء للعاملين بالمساجد (الإمام والخطيب والقيّم والمؤذّن) يفرض ضرورة مكافئتهم ، وتحفيزهم ماديا بطريقة أو بأخرى كما هو الحال في مصر من خلال تخصيص 40 % من ميزانية وزارة الأوقاف لبناء السكنات للأئمّة [أمر من الرئيس مبارك (1)، غير أنّ العبرة في الحصول على مثل هذه الامتيازات تبقى بالتأهيل لا بسواه ، وبالتالي ينبغي أن تكون الاستفادة على أساس الكفاءة في الأداء الوظيفي . (2)

---

(1) ضياء رشوان ، تقرير الحالة الدينية في مصر 1995 ، مركز الأهرام للدراسات ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1996 ، ص 64

(2) سليمان العقيلي ، المساجد والسياسة ، مقال بالوطن السعودية ، الرياض ، العدد 1088 ، السنة الثالثة ، الصادر في سبتمبر 2003 ، ص 4

ب- ظروف الانسجام في محيط المسجد

يتوجّه الخطاب المسجدي إلى طوائف عديدة ، ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة _ كما رأينا _ ، ولمستويات ثقافية متباينة معرفةً وإدراكاً ، ممّا يطرح مشكلة الانسجام باختيار منهجية خاصّة ، ولغة مشتركة وبسيطة ، وأسلوبا توجيهيا منوّعا ، كما يتطلّب الأمر (كما سنرى) اختيار موضوعات تتّصل باهتمامات الناس كلّهم ، صغيرهم وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، وتمسّ كلّ فئة من فئات المجتمع ، وتعالج الانحرافات والاختلالات التي تلاحظ في أوساط المجتمع الذي يمثّلونه ، فالمحتويات التي يركّز عليها الخطاب المسجدي تختلف عن المحتويات المقرّرة في مناهج التعليم ، فهو يترجم التوجيه العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبنّاه المؤسّسة الدينية ، ومن ورائها المجتمع ، وتربية الناس على حبّ الخير والصلاح ، ومحاربة الرذائل والآثام ، وتعليمهم كيفي التعامل والتعايش مع الحياة في جوانبها المادية والمعنوية . (1)

ب- 1 - الانسجام مع جماعة المصلّين

يشرح الجدول الموالي كيف أنّ مشكلة الانسجام مع جماعة المصلّين تطرح بأكثر حدّة عند المتطوّعين والقيّمين بنسبة قياسية تجاوز 83 % ، ثمّ عند المؤذّنين ومعلّمي القرآن بنسبة تقارب 67 % ، والأئمّة المعلّمين بنسبة تفوق 78 % ، و يرجع ذلك في نظرنا إلى كون هذه الفئات الثلاث غير مؤهّلة الخطابة ، وإنّما كلّفتها الجهات المعنية بذلك لسدّ الفراغ الموجود ببعض المساجد ، ولذلك لا تطرح مشكلة الانسجام بالنسبة للأئمّة المعتمدين والأساتذة ، وكذا المدرّسين باعتبار ممارس الخطاب تدخل في إطار مهامّهم واختصاصهم .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
منسجم	3	100.00%	7	100.00%	3	21.43%	5	33.33%	1	16.67%	19	42.22%
غير منسجم	0	0.00%	0	0.00%	11	78.57%	10	66.67%	5	83.33%	26	57.78%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) عبد القادر فضيل ، منهجية بناء الخطاب المسجدي ، مقال منشور بمجلّة رسالة المسجد التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر ، العدد 2 ، السنة الأولى ، سبتمبر 2003 ، ص 28

- أسباب عدم الانسجام

حسب الجدول السابق ، عبّر 26 خطيبا عن عدم انسجامهم مع جماعة المصلّين ، وهم بالتالي يتعلّقون بهذا العنصر من البحث ، من خلال محاولة الوقوف على بعض أسباب عدم الانسجام بالرجوع إلى إجابات هؤلاء على السؤال رقم 17 ، حيث عبّر 14 خطيبا عن وجود خلافات مذهبية وسياسية تقف خلف الظاهرة ، ولم تخل أجوبتهم من العنف والإقصاء لكثير من المصلّين على غرار " لا ألتفت إليهم أصلا ! " ، " هذه ليست جماعة ! " ،

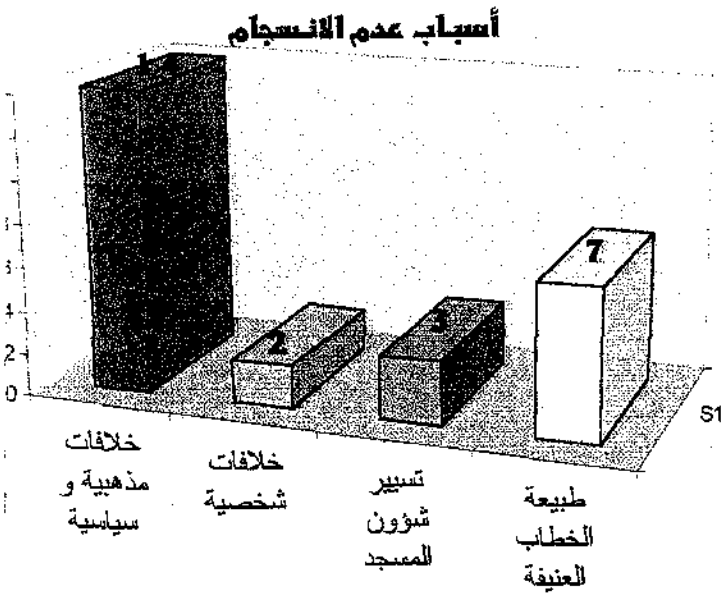

شكل (11)

" لا يعتدّ بقولهم إذا قالوا " ، ومنهم من اعترف بإقصائه للفئة العمرية التي لا ينتمي إليها صراحةً ، ومن الخطباء من أعادنا بالإجابة عن هذا السؤال إلى مشكلة التأهيل الاجتماعي الذي تحدّثنا عنه في السابق (من خلال آراء سوروكين و إيفانس بريتشارد) ، إلى أنّ مشكلة الانسجام ليست فقط على مستوى جماعة المسجد ، ولكن امتدّت إلى أسرة الإمام ، وفي ذلك قال أحدهم : " ..لقد أصبحنا نحلّ الكثير من المحرّمات... ! " ، وما تعبير 7 من المستجوبين عن أنّ لغة الخطاب العنيفة هي أحد أسباب عدم الانسجام إلاّ دليلاً على ذلك ، بينما جاءت الخلافات الشخصية ، والخلافات حول تسيير شؤون المسجد التي عبّر عنها على التوالي 2 و3 من الخطباء فهي صورة أخرى لآراء الأنثروبولوجيين حول تناقض بيئة الخطاب مع الأصل الاجتماعي للخطباء ، الذي يوفّر مناخا محتقنا لعدم الانسجام وبالتالي انتظام البيئة الخصبة الملائمة لممارسة العنف المتبادل الذي يعدّ العنف الخطابي أحد أنواعه أو أطرافه .

ب- 2 - مؤشرات عدم الانسجام

إذا كان من وظيفة الخطباء انسجامهم في المحيط الذي يعملون به ، والنزول من سماء الأحلام والمثالية المجنّحة إلى أرض الواقع ، ليعايشوا الناس من الأحياء في المدن الكبيرة ، إلى الزوايا والأزقّة في القرى الكادحة ، وعلى مضامين خطبهم أن تكون مساهمةً في تعليم الأمّيين ، وعلاج المرضى ، وفي تقوية المتعثّرين حتّى ينهضوا ، وفي مساعدة البطّالين حتّى يعملوا ، وفي معاونة المحتاجين حتّى يكتفوا ، وتنكير العُصاة حتّى يتوبوا ، والأخذ بيد المنحرفين حتّى يستقيموا ؛ فإنّ هؤلاء الخطباء مطالبون بإصلاح ذات البين ، والإشارة إلى ذلك في خطبهم ، كلّما لاحظوا فساد ذات البين ، لأنّه معني بتماسك خلايا المجتمع (1) ، الذي يعدّ من الحاجات الاجتماعية التي حدّدها " مالينوفسكي " في إطار نظريته الوظيفية ، وتقسيماته للحاجات الاجتماعية التي من بينها الحاجة للوحدة والتماسك . (2)

- المصالحة بين المتخاصمين في خطبة الجمعة

وإذا كان الإصلاح بين المتخاصمين (ذات البين) من وظائف الخطاب الإسلامي ، فإنّ من مؤشّرات عدم الانسجام غياب هذه الوظيفة كما هو واضح في الجدول التالي ، ففي الجواب عن السؤال 57 ، عبّر 53 % من الخطباء عن عدم قيامهم بذلك ، وعدم تضمّن خطبهم لشيء من ذلك ، والغريب في الأمر أنّ الأئمّة المعلّمين الذين ترمز وظيفتهم إلى التعليم هم ممّن لا يضطلعون بهذه الوظيفة بنسبة تتجاوز 71 % ، بعد القيّمين والمتطوّعين بنسبة تفوق 83 % ، ممّا يطرح إشكالية التأهيل بالنسبة لهذه الفئات ، دون إهمال نسب الفئات الأخرى التي وإن قلّت

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	2	66.67%	4	57.14%	4	28.57%	10	66.67%	1	16.67%	21	46.67%
لا	1	33.33%	3	42.86%	10	71.43%	5	33.33%	5	83.33%	24	53.33%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ص (218 — 219)

(2) صلاح مصطفى الفوّال ، معالم الفكر السوسيولوجي المعاصر ، دار الفكر العربي القاهرة 1982 ، ص 146

فإنّها لا تنفي عدم حرص بعضهم على القيام بذلك رغم علمهم بأنّها تدخل في إطار وظيفتهم ، الأمر الذي يؤدّي إلى اختلال وظيفة الخطاب المسجدي باعتبار الإصلاح بين المتخاصمين من علامات قيام المؤسّسات الروحية بدورها حسب تحديدات " صالح صالحي " في تفصيلاته لحاجيات الإنسان الروحية والمعنوية ، على ضوء نظرية " مالينوفسكي " السابقة. (1)

- **الإنكار على الخصوم ومهاجمتهم**

لقد رأينا في ما سبق (أسباب عدم الانسجام مع جماعة المصلّين) ، كيف جاءت الخلافات المذهبية والسياسية على رأس أسباب عدم الانسجام كما وضّحه الشكل 11 السابق ، وهي حسب " عبد المالك رمضاني " فجوة في الخطاب الديني تنطلق من الاستجابة للاستفزازات المذهبية ، وصرف موهبة الخطابة في المناوشات الحزبية التي ما تفتأ تنتهي بمحطّة الجرأة والانزلاق بهذا الخطاب إلى هوة الفتنة. (2)

ويأتي الإنكار على الخصوم في الخطب المنبرية حسب الجدول الموالي ليرسم واقع عدم الانسجام الذي تعيشه بعض المساجد الجزائرية ، حيث عبّر أكثر من 51 % من الخطباء ممارستهم الإنكار على الخصوم (المذهبيين وغيرهم) ، ومهاجمتهم من على المنبر، وفي توافق مع نتائج " المصالحة بين المتخاصمين " ، يأتي الأئمّة المعلّمون على رأس هؤلاء بنسبة تفوق 78 % ، ثمّ الأئمّة المدرّسون بنسبة تتجاوز 57 % ، وباقي الفئات ب 33 % ، ولا شكّ أنّ ذلك يدخل في إطار توظيف الخطاب الديني في إثارة النعرات الإقصائية ، والفتن المذهبية التي تذهب معها قوّة المجتمع ، فتتفتّت وحدته ، ليصبح مصابا بمرض القابلية للفتنة والانقسام ، مع

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	1	33.33%	4	57.14%	11	78.57%	5	33.33%	2	33.33%	23	51.11%
لا	2	66.67%	3	42.86%	3	21.43%	10	66.67%	4	66.67%	22	48.89%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) صالح صالحي ، ضوابط الرشد والكفاءة في الاقتصاد الإسلامي ، مقال منشور بمجلّة الرسالة التي تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 12 ، جوان 1988 ، ص 52 .

(2) عبد المالك رمضاني ، مرجع سابق ، ص 515

أنّ الأصل توظيف هذا الخطاب في الوعظ والإصلاح ، بما يكفل وحدة المجتمع وتماسكه ، ومن خلال هذه الوحدة ينشأ التنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد والسلطة وغيرها من العناصر الثقافية التي حدّدها " مالينوفسكي " في نظريته الوظيفية . (1)

- **الخطاب الإقصائي**

وليس بعيدا عن الإنكار على الخصوم ومهاجمتهم من على المنبر ، تأتي ممارسة الخطاب الإقصائي ، لتؤكّد النتيجة السابقة باعتراف 71 % من خطباء المساجد ممارستهم هذا النوع من الخطاب ضدّ خصومهم في المسجد ، بل إنّ بعضهم تطرّف في ذلك بإطلاق عبارات يشتمّ منها كثير من الضغينة والعنف ، ضدّ بعض المصلّين الذين سبق لهم وصفهم بأقبح الألقاب في مختلف المناسبات الخطابية ، ممّا اضطرّ بعضهم إلى هجر المسجد ، والبحث عن مساجد أخرى تبعد عن مسجدهم بعشرات الكيلومترات أحيانا ، فقط لوجود خلافات مذهبية ، أو شخصية ، وحتّى عائلية ، فقد عبّر أحدهم عن خلاف عائلي مع أخيه ، وهذا يطرح إشكالية التأهيل الأخلاقي الذي سنعمد إلى مناقشته في العناصر اللاّحقة من هذا البحث .

الخطاب الإقصائي

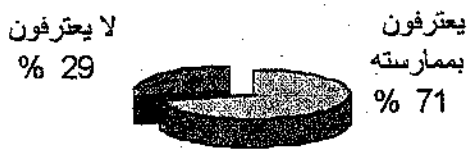

شكل (11)

- **أسلوب تصحيح الأخطاء**

ومن خلال الشكل 12 يبدو النزوع إلى العنف أمرا واضحا من خلال الأسلوب المفضّل في تصحيح الأخطاء ، حيث عبّر 36 % من المستجوبين من

أسلوب تصحيح الأخطاء

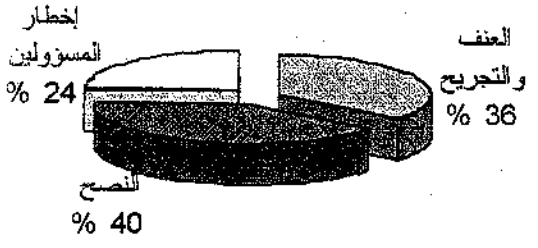

شكل (12)

(1)صلاح مصطفى الفوّال ، مرجع سابق ، ص 146

لخطباء أنّهم يميلون إلى التجريح والعبارات العنيفة كطريقة لتقويم الأخطاء ، وبإضافة نسبة الذين عبّروا عن إخبارهم الجهات المعنية (أو المسئولين عن القطاع) بأيّ خطأ يرونه ، والمقدّرة بحوالي 24 % ، يصبح التعامل السلبي للخطباء مع الأخطاء بشكل عام يقدّر بحوالي 60 % ، بينما لم يشكّل أسلوب النصح (الذي من المفترض أن يكون الأسلوب الأمثل في تقويم الأخطاء) إلاّ 40 % ، ويرجع هذا _ حسب " سعيد جودت " _ إلى الانفعال الذي يُفقد هؤلاء صوابهم ممّا يُضعف إرادتهم في النصح ، فيودّون التصحيح من موقع قوّة (تبعاً لانفعالاتهم) ، فيقلّ تدخّل القدرة الواعية لديهم . (1)

- **الإطالة في خطبة الجمعة**

لقد تعرّضنا من خلال تحليلنا للمتن الخطابي إلى ظاهرة الإطالة في الخطبة غير الرسمية ، وقد تقرّر لدينا أن ذلك من قلّة الفقه (2) ، وعلامة على غياب التأهيل الشرعي الذي سنعرض له لاحقا ، لكنّنا نتحدّث هنا عن الإطالة في الخطبة كمؤشّر على عدم الانسجام ، حيث عبّر 62 % من الخطباء في ردّهم عن السؤال رقم 42 عن إطالتهم في إلقاء الخطب ، كما هو موضّح في الشكل 13 ؛ بينما 38 % فقط قالوا أنّهم لا يطيلون في خطبة الجمعة ، والعلاج ربّما يكمن في الاستعانة بطبع بعض الخطب المشهورة لكبار العلماء المشهود لهم بالباع الطويل والكفاءة ، وتوزيعها على الخطباء كفيل بجعل العملية أكثر فعالية ، لأنّ الخطبة المكتوبة تساعد على تحديد زمن الخطبة ، بما يكفل عدم الإطالة فيها ، وتجنيبها الإطناب والملل ، ويجعلها أكثر موضوعية ومنهجية ، خاصّة إذا علمنا أنّ إلقاء الخطبة يمنح الخطيب فرصة اللّقاء الأسبوعي بعدد لا يُستهان به من المصلّين بدون إعلانات ولا دعوات

الإطالة في خطبة الجمعة

شكل (13)

(1)سعيد جودت ، حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ، المطبعة العربية الجزائر ، الطبعة الأولى 1990 ، ص 188

(2)سبل السلام ، مصدر سابق ، ص 105

للحضور ؛ ممّا يبيّن أنّ عملية الخطابة بالمسجد تكتسي أهمّيتها ، وكذا مكانة الخطيب الذي يُعتبر في مخيال العامّة محتكرا لسلطة الكلام داخل المسجد بوصفه ممثّلاً للخطاب المقدّس ، والمنقذ من الضلال ؛ وهو يقوم بهذه الوظيفة في مؤسّسة تابعة للدولة ، بمعنى أنّه يستمدّ مشروعية خطابه من السلطتين الدينية والدنيوية معاً ، وهنا تكمن جسامة وظيفة الخطباء الذين يملكون هذه السلطة الرمزية التي تفتح أمامهم جميع قنوات التلقّي التي تستقبل كلّ ما ينطقون به ، دون تمحيص لمضامينها التي قد تضرّ كما تنفع باعتبارها من كلام البشر المعرّض للخطأ كما للصواب ، ولعلّ إطالة الخطبة تزيد من احتمالات الانزلاقات والأخطاء فضلاً عن العنف الذي قد يمارسه الخطباء على المصلّين الذين يضطرّون إلى البقاء تحت أشعّة الشمس الحارقة ، أو تحت الأمطار الغزيرة، وهم ينتظرون بشغف كبير وقت الصلاة وإنهاء الخطبة لتنتهي معاناتهم ، والسبب _ كما تبيّن لنا من قبل _ غياب التأهيل الفقهي الذي يتيح مراعاة حالة المصلّين والإشفاق عليهم ، ثمّ إنّ مخاطبة الناس فنّ من الفنون ، فلا بدّ أن يكون أسلوبه بعيداً عن السأم والملل ، فخير الكلام ما قلّ ودلّ ، وكثرة الكلام تنسي بعضه بعضاً ، خاصّةً وأنّ هناك من المصلّين والمستمعين كبار السنّ والأطفال ، والكثير منهم يحضر للمسجد في وقت مبكّر ، فكثيرا ما يسترسل بعض الأئمّة في خطب ارتجالية عائمة وغير مترابطة (كما رأينا من خلال تحليل المتن الخطابي) ، ويطيل الحديث في الوقت الذي يرى بأمّ عينيه أبواب المسجد وقد حشرت بالواقفين فضلا عن المنتظرين خارج المسجد .

ب- 3 - واقع الانسجام

يتّجه " محمّد أمير ناشر النعم " (1) إلى طرح إشكالية الواقعية في الخطاب الإسلامي وبالضبط في الخطب التي تُلقى بالمساجد فيقول : " إنّ خطبة الجمعة اليوم معمل إنتاج ثقافي

(1) محمّد أمير ناشر النعم ، خطبة الجمعة بين الواقع والمثال ، مقال منشور بمجلّة رسالة المسجد التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، الصادر في سبتمبر 2003 ، نقلاً عن مجلّة رسالة المسجد التي تصدر عن وزارة الأوقاف بسلطنة عمان ، العدد 101 ، سبتمبر 2001 ، ص ص (42 — 43) .

اغتيل فيها العقل ، لأنّها حوّلت وظيفته من التفكير إلى التبرير ، والتبرير عملية تجميل واهمة لوجه الواقع المشوّه دون التوجّه لقطع أسبابه وموادّه ، وفي الحاصل تكريس هذا التشوّه وتثبيته ...إنّ على الخطيب اليوم أن يمتلك مقوّمات التحليل وأدوات النقد ، ليعرّي الواقع وينفض ما تراكم عليه من غبار ، بل ليظهر منابع التشوّه فيه حتّى إذا ما حدّدها وعدّدها انبرى مع زملائه العلماء لوضع استراتيجية عليا تكفل بأن تعيد لوجه الواقع رونقه وجماله واتّساقه ؛ فمهمّة الخطيب في النهاية أن يوقّع النص وينزله التنزيلة اللاّئقة بالزمان والمكان والإنسان " .

- **معالجة المشاكل والاهتمامات اليومية للمصلّين**

خلافا للنتائج السابقة ، عبّر أغلب المستجوبين وبنسبة مهمّة تقارب 78 % عن معالجتهم للمشاكل اليومية للمصلّين في تناقض صارخ مثلا مع نتيجة " المصالحة بين المتخاصمين " التي تعدّ بدورها من المشاكل التي ينبغي على الخطباء معالجتها ، بينما اعترف أكثر من 22 % من الخطباء بعدم معالجة اهتمامات الناس وهمومهم ، وينتمي هؤلاء إلى فئة الأئمّة المعلّمين ، المؤذّنين ومعلّمي القرآن ، والقيّمين والمتطوّعين ، كما هو واضح في الجدول الموالي (بنسب تفوق 28 % ، 33 % ، و16 % على التوالي) ؛ بخلاف فئتي الأئمّة المعتمدين والأساتذة ، والأئمّة المدرّسين الذين عبّروا عن اهتمامهم بمعالجة المشاكل اليومية للمصلّين وبنسبة 100 % وعدم ملامسة واقع المخاطبين من عيوب الخطاب الإسلامي التطبيقي في العالم الإسلامي

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	3	100.00%	7	100.00%	10	71.43%	10	66.67%	5	83.33%	35	77.78%
لا	0	0.00%	0	0.00%	4	28.57%	5	33.33%	1	16.67%	10	22.22%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

بأكمله وليس ظاهرة جزائرية منعزلة ، وفي ذلك يقول الدكتور حسن الترابي (1) : " فالخطيب يقف ليخطب في الناس ، فلا يحسون أنّه يمسّ أمرا مباشرا فيخاطبهم بقوله : اتقوا الله أيّها الناس ..ولا يخاطب كلاّ بما يمسّ واقعه وكيف يتّقي الله فيه ؟ فإذا منت سائق سيارة أو عامل

(1) حسن الترابي ، تجديد الفكر الإسلامي ، دار البعث قسنطينة ـــ الجزائر ، الطبعة الأولى 1990 ، ص 24

مصنع، فالهدى الحقّ أن ينزل الخطيب حديثه على الواقع تنزيلاً ، لأعرف كيف أتقي الله في قيادة السيارة ، أو في التعامل مع زملائي في المصنع ومع الآلة ، ومع أصحاب المصنع ؛ أمّا الذي نراه ونسمعه اليوم فإنّ الخطباء والعلماء يتحدّثون حديثا مجرّدًا لا يتنزّل على الواقع" .

إنّ هذا الواقع المرير المتّسم بجهل الخطباء المتعالمين وبخطبهم التي يهربون بها عن واقع الناس ، يفرض محاولة إيقاظ ضمائرهم الغافلة حتّى يتواصلوا مع مشاكل المخاطبين الذين يجب أن يجدوا في حديث الخطباء ما يشفي غليلهم ، ويجيب عن انشغالاتهم ، ويناقش همومهم ؛ فقد أشار تقرير رسمي صادر عن مجلس الشعب المصري يتحدّث عن عيوب الخطاب الديني في بلد الفراعنة ، أنّ أهمّ تلك العيوب هو انفصال الخطاب الديني عن واقع الناس ، وإسقاطه النصوص الدينية على الواقع المعاش دون توظيف هذه النصوص في إصلاح الواقع . (1)

- عدد المستفتين من المصلين أسبوعيا

تفيد نتائج الجدول الموالي أنّ ما يقارب 67 % من الخطباء يُستفتون بمعدّل أقلّ من 10 مصلّين أسبوعيا ، والغريب وجود نسب مهمّة عند الأئمّة المدرّسين والمعلّمين ، بالإفتاء لأكثر من ذلك كما يظهر على الجدول التالي ، وواقع الحال يفرض أن الإفتاء في كثير من المسائل

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلّمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
أقل من 10	2	66.67%	0	0.00%	8	57.14%	15	100.00%	5	83.33%	30	66.67%
30 - 10	1	33.33%	4	57.14%	3	21.43%	0	0.00%	0	0.00%	8	17.78%
50-30	0	0.00%	0	0.00%	3	21.43%	0	0.00%	0	0.00%	3	6.67%
50 فاكثر	0	0.00%	3	42.86%	0	0.00%	0	0.00%	1	16.67%	4	8.89%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

لا بدّ أن يُرجع فيه لأهل الاختصاص فالجرأة على الفتوى بهذا الشكل تعدّ من نقائص التأهيل ، ولا يمكن أن تغيب علينا في ذلك أخبار الأوّلين من أئمّة المذاهب أنفسهم والتابعين الذين كانوا يُستفتون فلا يُفتون ، فهاهو العالم الفقيه والمحدّث سعيد بن المسيّب يُستفتى في كثير من المسائل فيقول : اللهم سلّمني وسلّم منّي ، والإمام مالك الذي سئل عن 22 مسألة فما أجاب إلاّ

(1) سامر سكيك ، خطباء المساجد ، في سلسلة مقالات فكرية بموقعه على شبكة الأنترنت بعنوان : www.samerskaik.net

في اثنتين ولك أن تتصوّر نسبة الإفتاء عند الإمام مالك التي لا تتجاوز 9 % ، وخطبائنا الذين قد لا يتورّعون عن الإفتاء في أعقد المسائل وأكثرها خلافا ، كيف لا وأضعف نسب الإفتاء لديهم تفوق مالكاً بكثير ، ولم يخل التاريخ من أمثال المتجرّئين على الفتوى حتّى على زمن رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ وما قصّة صاحب الشجّة الذي أفتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جراحته ، فاغتسل فمات فقال فيهم رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ : " قتلوه قتلهم الله " ومن مأثور القول : " أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار" (1)

- **الإفتاء في غياب الإمام**

وإذا كان هذا هو حال الفتوى مع خاصّة الناس ، فما هي الحال يا ترى مع العامّة منهم ؟ إنّ الإفتاء في غياب الإمام ظاهرة كثيرا ما انتشرت في كثير من مساجد تلمسان (حسب الدراسة الاستطلاعية التي سبق لنا القيام بها) ويعدّ هذا الأمر مؤشّرا على الفراغ الذي تعانيه المساجد من هذا الجانب الحسّاس في بلادنا ، وما أكثر ما نشاهد الجزائريين متّصلين من داخل وخارج البلاد بالقنوات الفضائية العربية ومستفتين عن مسائل قد يجيبهم عنها إمام الحيّ الذي يسكنونه ، فالمسألة _حسب رأينا _ متعلّقة بثقة الناس ووثوقهم بالتأهيل المقنع للإمام ؛ ومن جهة أخرى يفيد وجود هذه الظاهرة تنامي حالة عدم الانسجام والجدول الموالي يبيّن وجود مفتين غير رسميين بنسبة تصل إلى حوالي 58 % في المجموع ، بينما على مستوى الفئات تتصاعد تدريجيا حسب رتب الأئمّة من 33 % عند الأساتذة والمعتمدين إلى 83 % عند القيّمين والمتطوّعين ، وفي إجابة عن السؤال 58 الذي يتضمّن مهنة هؤلاء خارج المسجد ، جاءت الإجابات متنوّعة : من "حمّال" إلى "طالب في الزاوية " ، ومن " قهواجي " إلى " لا شيء إلاّ تفسيق الناس وتبديعهم " هذه الإجابات تفيد كذلك مدى العنف والتجريح الذي

الفئات / الإجابة	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	1	33.33%	4	57.14%	10	71.43%	6	40.00%	5	83.33%	26	57.78%
لا	2	66.67%	3	42.86%	4	28.57%	9	60.00%	1	16.67%	19	42.22%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ص (204 ــ 206)

يطبع العلاقة المشحونة بين الأئمّة وهؤلاء .

ج- التأهيل الأخلاقي

لقد كانت العودة إلى تعديل الخطبة وتحسينها الهدف المنشود للوزارات الوصيّة ، لكنّه وكما رأينا من خلال تحليلنا للمتن الخطابي ، بتأهيل الخطباء أخلاقيا قبل تأهيلهم علميا ، فكثيرا ما تعرّضوا لمواضيع لا يستفيد منها بل إلى مواضيع كرهها الناس ، وبأسلوب مكرّر ممـــلّ ، وبمضمون مبتور مُخلّ ، كما لاحظنا كذلك في تحليلنا السابق للخطب المنبرية غير الرســـمية وحتّى الرسمية التي بدت بعضها وكأنّها نشرات أخبار سياسية ، تسرد خلالها مسلسلات مـــن التهويل والمبالغات والإثارة ، وكيل الشتائم جُزافا شرقا وغربا ، ممّا جعلـــهم أداةً لأصحـــاب التوجّهات المتعصّبة كيف لا وهم يحوّلون منابرهم إلى منتديات للعنف والتطرّف وإثارة الفتـــن. "وقد أمر الله _عزّ وجلّ _ أن يكون حجاجنا مع أصحاب الأديان الأخرى فـــي هـــذا النطـــاق الهادئ الكريم لا عنف فيه ولا نكر " (1)

ج- 1 - اعتماد أسلوب الفظاظة وسيلة للإقناع وشدّ الانتباه

والجدول الموالي يبيّن نسب اللّجوء إلى الأساليب الفظّة كطريقة لجلب الانتباه بعيدا عن الهدوء والمرونة التي لا تجلب _ حسب رأيهم _ أيّ نوع من الاهتمام ، بل النعاس أحيانا ؛ ولسان حالهم يقول : " هكذا وما سلكناش !..." عبارة عامّية تعني الكثير ، وتطرح إشكالية التأهيل الأخلاقي بشكل ملحّ ، فقد عبّر عن هذا الاتّجاه حوالي 58 % من المستجوبين حسب ما هو مرسوم في الجدول ، وخاصّة الأئمّة المعتمدون والأساتذة الذين ساندوا هذا الاتّجاه بنسبة 100 % ، والأئمّة المعلّمون بنسبة 78 % إلى جانب المؤذّنين ومعلّمي القرآن بنسبة تقارب 67 %

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	للتكرارات	النسب
نعم	3	100.00%	0	0.00%	11	78.57%	10	66.67%	2	33.33%	26	57.78%
لا	0	0.00%	7	100.00%	3	21.43%	5	33.33%	4	66.67%	19	42.22%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) محمّد الغزالي ، خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة الجزائر 1985 ، ص 81

بينما عبّر القيّمون والمتطوّعون ب 33 % فقط ، أمّا الأئمّة المدرّسون فلم يساندوا هذا الرأي أبداً .

ج- 2 - استخدام العبارات المثيرة والمسيئة

لقد سبق وأن أوردنا بعض الآيات والأحاديث التي تنهى عن استخدام المحتويات اللّفظية القريبة من العنف والخشونة والسبّ والشتم ، فعلى الخطيب أن يكون حذراً في كلامه (السلوك اللّفظي Comportement Verbal) وفي الحركات التي تصاحب هذا النوع من العبارات (Comportement Gestuel) ، ولا شكّ في أنّ هذه العبارات تنفّر السامع وتؤذي آذان المخاطب كما يقول " جودي بربريس ". (1) ورغم أنّ النسبة المرسومة على الجدول تختلف نسبيا عن

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	2	66.67%	0	0.00%	0	0.00%	11	73.33%	1	16.67%	14	31.11%
لا	1	33.33%	7	100.00%	14	100.00%	4	26.67%	5	83.33%	31	68.89%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

النتائج السابقة ، إلاّ أنّها لا تنفي استخدام تلك العبارات بنسبة يصل مجموعها إلى 31 % ؛ أمّا وجه الغرابة في هذه النتائج فهو ارتفاع نسبة استخدام تلك العبارات عند الأئمّة المعتمدين والأساتذة حيث بلغت حوالي 67 % وكذلك عند المؤذّنين ومعلّمي القرآن ب73 % ، بينما تقلّ هذه النسبة لدى القيّمين والمتطوّعين ، وتنعدم هذه النسبة عند الأئمّة المدرّسين والمعلّمين ، الذين لم يعبّر أيّ واحد منهم عن استخدام مثل تلك العبارات. لقد دفعت هذه الحالة من طغيان مفردات السبّ والشتم إلى نزوع الناس على الذهاب مبكّراً إلى صلاة الجمعة بهدف البحث عن خطباء حكماء عقلاء ومؤهّلين بما يكفي وهو دليل على أنّ إطلاق تلك العبارات يورّث اليأس والقنوط والغلظة والتشاؤم والتهوّر والتنطّع ، بل والتنفير ، وإذا كان بعض الوعّاظ غير مؤهّل أخلاقيا بما يكفي فعلى وزارة الأوقاف أن تطبع لهؤلاء خطبا لكلّ المناسبات وتلزمهم بعدم الخروج عنها . (2)

---

(1) جودي بربريس ، منهاج الوعاظ والدعاة ، دار الهدى الجزائر ، الطبع الأولى 2000 ، ص ص (21 ــ 28)

(2) عبد الحميد أحمد رشوان ، مرجع سابق ، ص ص (136 ــ 138)

- استخدام العامّية الدارجة

لقد كان استخدام الدارجة العامّية واضحاً من خلال تحليل المتن الخطابي في السابق ، ومن أجوبة الخطباء على الاستمارة ، وقد يكون الهدف تبسيط المعلومات للسامعين الذين لا يستسيغون العبارات العامّية ، كما قد تكون وسيلة توظّف بشكل سيّئ في إثارة السخرية والابتذال كما قد تكون عجزاً من الخطيب عن الكلام بالفصحى لضعف في التأهيل اللّغوي سنتطرّق له لاحقا . والجدول التالي يوضّح استخدام العامّية بنسبة تتجاوز 53 % ، حيث بلغ استخدامها لدى فئة القيّمين والمتطوّعين بنسبة 100 % ، وقد يرجع بالنسبة لهذه الفئة إلى العجز عن استحضار العبارات الفصيحة ، كما هو حال فئة المؤذّنين ومعلّمي القرآن بنسبة تقارب 67 % ، أمّا استخدام العامّية لدى الأئمّة المعتمدين والأساتذة ، الذي بلغت نسبته حوالي 67 % كذلك فقد يُعزى إلى السبب الأوّل الذي ذكرنا (للتبسيط والإيضاح) طبعًا هذه القراءة الآلية التي لا تنفي الاستخدامات السيّئة الأخرى ، ونفس الأمر ينطبق على الأئمّة المدرّسين ، والأئمّة المعلّمين الذين لم يعبّروا عن استخدامهم العامّية إلاّ بنسبة 21 % . ولقد تبيّن من معطيات

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	2	66.67%	3	42.86%	3	21.43%	10	66.67%	6	100.00 %	24	53.33%
لا	1	33.33%	4	57.14%	11	78.57%	5	33.33%	0	0.00%	21	46.67%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

الدراسة الميدانية والاستطلاعية قبلها كيف عمد بعض الأئمّة في كثير من الخطب المنبرية إلى إطلاق ألفاظ وعبارات يندى لها الجبين ، بل إنّ بعضها تجاوز كلّ الخطوط الحمراء باستخدام عبارات لا عنوان لها إلاّ الفُحش ، ولا عجب أن نجد الخطباء يعبّرون عن إثارتهم للسخرية والابتذال بنسبة 33 % التي وإن بدت صغيرة رقميا، فهي ذات دلالات وأبعاد عميقة ،عندما يتعلّق الأمر

إثارة السخرية و الابتذال

شكل (14)

باستخدام تلك التعبيرات في المسجد مع المصلّين الذين قد تأخذهم الغفوة داخل المسجد ، فيعمد الخطيب إلى توظيف تلك الصورة بشكل ساخر وبعبارات عامّية قد لا يسمع السامع مثلها حتّى في الأسواق ، كما أخبرنا بعض المستجوبين من الخطباء أنفسهم . والحقيقة أنّ هناك نقاش بين الخطباء اليوم حول فعالية العامّية في التواصل وتبسيط المعاني لكن الخوف من الابتذال الذي غرق فيه بعضهم بعمد أو دون قصد جعلهم يندفعون غالبا إلى " التفصيح " ؛ ولعلّ اعتبار العامّية طريقاً مفترضاً إلى الابتذال ، جعلها مرادفاً له في أحوال كثيرة ، وهي المسألة التي شغلت وما زالت تشغل العديد من الدارسين الأكاديميين ومن بينهم الدكتور محمّد العمري. (1)

ج- 3 - الفرق بين العنف والإغلاظ في الموعظة

لقد عبّر الخطباء كما يبيّن الشكل 15 أنّهم يجهلون الحدود التي تفرّق بين العنف والإغلاظ في الموعظة بنسبة 67 % ، ولعلّ المشكلة لا تقع على هذا المستوى النظري ؛ ولكن عندما ينتقل ذلك إلى تطبيقات الأئمّة على مستوى الخطاب والممارسة داخل المسجد ، فالإغلاظ في الموعظة متعلّق بإصلاح الأنماط أكثر انحرافا في المجتمع والبقاء في حدود الموعظة يتطلّب تحليلاً موضوعيا للواقع باستخدام الحجج المنطقية وكلّ وسائل الإقناع المتاحة ، بينما يكون التشنيع والوصف غير اللاّئق بدايةً عنيفة لإصلاح قد لا يُصلح ، فالموعظة وإن كانت في معالجة أكبر الانحرافات لا بدّ أن تتمّ عبر تحليل الأسباب والنتائج والتبصير بالمخاطر التي تنجرّ عن الأمراض المراد علاجها والأوضاع التي يُرجى إصلاحها . (2)

الفرق بين العنف و الإغلاظ في الموعظة

شكل (15)

(1) محمّد العمري ، مرجع سابق ، ص ص (47 ــ 48)

(2) عبد القادر فضيل ، مرجع سابق ، ص ص (31 ــ 33)

2- 2- 2- المطلب الثاني : التأهيل العلمي والكفاءة الوظيفية للخطباء

تبدو الفجوة كبيرة بين خطاب الوعظ وخطاب الفتنة كما رأينا في المباحث والمطالب السابقة ، ولعلّ الفيصل في كلّ ذلك هو غياب التأهيل العلمي والكفاءة الوظيفية للخطباء الذين وجدوا أنفسهم في وقت قصير أئمّةً للمساجد ، وفي ظلّ الفراغ الذي شهدته المساجد بعد الاستقلال ؛ ممّا فرض طرقاً تقليدية في عملية التوظيف بالسلك الديني عموما ، حيث كان المقياس الأوحد في هذه العملية هو حفظ القرآن الكريم .

أ- التأهيل العلمي

ولقد ركّز الشيخ البشير الإبراهيمي على العلم الذي يعصم من ركوب موجة الفتن وانزلاقاتها الخطابية العكرة بقوله : " العلم ...العلم ...أيّها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ينفخ في ميزاب ! ولا داعية انتخاب في المجامع صخّاب ! ، ولا يلفتنّكم عنه معلّل بسراب ، ولا حاوٍ بجراب ، ولا عاوٍ في خراب ، يأتمّ بغراب ، ولا يفتننّكم عنه منزوٍ في خنقة ، ولا ملتوٍ في زنقة...فكلّ واحدٍ من هؤلاء مشعوذ خلاّب ! وساحر كذّاب ! إنّكم إن أطعتم هؤلاء الغُواة ، وانصعتم إلى هؤلاء العُواة ، خسرتم أنفسكم وخسرتم وطنكم ، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا ولاتَ ساعةِ ندم... " (1) ، لقد لخّص الإبراهيمي صفات خطباء الفتنة ، وبيّن أنّ العلم هو الذي يضع الموازين القسط للخطيب حتّى يعرف الفرق بين خطاب الوعظ وخطاب الفتنة ، فإذا كان الخطاب الثاني طائشاً ، فإنّ الخطاب الأوّل تاجه الحكمة ومخاطبة العقول بالإقناع والفهم ، فلم يصف القرآن الكريم الحكمة بنعت معيّن كما فعل مع الموعظة التي وصفها بالحسنة، لأنّ الحكمة وحدها تكفي ، فهي تضع كلّ شيء في موضعه ، وصاحبها ينتقي الكلام المناسب في الوقت المناسب في المكان المناسب بالقدر المناسب ، والموجّه إلى ذلك كلّه هو العلم .

---

(1) محمّد البشير الإبراهيمي، آثاره ، الجزء الثاني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص ص (350 ــ 351)

أ- 1 - مستوى التحصيل الدراسي

إذا كان العلم بالتعلّم ، فإنّ مستوى التحصيل العلمي لدى الخطباء يتعلّق حتماً بمسارهم الدراسي الذي لا يبدو في أحسن أحواله ، فهناك ما يفوق 31 % من الأئمّة لم يلتحقوا بالمدارس أصلاً ، بينما توقّفت المسيرة الدراسية لأكثر من 33 % بالمستوى الابتدائي ، ممّا يجعل أكثر من 64 % من الخطباء لم يجاوزوا المستوى الابتدائي وهي نسبة تعني الكثير في خضمّ الحديث عن التأهيل الدراسي للخطباء الذين من المفترض أن يكون مستواهم أرفع من هذا . وبلغ 11 % من الخطباء المستويين المتوسط والجامعي، في حين استقرّ 13 % من الأئمّة بالمستوى الثانوي.

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
تعليم أصلي	1	33.33%	0	0.00%	8	57.14%	5	33.33%	0	0.00%	14	31.11%
ابتدائي	0	0.00%	7	100.00%	3	21.43%	5	33.33%	0	0.00%	15	33.33%
متوسط	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	5	33.33%	0	0.00%	5	11.11%
ثانوي	1	33.33%	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	5	83.33%	6	13.33%
جامعي	1	33.33%	0	0.00%	3	21.43%	0	0.00%	1	16.67%	5	11.11%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

وأخذت النتائج المحصّل عليها على مستوى الفئات طابعا غير اعتيادي ، حين جاءت فئة المتطوّعين والقيّمين على رأس قائمة التأهيل الدراسي بـ83 % من الثانويين وقرابة 17 % من الجامعيين ، واعتُبرت فئة الأئمّة المدرّسين الأضعف مستوىً بـ100 % من الابتدائيين .

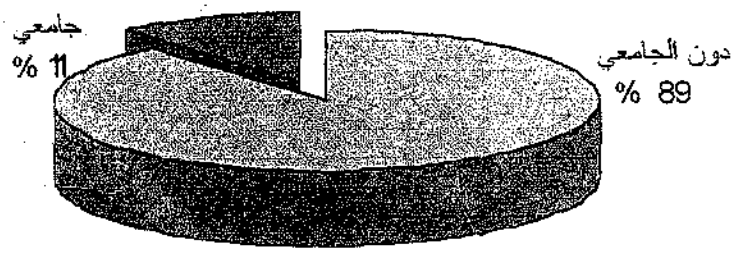

شكل 14

ولعلّ نقص التأهيل الذي لاحظناه من خلال تحليل الخطب غير الرسمية خاصّةً والتي راعينا فيها هذا المقياس (المستوى الدراسي) بناءً على اختيار الخطب غير الرسمية التي ألقاها خطباء جامعيون تجنّباً للوقوع في فخّ القياس على الأضعف ، يجعل من الخطباء الذين لا

يحملون مستويات جامعية والذين يمثّلون حسب الشكل 14 السابق 89 % من مجموع الخطباء الشريحة الأكثر تحمّلا لأعباء الخطابة ، وبالتالي فتأهيلها من ناحية التحصيل الدراسي ضعيف بحيث لا يستجيب للمقاييس التي يتطلّبها إعداد الخطبة والتحضير لها ناهيك عن إلقائها أو ارتجالها .

- التحكّم في اللّغة العربية

لعلّ التحكّم في اللّغة من أهمّ آليات الخطابة على الإطلاق ، والتبليغ باللّغة العربية على وجه التحديد يتوخّى تأكيد الحقائق الدينية وتبسيطها للسامعين بحيث تصبح في متناولهم ، فاللّغة قاعدة اتّصال بين المتكلّم والمتلقّي ، وأيّ خلل يحدث فيها سيعطّل عملية الاتّصال ، ويضيّع كثيرا من عناصر التبليغ . (1) وتتطلّب مراعاة هذه القواعد ، أن تكون الفكرة التي يريد الواعظ إيلاغها بين السامعين واضحةً لا غموض يكتنفها ، على أن يراعي مستويات السامعين العلمية واللّغوية ، فالمتلقّي الذي لا يستوعب الدلالة اللّغوية يصعب عليه أن يدرك المعنى ، ومن ثمّ لا يحصل التواصل ، ولا يحقّق التبليغ أهدافه ، وعليه ينبغي أن ينتقي المتكلّم العبارات اللّغوية التي تتلاءم مع مختلف المستويات ، وإن تطلّب الأمر البحث عن الألفاظ البسيطة والأمثلة الشارحة ، لأنّ اللّغة تمثّل تحقيقاً لعلاقة الاتّصال بين ذات المتكلّم وذات المخاطب ، وكذلك الإشارات المصاحبة لتلك اللّغة . (2) والجدول التالي يبيّن مدى اختلال توازن الوظيفة

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
يتمكّم	1	33.33%	0	0.00%	3	21.43%	3	20.00%	4	66.67%	11	24.44%
لا يتمكّم	2	66.67%	7	100.00%	11	78.57%	12	80.00%	2	33.33%	34	75.56%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

البلاغية من خلال المستويات الدراسية المتدنّية للخطباء (كما رأينا) وبالتالي لغة الخطبة التي غالبا ما تكون هزيلة الألفاظ وضعيفة المعاني نتيجة عدم التحكّم في اللّغة العربية ، فقد عبّر

(1) عبد القادر فضيل ، مرجع سابق ، ص 34

(2) جوزيف كورتيس وآخرون ، السيميائية أصولها وقواعدها ، ترجمة : د. رشيد بن مالك ، منشورات الاختلاف الجزائر 2002 ، ص 40

قرابة 76 % من الخطباء عن عدم تحكّمهم في اللّغة العربية ، بينما عبّر 24 % فقط من الخطباء عن تحكّمهم نسبيا في هذه اللّغة التي تُعدُّ رهاناً للخطب التي تُلقى عادةً بالمساجد في الجمعة والأعياد .

ولعلّ التحكّم في اللّغة العربية يعني حتماً بعض الإحاطة بعِلمَيْ النحو والبلاغة ، لكنّ ما أثبتته إجابات الخطباء عن السؤالين 21 و22 هو العكس تماما فلم يعبّر سوى 20 % من المستجوبين عن دراستهم لعلم النحو كما يظهر على الشكل 15 والملاحظة نفسها نجدها من خلال الشكل 16 ، حيث لم يعبّر إلاّ 11 % من الخطباء عن تعلّمهم للبلاغة وهي نسبة تطابق تماماً نسبة الخطباء الحاملين للمستوى الجامعي ؛ حيث جاءت إجابات الخطباء تحمل في طيّاتها جهلاً متفاقما بهذين العلمين ، بل إنّ بعضهم لا يعرف علم البلاغة أصلاً ، فضلاً عن الإجابات التي أراد أصحابها أن يصرفوا النظر عن حقيقة مستوياتهم اللّغوية وغير اللّغوية بقولهم : " قرأت كتباً أوّليةً في النحو مثلاً !..." ، والواقع الذي ترجمته النتائج المحصّل عليها ، هو الضعف الملحوظ على مستوى إتقان اللّغة ، الذي ينعكس سلباً على جودة الأداء الخطابي ، ويصبح مدعاةً للاستعانة ببعض الألفاظ والعبارات العامّية ، أو إلى غموض الاستعمال ، وسوء التوظيف ، ممّا قد يفضي إلى انزلاقات خطابية وعنف لفظي غير مقصود قاعدته عدم التحكّم في لغة الخطاب وفلتات يسمّيها محمّد العمري سخرية البلاغة . (1) فمن

النحو

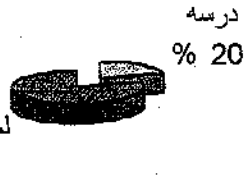

شكل 15

البلاغة

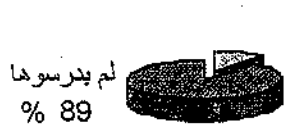

شكل 16

(1) محمّد العمري ، مرجع سابق ، ص ص (132 ــ 133)

الشروط اللّغوية لوظيفة التبليغ احترام قواعد اللّغة ومخارج الحروف وصيغ الكلمات (الشدّ ، المدّ و الإدغام ...الخ) ، وكلّ ما له علاقة بالنطق الصحيح ، و تجنّب الألفاظ الغريبة ، والتراكيب المعقّدة ، والاستعمالات الملتوية والأداء المتقطّع . (1)

أ- 2 - مستوى التحصيل الشرعي

إنّ بناء الخطاب المسجدي لا بدّ أن يكون مؤسّساً على منهجية فعّالة في مجال التبليغ عند تناول القضايا الاجتماعية والاقتصادية في علاقتها بالدين والحياة ، تلك المنهجية التي تفرض نفسها عند مخاطبة الجماهير التي يُوجّه إليها الخطاب سواء كان ذلك في خطب الجمعة والدروس العامّة التي تلُقى في المناسبات الدينية والوطنية ، ولعلّ التبليغ يشكّل الأداة المُثلى التي ينبغي أن يتقن فنونها من يرشّح نفسه لممارسة الخطاب المسجدي ، ولا يتأتّى ذلك دون تحصيل شرعي واستعداد كافٍ للتعامل مع الواقع الذي يعايشونه في مساجدهم .

- التحكّم في النصّ الديني

يأتي حفظ النصوص الدينية على رأس ما يجب أن يتمتّع به المرشّحون للممارسة الوظيفية بالسلك الديني عموماً ، وللخطباء والأئمّة بوجه خاص ، ولعلّ الشكل 17 يؤكّد أنّ الأغلبية الساحقة (93 %) من الخطباء يحفظون القرآن كاملاً باستثناء 7 % الذين لا يحفظونه كاملاً .

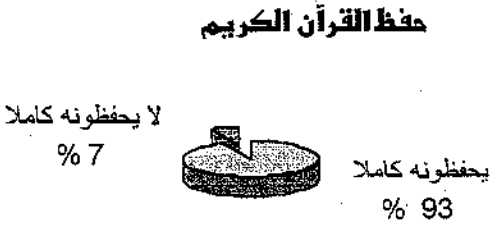

شكل 17

(1)عبد القادر فضيل ، مرجع سابق ، ص ص (36 ــ 37)

- إتقان التلاوة

لكنّ الشكل 18 يبرز نتيجةً مختلفةً تماماً ، فقد عبّر 91 % من الخطباء عن عدم إتقانهم لتلاوة القرآن ، في مقابل 9 % فقط يتقنون التلاوة ، و الجمع بين النتيجتين يجعلنا أمام خلل كبير على مستوى التحكّم في النصّ الديني ، باعتبار الحفظ لا ينفصل عن إتقان التلاوة ، ويدلّ على ضعف التأهيل في هذا الجانب ، لأنّ الخطيب والإمام الذي لا يجمع بين إتقان التلاوة والحفظ الجيّد للنصوص الدينية (بما في ذلك الحديث الشريف) لا يمكنه أن يبلغ درجة الإقناع الخطابي ، بل قد يكون ذلك مدعاةً إلى النّفور كما حدث ويحدث في عدّة مساجد يهجرها مرتادوها بمجرّد سماعهم بوجود من يتقن التلاوة في مكانٍ ما خاصّةً في شهر رمضان .

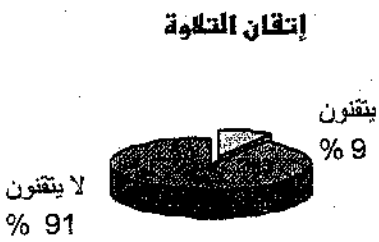

شكل 18

- التمكن من العلوم الشرعية المعروفة

إذا كان التأهيل الشرعي يمرّ كذلك من خلال التحكّم في العلوم الشرعية إلى جانب النصوص الدينية (القرآن والحديث) ، فإنّ الجدول التالي يوضّح في مجموع نتائجه أنّ الفقه هو العلم الذي يلقى النصيب الأكبر من الاهتمام بالنسبة الخطباء ب 40 % ، ثمّ يأتي علم التوحيد (العقيدة) بنسبة تساوي 20 % ، ثمّ تفسير القرآن والسيرة النبوية بما يقارب 9 % ؛ بينما عبّر 11 % من الخطباء عن عدم تمكّنهم من أيّ علم في مقابل 11 % كذلك عبّروا عن

الفئات / العلوم	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
الفقه	1	33.33%	2	28.57%	6	42.86%	7	46.67%	2	33.33%	18	40.00%
العقيدة	0	0.00%	2	28.57%	4	28.57%	3	20.00%	0	0.00%	9	20.00%
السيرة	1	33.33%	0	0.00%	0	0.00%	3	20.00%	0	0.00%	4	8.89%
التفسير	0	0.00%	0	0.00%	0	0.00%	2	13.33%	2	33.33%	4	8,89%
أكثر من علم	1	33.33%	0	0.00%	4	28.57%	0	0.00%	0	0.00%	5	11.11%
غير متمكّن	0	0.00%	3	42.86%	0	0.00%	0	0.00%	2	33.33%	5	11.11%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00 %	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

تحكّمهم في أكثر من علم ، لتتساوى هذه النسبة مرّةً أخرى مع نسبة الخطباء الذين بلغوا المستوى الجامعي . ونلاحظ كذلك من خلال الجدول عدم تمكّن أيّ من الأئمّة المعتمدين والأساتذة (الذين يمثّلون أعلى سلّم وظيفي) من علم التفسير والعقيدة ، فنسبة 00 % رسمت معالم الغموض على حقيقة أهلية هذه الفئة لاعتلاء منابر الوعظ وحتّى الإفتاء ممّا يطرح العديد من التساؤلات لعلّ أبرزها ماهية الآليات التي تكوّن عليها هؤلاء . ومن النتائج التفصيلية المهمّة في الجدول عدم تمكّن قرابة 43 % من الأئمّة المدرّسين من أيّ علم وهي الفئة الثانية في تصنيف السلّم الوظيفي ممّا يدلّ على عدم وجود قاعدة شرعية متينة تمنع الخطباء من الوقوع في شرك الأخطاء وتعطيهم مناعةً علميةً تصرفهم بها عن الانحرافات الفكرية والعقائدية وهو ما يعطي فرصةً أكبر للمغالطين لإثبات شرعية وجودهم أمام هذا الفراغ العلمي الهائل ، فمن الطريف فعلاً أن يجيب بعض الخطباء عن أربعة أسئلة (23 ، 24 ، 25 و26) بجواب واحد هو " متن بن عاشر " ، الذي لا يُعقل أن يكون قاعدة علميةً لأربعة علوم ، فضلاً عن كونه متناً يحتاج إلى شرح .

ولا يبتعد الشكل 19 كثيراً عن نتائج الجدول السابق من خلال بيان العلوم المركّز عليها في تكوين الخطباء ، فقد عبّر 27 من أصل 45 خطيبا عن كون الفقه هو قاعدة تكوينهم الأولى ، وجاءت العقيدة في المقام الثاني بإشارة 12 مستجوباً إلى ذلك ، وعبّر 8 مستجوبين عن تركّز تكوينهم على التفسير والسيرة ، بينما جاءت العلوم اللّغوية المرتبطة أساساً بآليات الممارسة الخطابية في الصفّ الأخير ، حيث لم يعبّر سوى 3 من الخطباء عن تعلّق تكوينهم باللّغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة .

العلوم المركّز عليها في التكوين

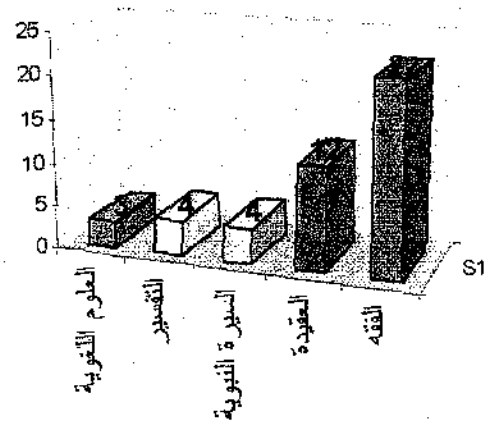

شكل 19

يظهر ممّا تقدّم ، أنّ التأهيل على مستوى العلوم اللّغوية والشرعية يكاد يكـــون هشّـــاً ، وهو ما يفرض ضرورة وجود آليات لإعادة تأهيل الخطباء من جديد حتّى يتمكّنوا من مزاولـــة أنشطتهم الخطابية بشكل سليم يبعدهم عن محيط الانزلاقات التي يأتي أغلبها إذا لم نقلّ كلّها من ضعف قاعدة التكوين العلمية الشرعية النظرية ، وسلامة الممارسة الخطابية اللّغوية التطبيقية ؛ كما أنّ المعرفة الصحيحة للعلوم الشرعية ، والتحكّم في أدوات الخطـــاب اللّغويـــة وأســـاليب استخدامها في التواصل والاتّصال ، وفي مخاطبة العقل والوجدان معاً ، من شـــأنه أن يضـــع الخطاب المسجدي على أسس متينة تمكّنه من مواجهة التحدّيات والمتغيّرات والمستجدّات .

أ- 3 - الوعي العام

إنّ ضرورات تأهيل الخطباء من النواحي العلمية واللّغوية لا تنفي الجوانـــب المتعلّقـــة بتنظيم الحياة وتدبير شؤونها ، وتحديد المسئوليات المنوطة بالفرد والجماعة ، وأساليب التحرّك في الفضاء الاجتماعي ، والعلاقات التي تربط الخطيب بمحيطه المحلّي والعالمي ، فالخطيب لا يجب أن يهتمّ بالتراث وماضيه ، ويُغفل الحاضر والمستقبل ؛ كما لا يجب أن يكرّس الانغـــلاق على الذات ، والانقطاع عن الدنيا ، فلا بدّ أن تكون توجيهات الخطيب في مضمونها وأهدافـــها دعوةً إلى الاستقامة في السلوك الظاهري والباطني مع كلّ النّاس ، حتّى مـــع المخـــالفين فـــي العقيدة ، وإلى إعمال العقل في معالجة الأمور الديني والدنيوية ، والاستفادة من التطوّر العلمـــي والحضاري الذي يميّز الحياة العصرية . كما يجب على الخطيب أن يتنـــاول المشـــاكل التـــي يواجهها المجتمع ثقافياً ، اقتصادياً ، وسياسياً ، فيسهم في معالجتها بترقية الوعي العام وتوجيهه نحو الأخذ بأسباب التقدّم ، والمشاركة الإيجابية في الحياة المعاصرة ، والإقبـــال علـــى العلـــم والعمل والإنتاج ؛ لأنّ غاية الممارس لهذا النوع من الخطاب هي الرقيّ بتفكير أفراد الأمّة بمـــا يجعلهم قادرين على الإبداع ، وابتكار الحلول لكلّ ما يواجهونه من تحدّيات ، دون التخلّي عـــن أخلاقهم وخصوصياتهم الثقافية ، التي تزداد أهمّيتها إذا نظروا إليها بوصفـــها إرثـــاً ونتاجـــاً تاريخياً يحمل عبر الزمن تصوّرات وآراء ومعتقدات ، وأيضاً طرائق في التفكير ، وأساليب

في الاستدلال قد لا تخلو هي الأخرى من الخصوصية ؛ (1) حيث إنّ المنظّرين للعولمة التي تفرض تثبيت النموذج الثقافي الأوحد تقتضي إلغاء كلّ الخصوصيات الثقافية ، وهي مقاربة تهدف بالأساس إلى تحويل العالم إلى سوق موحّد ، لكن قد يكون هذا مساعداً للهُويّات الأصلية في تثبيت عوامل صلابتها ، حيث يمثّل الخطاب الديني إحدى آليات الحفاظ على الهويّة وخصوصياتها . (2)

وأردنا أن نقيس الوعي العام للخطباء من خلال بعض المؤشّرات مثل الوعي بدور المسجد وتحدّياته ، والوعي بحقيقة دور الخطاب المسجدي ، وضرورة مجانبة خطاب العنف ، ومن خلال القضايا والأحداث التي واكبوها وطبيعة نظرتهم إلى السلّم الاجتماعي بتصنيفهم لأهمّ شخصيات المجتمع ، وكذلك بمعرفة موقفهم من البحث العلمي ، والدعاء لأولياء الأمور .

- الوعي بدور المسجد وتحدّياته

يبيّن الجدول الموالي تعبير ما يقارب 67 % من المستجوبين عن عدم وعيهم بالتحديّات والأدوار التي من المفترض أن تضطلع بها المساجد ، والغريب _ حسب الجدول دائماً _ أن لا يعي هذا الدور الأئمّة المرتّبون في أعلى السلّم الوظيفي على غرار الأئمّة المعتمدين والأساتذة بنسبة تفوق 66 % ، والأئمّة المدرّسين والمعلّمين بما يزيد عن 57 % ، فأهمّ وظائف المسجد

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
يعي	1	33.33%	3	42.86%	6	42.86%	3	20.00%	2	33.33%	15	33.33%
لا يعي	2	66.67%	4	57.14%	8	57.14%	12	80.00%	4	66.67%	30	66.67%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

على الإطلاق ، العمل على توحيد الصفوف ورصّها ، وجمع كلمة المسلمين ، والحثّ على التعاون والتضامن ، " ومن هنا أُطلق على المسجد اسم الجامع ، لأنّه يجمع ولا يفرّق ، يحتضن الجميع ، ويجعلهم شركاء في المسئولية والقرار ، وقلّ ما يستعمل الناس في أحاديثهم

(1)محمّد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1984 ، ص 13

(2)عبد العزيز بوتفليقة في كلمة افتتاح الملتقى الدولي حول العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية من تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ 10 ماي 2004 ، انظر جريدة المجاهد اليومية (باللّغة الفرنسية) في عددها 12042 ، الصادرة بتاريخ 11 ماي 2004 ، ص 7

لفظ المسجد ، إذ إنّ العرف جرى على استخدام كلمة " الجامع " على سبيل المثال : "الجامع الأزهر" ، ولم يجر في عرف النّاس أبداً تسمية " المسجد الأزهر" دون إضافة وصف الجامع ، أمّا المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرّحال وهي : المسجد الحرام ، المسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، فلا حاجة لذكر صفة الجامع ، لأنّ واقع حالها منذ تأسيسها أنّها تجمع ، وأنّ الناس يسعون للجماعة فيها ، فأغنى واقع الحال عن ذكر الصفة . " (1) لكن وعلى العكس من ذلك أكّدت معطيات الدراسة الميدانية أنّ 67 % من الخطباء فضّلوا مصطلح المسجد على الجامع من خلال إجابتهم عن السؤال رقم 39 ، وهو ما يعزّز حالة عدم الوعي بحقيقة الدور الذي يجب أن يلعبه المسجد والوظيفة الاجتماعية المنوطة به .

- الوعي بحقيقة دور الخطاب المسجدي

تبرز وظيفة الخطاب المسجدي من الناحية التربوية ، في التصدّي للاتّجاهات السلبية فكرياً لدى بعض الفئات الشبابية من خلال فتح باب الحوار الهادئ ، وغرس مبادئ الحكمة والاتّزان ، والحرص على توضيح الرؤية فيما يخصّ القضايا التي تشغل اهتمام الساحة الإعلامية برؤية ناقدة بعيداً عن زرع بذور الشكّ والتفرقة في نفوس الناس ، وهو ما لم يعه خطباء المساجد بنسبة 62 % كما يظهر في الشكل 20 ؛ وهنا لابدّ من التأكيد على سموّ رسالة الخطاب المسجدي التي يحاول البعض التشكيك فيها ، وتحميل هذا الخطاب بعض الأخطاء التي تقع من هنا وهناك بنيّات مُبيّتة ، وأهداف مُغرضة مشبوهة ، قد تكون في أغلب الأحايين أجنبيةَ المصدر ؛ ممّا يجعلنا ننظر بكثير من التوجُّس ، إلى كلّ ما يطرحه الغرب

الوعي بحقيقة دور الخطاب المسجدي

شكل 20

(1) مصطفى ملص ، المسجد دوره ورسالته أحد أهمّ ثروات الأمّة ومكمن قوّتها ، مقال بمجلّة الوحدة الإسلامية التي تصدر عن تجمّع العلماء المسلمين في لبنان ، بيروت ، العدد 19 ، السنة الثانية ، حوان 2003 ، ص 12

حول مشاريع الإصلاح التي تشمل المسجد وخطابه ، فهو يعيب على خطباء المساجد الحضّ على مقاومة الاحتلال ، التنديد بالصهيونية الذي يؤوّلونه بمعاداة السامية (كما هو حال الخطبة خ ــ غ ــ ر2 س 04 التي سبق تحليلها في إطار المتن الخطابي موضوع الدراسة) ، ووصف غير المسلمين بالكفّار ، وما يُصدّرونه من فكر وسلوك بالغزو الثقافي ؛ غير أنّ ما يُؤخذ على وظيفة الخطاب المسجدي حالياً (بالرجوع إلى واقعية النقد الذاتي) ، الإغراق في الوعظية وتجاهل النوازل التي تحلّ بالأمّة ، وإغفال فقه الأولويات ، وضعف تنزيل النصّ على الواقع المتغيّر ، في تأثّر وتبعية للخطاب السياسي الرسمي ، ممّا جعله يبتعد عن واقع الأمّة واهتماماتها ؛ والغريب في الأمر ، أنّ الغرب يريد إصلاحاً مناقضاً لهذه الرؤية ، وهو ما يُعتبر تناقضاً صارخاً في تنظيره للإصلاح الذي لا يريده إلاّ أن يكون امتداداً لإيديولوجية الاستشراق المغلوطة ، وهو ما يعني إلغاء مشروع الإصلاح المُلحّ الذي ينبع من الذات ، والذي يقتضي مرحلياً كشف مواطن الغلوّ ، واستغلال الخطاب المسجدي في نشر ثقافة اللاّعنف ؛ لأنّ الإنسان في حاجة إلى ما يبعث في نفسه الاطمئنان ، ويتعامل مع الخطاب الديني _ كما يقول رالف لنتون _ على أساس طلب المشورة ، وتفسير الكوارث ، وكيفية التخفيف من حدّتها ، كما أنّه لا بدّ أن يستفيد من المعارف العلمية ، ويوظّفها في تحقيق ذلك الاطمئنان والاستقرار النفسي لدى المتلقّين . (1)

- **الوعي بمجانبة خطاب العنف**

عبّر 58 % من المستجوبين عن عدم الوعي باجتناب خطاب العنف الذي يُقصي تماما فرضية الحوار مع الآخر ، كما يبيّن الشكل 21 ، بل إنّ بعض الخطباء اعتبر حالة العنف اللّفظي طبيعة بشرية بفعل اصطدام الأفكار، واعتبرها آخرون واجبا مفروضاً

الوعي بمجانبة خطاب العنف

شكل 21

(1) رالف لنتون ، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ، ترجمة عبد المالك الناشف ، المكتب العصرية صيدا بيروت لبنان ، (دون تاريخ) ، ص 346

تتطلّبه المرحلة الراهنة ، كما جاء في الأجوبة عن السؤالين 46 و51 ممّا يعزّز حالة عدم الوعي ، ويتناقض مع الانفتاح الإيجابي على ثقافة الآخر الذي يُعدّ مرحلة هامّة في مسار تحديد وظيفة الخطاب المسجدي ، وقد يبدو حلقةً مميّزةً من عقد عملية التأهيل المنشودة ، فيبدأ هذا الانفتاح بمعرفة العادات والتقاليد والموروث الفكري ، وتوضيح موقف الشرع ، وطرائق التكيّف والتغلغل في ثقافة الآخر ، فليس منطقياً أن نمارس العنف اللّفظي ضدّ الآخر ، ثمّ ندّعي زعماً أنّنا نحاوره ، فهذا لعمرنا منطق مشوّه مقلوب ، لا تسمح به العقليات السويّة ، فضلاً عن كونه يتنافى مع مبادئ الإسلام الأصيلة ، كما يؤكّد الدكتور أنمار مطاوع (1) بقوله : " ...إنّ الفرد عندما يصل إلى مستوىً يصبح فيه فهم المفردات اللّغوية غير كافٍ للوصول إلى المعنى ، فإنّ الحوار مع الآخر يزيد من نسبة التنافر (وليس التقارب) معه ، ولعلّ هذا هو أحد أعراض الأزمة في الخطاب المسجدي ، فوصل إلى الحدّ الذي يُنهي إمام المسجد خطبة الجمعة بالدعاء حتّى على أطفال الآخر بقوله : " اللّهم يتّم أطفالهم ! " (كما رأينا في تحليل المتن الخطابي) ، ثمّ يدّعي أنّه يريد التحاور والتفاهم مع الآخر ، وهذا تناقض مرفوض فكرياً ".

- القضايا التي سبق للخطباء معالجتها

وفي الإجابة عن السؤال رقم 54 ، أجاب 14 خطيباً عن تطرّقهم لموجة العنف التي عرفتها البلاد كتعبير عن جرأتهم ووطنيتهم ، وعبّر 13 عن مواكبة خطبهم للأحداث في فلسطين والعراق ، وتناول 11 خطيبا قضايا الصراع المذهبي والفقهي ، بينما مشاكل التمدرس والتربية لم يعالجها إلاّ 7 خطباء كما نلاحظ على الشكل 22 .

القضايا و الأحداث التي واكبها الخطباء

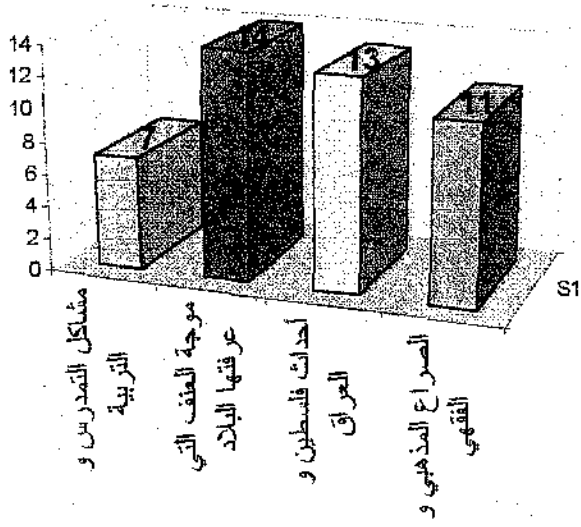

شكل 22

(1) أنمار مطاوع ، الحوار الحضاري ، مقال بمجلّة الرياض السعودية الإلكترونية ، انظر الموقع : www.alryadh.com

ما يلاحظ على النتائج السابقة هو تناول قضايا الصراع المذهبي والفقهي بنسبة مهمّة ، وهو ما قد يفضي إلى مضامين عنيفة في بعض الأحايين ، وقد لخّص عبد الله صالح الرشيد (مدير عام التعليم الديني بوزارة الأوقاف السعودية) كلّ ذلك بقوله : " إنّ الخطب التي يُلقيها بعض الأئمّة تجلب الملل والنعاس نظراً لرتابتها وضعف مادّتها ، وطريقة أدائها ، بل إنّ بعض الخطباء يطفح بالمبالغة الشديدة ، وينفخ في مواضيع يندر حدوثها في المجتمع المحلّي ، ويتفنّن في عرض تفاصيلها رغم ذلك ، بما يوافق هواه ، حتّى أنّ السامع يظنّ أنّ الأمر يتعلّق بظاهرة عامّة ، لا بأحداث شاذّة ونادرة ؛ وهناك خطباء لا همّ لهم إلاّ التشهير بطريقة وأخرى بمن يخالفونهم في الرأي ، بينما أكثر من عشرين آفة اجتماعية تنخر جسد المجتمع لا يتطرّق إليها الخطباء إلاّ على عجل ، أو في فترات متباعدة ، وهي تفوق في خطورتها أضعاف تلك المسائل الصغيرة والهامشية التي يهتمّون بها ، والتي تصبّ في أغلبها في مجال الإثارة و الشوشرة ، حيث يصبّ بعض الخطباء جام غضبه على ما تنشره بعض الصحف المحلّية إذا كانت لا تتّفق مع ميولاتهم وتوجّهاتهم الخاصّة ، وكذلك ما تبثّه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، وكأنّهم يعتبرون في قرارة أنفسهم منابر الجمعة ملكية خاصّة بهم ، وأنّ المستمعين لهم سيأخذون كلامهم كلّه على محمل القبول والتأييد . " (1)

تصنيف الخطباء لأهمّ شخصيات المجتمع

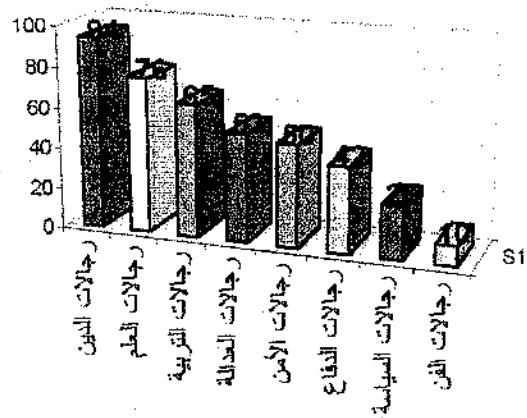

شكل 23

- **تصنيف الخطباء لأهمّ شخصيات المجتمع**

وممّا يؤيّد ما قاله صالح الرشيد ترتيب خطباء المساجد بتلمسان لأهمّ شخصيات المجتمع على أساس مقياس نقطي أقصاه 8 نقاط ، وأدناه نقطة واحدة ،

(1) عبد الله صالح الرشيد ، خطبة الجمعة إنارة لا إثارة ، مقال بمجلّة الوطن السعودية الإلكترونية، انظر الموقع : www.alwatan.com

والذي يظهره الشكل 23 بوضوح ، بتقدّم رجالات الدين بفارق كبير عن باقي شخصيات المجتمع العلمية والتربوية والقانونية ؛ ورتّب الخطباء الشخصيات الأمنية والعسكرية في المقام الثاني ، قبل الشخصيات السياسة ، وهناك إقصاء تامّ لرجالات الفنّ الذين عمد بعض الخطباء إلى عدم تصنيفهم أصلاً ، فوضع أحدهم بدل الترتيب علامة الصفر ، ممّا يؤكّد حصر الخطباء للفنّ في زاويته السلبية عندهم فقط ، مع وجود فنون لا ينصّ الفقه الإسلامي على تحريمها بالإجماع مثل فنّ الخطّ ، التجليد ، الزخرفة بأنواعها، النقش والفخّار...إلخ .

الموقف من البحث العلمي

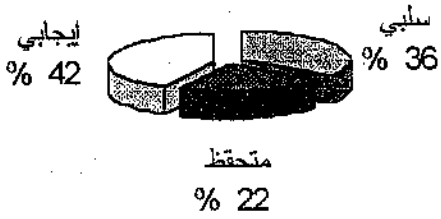

شكل 24

- الموقف من البحث العلمي

بعدما لاحظناه في كلّ مراحل الدراسة الميدانية من مواقف غير مشجّعة من بعض الخطباء ، جاءت إجاباتهم عن السؤال رقم 60 تحمل في طيّاتها الكثير من التوجّس والسلبية ، من خلال تعبير 36 % عن التشكيك في أهداف هذه الدراسة ، وعبّر 22 % عن تحفّظهم عليها ، ممّا يرفع نسبة التعامل غير المتعاون مع البحث العلمي إلى 58 % ، فقد عبّر بعضهم تعليقاً على استمارة البحث بقوله : " لا أدري ما وراءها !..." رغم انتمائها إلى أحد أقسام جامعة تلمسان.

الدعاء لولي الأمر

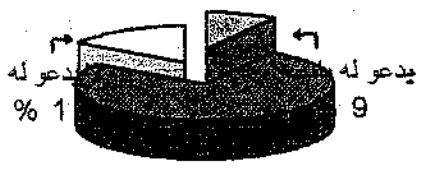

شكل 25

- الدعاء لأولياء الأمور

إذا كانت الخطب المنبرية الرسمية نفسها قد أهملت هذا الجانب فلا غرابة أن يرسم الشكل 25 ، ومن خلال الإجابة عن السؤال رقم 27 عن التوجّس من الدعاء لوليّ

الأمر باسمه الذي بلغ 75 % ، وعدم الدعاء له مطلقاً كما عبّر 16 % من المستجوبين ، السبب الذي عبّروا عنه هو الابتعاد عن السياسة ، والخوف من بعض المصلّين ، والحقيقة أنّ السبب هو قلّة التأهيل العلمي الذي يجعل الدعاء للحاكم بالصلاح أفضل من الدعاء لغيره من الناس ، لأنّ صلاح الحاكم يؤثّر في غيره من الناس .

ب- أنماط الخطاب المعتمدة

من خلال الاستطلاع الميداني تبيّن أنّ الخطب الأكثر اعتماداً من طرف خطباء المساجد هي الخطب الجاهزة والمحضّرة ، ولم يكن ارتجال الخطب إلاّ ظاهرة معزولةً في بعض المنابر المعدودة .

ب- 1 - الخطب الجاهزة والمحضّرة

ففي الإجابة عن السؤال رقم 35 ، تبيّن أنّ ما يفوق 71 % من الخطباء يعكفون على تحضير خطبهم ، بينما يعتمد 20 % من الأئمّة على الخطب الجاهزة ، أمّا النسبة المتبقّية والمقدّرة بما يقارب 9 % فقد شملت الخطب الارتجالية ، وكذا بعض الإجابات التي استنكف أصحابها التصريح باستخدام الخطب الجاهزة بقولهم : " أستوحي الأفكار ...أقتبس ...ألخّص " وهي إجابات تدلّ في أغلبها على انتهاج الخطباء نهج التحضير بنسخ بعض مضامين الخطب التي يجدونها في بعض الكتب وحتّى الأشرطة المسموعة ، وفي أوقات كثيرة تكون الخطب المنبرية الرسمية أساساً ومنطلقاً للتحضير ، وفي النتائج المفصّلة بالجدول تفاجئنا نتيجة الأئمّة المدرّسين الذين يعتمدون على الخطب الجاهزة بأكثر من 57 % ، والأئمّة المعتمدين والأساتذة الذين يعتمدونها بنسبة تتجاوز 33 % ، بينما الغريب ألاّ يعتمد مثل تلك الخطب المؤذّنون ومعلمو القرآن ، وكذلك القيّمون والمتطوّعون ، حيث جاءت نسبة اعتمادهم لها معدومةً تماماً.

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
جاهزة	1	33.33%	4	57.14%	4	28.57%	0	0.00%	0	0.00%	9	20.00%
محضّرة	1	33.33%	3	42.86%	7	50.00%	15	100.00%	6	100.00 %	32	71.11%
جواب آخر	1	33.33%	0	0.00%	3	21.43%	0	0.00%	0	0.00%	4	8.89%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

- **الخطبة الارتجالية**

بالرغم من أن الإجابة عن السؤال رقم 35 لم تحمل ما يشير إلى اعتماد الخطب المنبرية سوى بنسبة تقارب 9 % ، إلا أن الخطباء المستجوبين أنفسهم وفي الإجابة عن السؤال رقم 41 عبروا عن ارتجالهم للخطب في وقت سابق بنسبة 49 % كما يظهر على الشكل 26 ، وهو ما يعد مناقضا لإجابتهم الأولى وإن كانت النتيجتان لا تضيفان الجديد ، باعتبار حالة الخطباء وتأهيلهم لا يسمح لهم بارتجال الخطب ، وإن تم فسيحمل نقائص كثيرة على مستوى الإلقاء والمضمون معا

الارتجال في الخطب

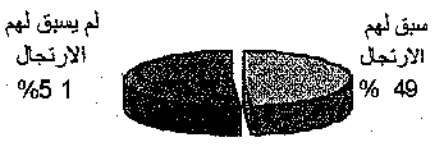

شكل 26

- **رفع الصوت أثناء الإلقاء**

إذا كان الكلام كما يقول جودي بربريس ينطوي على جهازين للإرسال والاستقبال اللذين يجب أن يخضعا للتربية ، مما يعني تنظيم العلاقة بين السامع والخطيب ، حتى يكون المضمون مؤثرا في العقول والقلوب ، وغير منفر للآذان والقلوب الحساسة ، ومن ذلك عدم الجهر ، ولا يعني هذا الالتزام أن يخفض الخطيب صوته تحت مستوى السماع لدى المصلين ، وما يلاحظ على الشكل 27 هو مخالفة الخطباء لهذا التوجه بنسبة لا تقبل الجدل 93 % ، مما يعني اقتناعا بكون الخطب الهادئة ليست ذات تأثير كبير على المصلين ، وقد أشار الخطباء إلى ما يشبه هذا في بعض النتائج السابقة . (1)

رفع الصوت أثناء الخطب

شكل 27

(1)جودي بربريس ، مرجع سابق ، ص ص (21 — 28)

ب- 2 - الأساليب الخطابية المفضلة

يتوجه الخطاب بالحكمة إلى العقول والألباب ، كما أن الجدال يكون بالتي هي أحسن جذبا للقلوب المتنافرة ، وتقريبا للأنفس المتباعدة ، " ومن التي هي أحسن ذكر مواضع الاتفاق بين المتجادلين ، والانطلاق منها إلى مواضع الخلاف " (1) ، وليس العكس .

-الترغيب والترهيب

يقول الدكتور شايف عكاشة : " إن مجادلة المدعو بلطف تدخل في قلبه الاطمئنان إلى الداعي ، ويزيل من عقله حجاب الرفض لمنطق الداعي ، و من ثم تتفتح عنده باب القابلية للسماع . " (2) يبدو من هذا الكلام أن نمط الترغيب هو المفضل من بين الأنماط الخطابية الأخرى ، لكن الجدول الموالي يضع خطاب الترهيب في المقام الأول بنسبة تزيد عن 53 % ، حسب أجوبة الخطباء عن السؤال رقم 28 الذين اعتبروا أسلوب الترهيب أكثر فعالية من ناحية الإقناع ، بينما يعتمد أسلوب الترغيب 31 % فقط من المستجوبين ، بينما الجمع بين الأسلوبين معا الذي قد يعد الأكثر واقعية لم يعبر عنه إلا بنسبة لا تتجاوز 16 % ، وما نلاحظه من خلال النتائج المفصلة هو النسبة 00 % التي تبين عدم اعتماد فئة الأئمة المعتمدين والأساتذة لأسلوب الترغيب مما يطرح عدة تساؤلات باعتبار تصنيف هذه الفئة في أعلى السلم الوظيفي كما رأينا فضلا عن احتلال هذه الفئة دائما الصف الأول في اعتماد أسلوب الترهيب بنسبة تقارب 67 %.

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرسون		الأئمة المعلمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيمون والمتطوعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
الترغيب	0	0.00%	3	42.86%	3	21.43%	5	33.33%	3	50.00%	14	31.11%
الترهيب	2	66.67%	4	57.14%	8	57.14%	7	46.67%	3	50.00%	24	53.33%
الجمع	1	33.33%	0	0.00%	3	21.43%	3	20.00%	0	0.00%	7	15.56%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص 212

(2) شايف عكاشة ، منهجية الأمر والنهي في الأديان السماوية _دراسة مقارنة_ ، دار الغرب للنشر الجزائر (دون تاريخ) ، ص 372

- أسلوب التكرار

لقد تبيّن لنا من خلال تحليل المتن الخطابي سابقاً ، الاستخدام اللاّفت لأسلوب التكـــرار في الخطب الرسمية وغير الرسمية على حدّ سواء ؛ والجدول الموالي الذي تمخّض عن أجوبة الخطباء على السؤال رقم 34 ، يشرح بوضوح اعتماد هذا الأســلوب بنســبة تقــارب 67 % ، وتعطي النتائج المفصّلة صورةً أوضح لاستخدام أسلوب التكرار خاصّة مـــن جـانب الأئمّـة المعتمدين والأساتذة ، وكذا المتطوّعين والقيّمين بنسبة قياسية (100 %) ، وبنسبة أقلّ (57 %) استخدم الأئمّة المدرّسون ذات الأسلوب ، بينما لم يستخدم الأئمّة المعلّمون هذا

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	3	100.00%	4	57.14%	3	21.43%	14	93.33%	6	100.00%	30	66.67%
لا	0	0.00%	3	42.86%	11	78.57%	1	6.67%	0	0.00%	15	33.33%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

الأسلوب إلاّ بنسبة 21 % . ويذهب سامر سكيك إلى أنّ استخدام هذا الأسلوب قد يُفضي إلـــى كثير من الملل والامتعاض ، لأنّ بعض الخطباء يسرف في ذلك إلى درجة يصبح المصلّـــون على علم بأدقّ تفاصيل المضامين المكرّرة التي غالباً ما تكون مستفزّةً للسامعين برتابة عباراتها ومواضيعها المستهلكة . (1)

- أشكال التكرار

لا يتعلق الجدول التالي _ بطبيعة الحال _ إلا بالخطباء الذين أجابوا بنعم على السؤال رقم 34 حيث بلغ عددهم 30 خطيبا ؛ و كان تكرار المضامين الأكثر تداولا بنسبة تفوق 43 % بينما جاء تكرار المعاني في المقام الثاني استخداما بنسبة 30 % ؛ أما تكرار الخطب

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرسون		الأئمة المعلمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيمون والمتطوعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
المعاني	2	66.67%	0	0.00%	0	0.00%	3	21.43%	4	66.67%	9	30.00%
المضامين	0	0.00%	4	100.00%	2	66.67%	5	35.71%	2	33.33%	13	43.33%
الخطب	1	33.33%	0	0.00%	1	33.33%	6	42.86%	0	0.00%	8	26.67%
المجموع	3	100.00%	4	100.00%	3	100.00%	14	100.00%	6	100.00%	30	100.00%

(1) سامر سكيك ، موقع سابق ، انظر العنوان الإلكتروني www.samerskaik.net

نفسها فقد بلغ ما يقارب 27 % ، وبالجمع بين تكرار المضامين والخطب نحصل على نسبة 70 % التي تعكس مدى الرتابة التي يتخبّط فيها الخطاب المسجدي بصفة لم تستثن حتّى فئة المعتمدين والأساتذة الذين عبّروا بنسبة تفوق 33 % عن تكرار الخطب ذاتها بما يعزّز الاعتقاد بأنّ تعامل الخطباء مع مادّة الخطب روتيني بشكل يلغي رسالتها الحقيقية ، ويجعل الخطيب مجرّد موظّف يحرص على الحصول على راتب شهري مقابل أقلّ مجهود ممكن ، ولعلّ ما استقيناه من الدراسة الاستطلاعية يرسم بعضاً من جزيئات هذه الصورة القاتمة المفعمة بالطرافة والغرابة في آن واحد ، فقد علمنا أنّ بعض الأئمّة يعكف على تكرار برنامج خطب سنوي (بما في ذلك خطبة العيدين) يتكرّر دورياً وبشكل منتظم ، وملخّص في كرّاسة خاصّة يعرف المصلّون أدقّ تفاصيلها ؛ وقد حدث أن نسي أحد الأئمّة بضواحي تلمسان إحضار تلك الكرّاسة ، ولم يتذكّر ذلك إلاّ وهو على المنبر ، فأرسل ابنه في الحال لإحضارها ، والمصلّون ينتظرون على أحرّ من الجمر ، وترتفع أصواتهم في المسجد دون أن ينهاهم الإمام عن ذلك (اللّغو في الجمعة) كما كان يفعل من قبل ، ربّما لأنّه كان هو المخطئ هذه المرّة ، فلم يشأ إثارة المزيد من مشاعر الغضب بالتنازل عن واجب من واجباته الدينية .

ولعلّ اللاّفت في كلّ ذلك ، هو تأكيد هذه النتائج لما قد لاحظناه من خلال تحليل المتن الخطابي أين كان الاستخدام للمواد المكرّرة على أوسع نطاق ، خاصّة في الخطب غير الرسمية التي جاءت وظيفة التكرار فيها تأثيريةً بنسبة كبيرة .

ب- 3 - أشكال الانحراف الخطابي

يشبّه " سليم بن عيد الهلالي " أشكال الانحراف في الخطاب المسجدي بوخز الإبر السامّة المحقونة بالجراثيم الفاتكة بجسم المجتمع ، فتمعن في إضراره وتضليله ، وقال إنّ ثمّة خطباء يردّدون ما يلقي في سمعهم أعداء الأمّة والمتربّصون بأمنها من مؤامرات (1) ، و نحن

(1) سليم بن عيد الهلالي ، لماذا اخترت المنهج السلفي ؟ ، دار ابن القيّم للنشر والتوزيع ، الدمّام ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى 2001 ، ص ص (17 — 20)

نرى أنّهم ربّما يفعلون ذلك بقصد الإصلاح ، والحرص على مصلحة الوطن ، دون استشعار الأخطار التي تنجرّ عن استخدام بعض الأساليب التي قد يعتقدون أنّها من أساليب الإقناع الفعّالة رغم ما تنطوي عليه من آثار عكسية (Effets Indésirables) على غرار الدواء الذي يقدّم بغرض الاستشفاء فينقلب إلى داء عضال يطول علاجه كما حدث في الجزائر ، في ظلّ تدهور مستويات التأهيل العلمي والأخلاقي للخطباء ، الذين ينحدرون في أغلب الأحايين من التسرّب المدرسي كما رأينا من خلال استقراء النتائج السابقة .

- **الاستهواء و الاستمالة العاطفية**

في ضوء تحليلنا للمتن الخطابي في المبحث السابق ، تبيّن توظيف أسلوب الاستهواء والاستمالة العاطفية في كثير من مضامين الخطب ، دون أن يكون ذلك الاستخدام ضرورياً من الناحية الدينية ، بمعنى أنّ هذا الكلام لا ينفي الحاجة الملحّة إلى تحريك العواطف حين يتعلّق الأمر مثلاً بالجوانب الروحية ، لكن المشين أن يُربط ذلك الاستخدام بالاستهواء لتوجيه المصلّين وجهةً معيّنة . ولعلّ النتائج المرسومة على الجدول التالي ، تبيّن كيف أنّ توظيف هذا النوع من الأساليب يحظى بموافقة تقدّر بنسبة تقارب 69 % ، وباستثناء الأئمّة المدرّسين الذين عبّروا بنسبة تفوق 57 % عن عدم استخدامهم لهذا الأسلوب ، فإنّ الفئات الأخرى صرّحت بانتهاجه عموماً ، تتقدّمها فئة القيّمين والمتطوّعين بنسبة تزيد عن 83 % ، والأئمّة المعلّمين بنسبة تقارب 79 % ، وجاء استخدام الأئمّة المعتمدين والأساتذة لهذا الأسلوب مقارباً ل 67 %، إلى جانب المؤذّنين ومعلّمي القرآن ؛ ممّا يعزّز لجوء كثير من الخطباء إلى تحريك العواطف كآلية بديلة للإقناع بالحجج العلمية ، والبراهين الفقهية ، والأقيسة العقلية ؛ وهو ما قد يُربط

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	2	66.67%	3	42.86%	11	78.57%	10	66.67%	5	83.33%	31	68.89%
لا	1	33.33%	4	57.14%	3	21.43%	5	33.33%	1	16.67%	14	31.11%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

بمستويات التأهيل العلمية والشرعية التي أثبتت النتائج السابقة تدنّيها ووقوفها عند حدود معيّنة. وفي الردّ على السؤال رقم 31 ، عبّر 18 مستجوبا عن إثارتهم لعواطف الناس في الخطب التي

يُلقونها بما يستهوي النفوس ويبهجها ، بينما عبّر 13 مستجوبا عن إثارة مشاعر الحزن والكآبة وهو مجموع المجيبين بنعم عن السؤال الذي قبله ، والبالغ عددهم 31 خطيباً .

وإثارة العواطف قد تتناقض مع خطاب الحكمة الموجّه للعقول ، كما قد يمزج بعض الخطباء الموفّقون بين إقناع العقل ، وتحريك العواطف ؛ إلاّ أنّ تغليب أحدهما على الآخر يتعلّق بمستوى الإدراك لدى المخاطبين ، وعلى الخطيب أن يوازي بين الأوّل والثاني حسب ما يراه مراعياً لبيئة الخطاب ؛ لأنّ اختلال الميزان هنا يخلق نوعين من الخطاب لا يخدمان مصلحة الدعوة ولا أمن الدولة ، وهما الخطاب الحماسي الطائش ، والخطاب المعرفي الجامد ، في غياب كامل للحكمة والموعظة الحسنة ، بل وفي غياب العلم الشرعي الصحيح كما رأينا من خلال تحليل النتائج السابقة ، أمّا الجدل الذي ذُكر في القرآن تسعاً وعشرين 29 مرّة (1) فقد استخدمه عقلاء الخطباء بأشكال هادئة تميّزت بمخاطبة الحواس ، والدعوة إلى النظر ، والتدبّر ، والتفكّر وتوجّهت للعقول والعواطف معاً ، أمّا المعاندون ، ومرتادو الفتنة ، والمغرضون ، فقد جعلوه خصاماً ، ونزاعاً ، ومراءً ، وعناداً ، وأثاروا الشبهات ، وأشاعوا المغالطات ، باستعمال أساليب لا يقرّها منهج ، ولا يرتضيها منطق ؛ ولا تستند على سلطان من نقل ولا برهان من عقل ، فالفجوة إذن واضحة بين خطاب الوعظ وخطاب الفتنة ، وباستطاعة أيّ عاقل التمييز بينهما .

- الانزلاق اللاّشعوري نحو خطاب العنف

أظهرت نتائج الجدول الموالي نزوع الخطباء إلى استخدام الأساليب العنيفة دون شعور منهم بنسبة تفوق 53 % ، يتقدّمهم الأئمّة المعلّمون بما يزيد عن 71 % (من خلال النتائج

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمة المدرّسون		الأئمة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	1	33.33%	4	57.14%	10	71.43%	6	40.00%	3	50.00%	24	53.33%
لا	2	66.67%	3	42.86%	4	28.57%	9	60.00%	3	50.00%	21	46.67%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1) عبد الرحمن طالب ، منهجية الدعوة الإسلامية ، مقال منشور بمجلّة الرسالة التي تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 11 ، مارس و أفريل 1988 ، ص 7

الجزئية) ، ثمّ الأئمّة المدرّسون بنسبة تفوق 57 % ؛ كما عبّر نصف القيّمين والمتطوّعين عن ذلك (50 %) ، و40 % من المؤذّنين ومعلّمي القرآن ؛ أمّا الأئمّة المعتمدون والأساتذة فلم يعبّروا عن هذا الاتّجاه إلاّ بنسبة 33 % . لقد حملت إجابات الخطباء عن السؤال رقم 32 الانحراف عن وظيفة الخطاب الإبلاغية (كما رأينا من خلال تحليل المتن الخطابي سابقاً) ، إلى محاولة الإقناع ، وإثبات شرعية المضامين المعروضة بلغة عنيفة ؛ ممّا يزكّي الاعتقاد بوجود خلل على مستوى الممارسة الخطابية ، يجعل الخطباء عاجزين عن الإقناع بالبلاغ المبين فينصرفون إلى خطاب العنف ، وهي الطريقة التي تعود بالتعويق الشديد على نجاح كلّ محاولة للإقناع أو الإصلاح ، بل إنّ الضرر _ كما يقول سعيد جودت _ سيستمرّ من جراء استعمال أساليب العنف حتّى من أولئك الذين يلجؤون إلى تلك الأساليب في خطبهم عن حسن نيّة أو من حيث لا يشعرون . (1)

- استغلال الأحداث والاستدراج الفكري

لقد لاحظنا كذلك من خلال تحليل المتن الخطابي في السابق بروز المواكبة اللاّفتة للأحداث واستغلال المناسبات ، وامتطاء مركبة الاستدراج الفكري ، ممّا قد يبتعد بالخطيب عن الموضوعية ؛ وقد أظهرت نتائج الجدول الموالي تعبير الخطباء عن هذا الاتّجاه بنسبة قياسية تفوق 84 % ، خاصّة من جانب الأئمّة المعتمدين والأساتذة ، المؤذّنين ومعلّمي القرآن ، والقيّمين والمتطوّعين الذين عبّروا عن توظيفهم هذا الأسلوب (من خلال النتائج الجزئية) بنسبة 100 % ؛ فيما عبّر الأئمّة المعلّمون والمدرّسون عن هذا الاتّجاه بنسب أقلّ : 71 % و 57 % على التوالي .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلّمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
نعم	3	100.00%	4	57.14%	10	71.43%	15	100.00%	6	100.00%	38	84.44%
لا	0	0.00%	3	42.86%	4	28.57%	0	0.00%	0	0.00%	7	15.56%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

(1)سعيد جودت ، مذهب ابن آدم الأوّل أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص (17 — 20)

ويعدّ هذا النوع من الاستخدام مخلاً بوظيفة التبليغ بالدخول في مزايدات يسعى من خلالها الخطيب إلى فرض ادّعاءات تأويلية ، أو صناعة واقع خيالي (كما رأينا في تحليل المتن الخطابي) ، وتوظيف السجع بما يتجاوز الإبلاغ الحيادي قصد استهواء السامعين ، وقد روى ابن جرير الطبري قصّة أحد عمّال الخليفة العادل عمر بن الخطّاب _ رضي الله عنه _ وقد طلب منه معلوماتٍ عن بلاد زارها (مهمّة استخبارية) ، فقال العامل : " أرض سهلها جبل ، وعدوّها بطل ، وخيرها قليل ، وشرّها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شرّ منها " ؛ فقال له عمر : " أسجّاع أنت أم مخبر ؟ " ، فقال له : " بل مخبر" (1) ، إنّ تعقيب عمر بن الخطّاب إشارة إلى تجاوز وظيفة التبليغ والاستخبار التي كان الخليفة أحوج ما يكون إليها ليطمئنّ على حال الجنود ، وسير عمليّة الفتح ، فكان رفضه واضحا لاستغلال هذا الحدث لركوب خيال السجع ومحاولة استدراج الأفكار لرسم صورة مختلفة عن حقيقة الواقع الميداني الذي يجب ألاّ يُتجاوز فيه وظيفة الإبلاغ التي تتطلّب لغةً دقيقةً وواضحة .

ج- الكفاءة الوظيفية

يقرّ الدكتور عبد العزيز إبراهيم العسكر (الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية بالرياض) أنّ من يتولّى وظيفة الخطابة بالمساجد عليه استشعار عظم المهمّة والمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فيجنّب المسجد كلّ ما يخالف رسالته السامية ، من تصرّفات تخدم مصالح الأشخاص والجهات على حساب الدين والمصالح العليا للأمّة ، فلا مناص من إعادة الدور الحقيقي للمسجد من خلال حسن اختيار القائمين عليه ، ومتابعتهم وتقييم نشاطهم ، وتطوير الأداء لديهم ؛ لأنّ السائد الآن (يضيف الدكتور العسكر) هو أنّ بعض المساجد

(1)محمّد بن جرير الطبري ، (تاريخ الطبري) تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الرابع ، دار المعارف 1979 ، ص 182

يتولاّها من لا يجد وظيفةً أو عملاً ، فربّما أصلح من هيئته بالشكل الذي يلائم المهنة ، ثمّ يتولّى إمامة النّاس وفيهم العالم ، والقاضي ، والأستاذ ، والمهندس وغيرهم ؛ فيرى نفسه إماماً لهم ، أو يُخيّل له أنّه أفضل منهم ، حيث أنّه يقف في مقام الموجّه والمعلّم ، وهنا يكمن وجه الخطورة ؛ فالواجب هو الحرص على حسن اختيار القائمين برسالة المسجد ، وبخاصّة الأئمّة الخطباء بما يُصلح أحوال الأمّة ، ويغيّر مسارها نحو الأفضل باستمرار . (1)

ج- 1 - كيفية التوظيف بالسلك الديني

إذا كان توظيف الخطباء _ كما رأينا _ ، يقتضي آلية اختيار فعّالة وأكثر عملية ، فإنّ إجابة خطباء تلمسان عن السؤال رقم 43 حملت تكليفهم بالخطابة بشكل مباشر ودون تكوين بنسبة تساوي 69 % ، في حين لا يشكّل الموظّفون بعد التكوين سوى 31 % من مجموع الخطباء ، كما يوضّحه الشكل 28 ، وهو العيب الذي تفطّنت له أخيراً وزارة الشؤون الدينية بإقرارها مبدأ أسبقية التأهيل على التوظيف من خلال إلزامية المشاركة في مسابقة التوظيف بالقطاع ، وضرورة التكوين الميداني للأئمّة ، كما

كيفية التوظيف بالسلك الديني

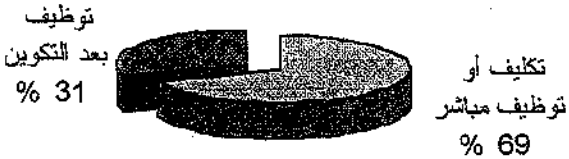

شكل 28

(1) عبد العزيز إبراهيم العسكر ، أسس إصلاح الخطاب الديني للمساجد ، جريدة الرياض السعودية ، العدد 12882 ، السنة 39 ، الصادرة بتاريخ 28 سبتمبر 2003 ، انظر الموقع الإلكتروني : www.alryadh.com

اعترفت الوزارة بالنقص الفادح المسجّل على هذا المستوى ممّا يتطلّب آلية توظيف أكثر جدّية . (1)

ج- 2 - الخضوع للرسكلة بعد التوظيف

وقد سارت إجابات الخطباء عن السؤال رقم 45 في نفس المنحى بتعبير 87 % من الخطباء عن عدم خضوعهم لأيّ نوع من أنواع التكوين أو الرسكلة بعد التوظيف ، كما يبيّن الشكل 29 ، الذي أظهر كذلك تعبير 13 % فقط من الخطباء عن خضوعهم لهذه العمليّة المُلحّة ، وهو ما يعزّز بل ويثمّن ما لجأت إليه الوزارة من تدابير وإجراءات.

الخضوع للرسكلة بعد التوظيف

شكل 29

ج- 3 - الأهلية لوظيفة الخطابة

جاءت إجابات الخطباء عن السؤال رقم 38 صريحةً إلى أبعد الحدود ، كما يظهر في الجدول التالي ؛ فقد عبّر أكثر من 64 % من الخطباء عن عدم أهليتهم للخطابة ، ولعلّ أبرز النتائج الجزئية الخاصّة بالفئات ، تعبير الأئمّة المدرّسين عن عدم أهليتهم للخطابة بنسبة 100 % رغم كون هذه الفئة الثانية في ترتيب السلّم الوظيفي ، بعد الأئمّة الأساتذة والمعتمدين الذين عبّروا بدورهم عن عدم أهليتهم للخطابة بنسبة تقارب 67 % إلى جانب القيّمين ، والمتطوّعين والمؤذّنين ، ومعلّمي القرآن ، بينما لم يعبّر الأئمّة المعلّمون عن ذلك إلاّ بنسبة تقلّ عن 43 %.

(1) ع.سنوسي ، " تدابير لحماية بيوت الله من الاعتداءات " ، مقال بجريدة الخبر اليومية ، العدد 4273 ، السنة 14 ، الصادرة بتاريخ 21 ديسمبر 2004 بالجزائر ، ص 5

وتُضاف هذه النتائج إلى سابقاتها في الدلالة على عدم وجود قاعدة تأهيل متينة تعصم الخطباء من الوقوع في شرك الانحرافات ، وتؤكّد غياب الاستعداد والكفاءة للقيام بوظيفة الخطابة .

الفئات	المعتمدون والأساتذة		الأئمّة المدرّسون		الأئمّة المعلمون		المؤذنون ومعلمو القرآن		القيّمون والمتطوّعون		المجموع	
الإجابة	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب	التكرارات	النسب
يرى نفسه أهلا	1	33.33%	0	0.00%	8	57.14%	5	33.33%	2	33.33%	16	35.56%
لا يرى نفسه أهلا	2	66.67%	7	100.00%	6	42.86%	10	66.67%	4	66.67%	29	64.44%
المجموع	3	100.00%	7	100.00%	14	100.00%	15	100.00%	6	100.00%	45	100.00%

- النظرة الذاتية لمستوى الأداء الخطابي

ويبدو التناقض واضحاً بين النتيجة السابقة وما يُظهره الشكل 30 من خلال تعبير 84 % من الخطباء عن كون مستوى أدائهم الخطابي مقنعاً ؛ فكيف يتسنّى لنا التوفيق بين نسبة 64 % من الخطباء الذين صرّحوا أنهم لا يصلحون للخطابة ، وبين نسبة 16 % فقط الذين لا يرون أنّ أداءهم الخطابي مقنعاً ؟ والحقيقة أنّ هذا التناقض كشف النقاب عن مشكلة أخرى هي قناعة الخطباء بأنّ أداءهم الخطابي أفضل ما يوجد على الساحة ، وأنّه رغم ضعف التأهيل لديهم يستطيعون قولبة خطبهم حسب ما تشتهيه أنفس المتلقّين الذين قد لا يعيرون أدنى أهمّية لمستوى تأهيل الإمام ، بل قد يعيرون الاهتمام لمقاييس أخرى يشترطونها فيمن يُفترض أن يؤمّهم لا تستند بأيّ حال من الأحوال لشروط التأهيل الفعلية ، ولذلك كانت إجابتهم عن السؤال رقم 50 تفيد الاقتناع الذاتي بجودة الأداء الخطابي لديهم بالنسبة لمقاييس المصلّين ، لا بالنسبة لما ينبغي أن يكون عليه مستوى التأهيل ، وهو ما حملهم على الاعتراف بعدم الأهلية لوظيفة الخطابة ؛ كما أنّ وجود فئات من الموظّفين بالسلك الديني على غرار القيّمين ، والمتطوّعين ، والمؤذّنين ، ومعلّمي القرآن ، ممّن يفترض ألاّ يقوموا بمهمّة الخطابة ، ولم يكن تولّيهم لهذه المهمّة إلاّ للضرورة القصوى في ظلّ الفراغ الذي تعرفه بعض المساجد ، ممّا يجعل اقتناعهم الذاتي بالأداء الجيّد مبنياً على واقع الحال لا على مثالية المستوى.

النظرة الذاتية للأداء الخطابي

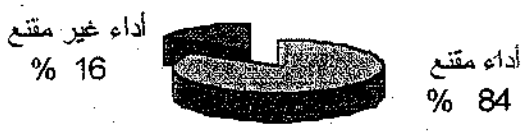

شكل 30

- خلاصة :

من خلال استنطاق مضامين المتن الخطابي ، والاتجاهات التي عبر عنها الأئمة في إجاباتهم عن أسئلة الاستمارة - المقابلة ، رصدنا مجموعة من الملاحظات صبت جلها في بوتقة غياب التأهيل بجوانبه الشرعية ، ومستوياته الأخلاقية ، الاجتماعية ، واللغوية ؛ وقد استوى في هذه الصفة الخطابان الرسمي وغير الرسمي على حد سواء . فقد كانت الفجوات على مستوى تطبيقات الخطباء ، أكبر من أن تحصر ، وأكثر من أن تذكر ؛ حيث شهدنا استخدام أساليب التأثير والتهويل ، وسوء انتقاء العبارات والألفاظ التي جاء بعضها مسيئا وعنيفا إلى درجة أبعدته عن الموضوعية والالتزام الشرعي والأخلاقي ؛ بالإضافة إلى العنف في التعامل الذي كرسته إجابات الخطباء عن أسئلتنا والمعطيات التي استقيناها من محيط البحث ، التي اتسمت بالبعد عن منهج اللين والرحمة . فالوقوع في الأخطاء والانزلاقات والانحرافات من جانب الخطباء يكشف بطبيعة الحال حقيقة مستويات تأهيلهم من جميع الجوانب التي ذكرنا ، ولا غرابة أن وجدناهم يعترفون بهذه الحقيقة بشكل واضح .

لكن بحثنا المستفيض ، وفي جميع مراحل هذا الفصل عن العلاقة المحققة (كما رأينا) بين انزلاقات الخطاب التي تصنع العنف ، وبين مستويات تأهيل الخطباء ، ورغم ما كشفته النتائج المحصل عليها من عدم الانسجام وصعوبة التكيف الاجتماعي مع بيئة الخطاب ، وهي الميزات التي طبعت علاقة الخطباء مع محيطهم (التأهيل الاجتماعي) ؛ وعدم الرضا الوظيفي الذي كان أساسه ماديا خالصا ، بالإضافة إلى اهتراء البنية الأخلاقية لدى بعض الخطباء ؛ فرغم كل تلك المؤشرات التي شكلت البناء الذي قامت على أساسه الفرضية الثانية المطروحة في مقدمة البحث ، تبقى الفرضية الأولى هي المثبتة والمحققة ميدانيا ، من خلال استقراء نتائج البحث ؛ فانفراط عقد التواصل والانسجام ، وظهور أنماط خطاب العنف ، يرتبط في أساسه مع قاعدة التأهيل "المعترفة " من النواحي العلمية والشرعية ، فالأغلبية الساحقة من الخطباء هم نتاج التسرب المدرسي ، ولم يتلقوا أي نوع من أنواع التكوين ، ولذلك جاءت النتائج لتؤكد ضعف الكفاءة الخطابية لهؤلاء ، بظهور ملامح عدم الوعي ، والانزلاق نحو خطاب العنف (لا شعوريا أحيانا) ، واستخدام أساليب غير لائقة تعكس مدى العلاقة الموجودة بين مستويات التأهيل العلمية ، وبروز خطاب العنف ، ولعل الضعف المسجل على المستويات الأخرى الاجتماعية والأخلاقية هو نتيجة حتمية لغياب القاعدة العلمية ؛ أما عدم الرضا الوظيفي فهو ظاهرة تعرفها كل أسلاك الوظيفة العمومية.

الخاتمة

الخاتمة

في ضوء النتائج الجزئية التي تمّ استقراؤها في فصلي البحث (النظري والتطبيقي) يمكننا استخلاص النتائج التي اشتملت عليها هذه الدراسة ، والتي نستطيع إجمالها في النقاط التالية :

1 - إنّ تحميل الفكر الإسلامي مسؤولية العنف ليس دقيقاً ، فالخطاب الإسلامي ليس إلاّ صورة تطبيقية منفردةً تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب ، والخطأ يتحمّله الخطباء ، وليس الخطاب في حدّ ذاته.

2 - إنّ العنف على المستوى الفكري للخطاب الإسلامي هو نوع من الترويج لمذاهب منحرفة بائدة ، حيث تتمثّل منطلقاته الآنية ، في أوجه التعصّب المقيتة التي تبدأ من سماع كلّ الأصوات المؤيّدة ، وصمّ الآذان عن كلّ صوت مخالف .

3 - إنّ الصراع الفكري والمذهبي ، هو المحضن الطبيعي لنموّ هذه الظاهرة ، بوقوع أطراف هذا الصراع في فخّ التعصّب ، واستخدام خطاب العنف وسيلةً لإقصاء الآخر ثقافياً وفكرياً .

4 - كانت الممارسات الطقوسية المنحرفة في الجزائر مغذّياً إضافياً لاستفحال نموّ الظاهرة ، بما تؤجّجه من توتّر واستفزاز دفع ببعض الخطباء والمفكّرين إلى ممارسة خطاب العنف في الاتّجاه المعاكس ، سعياً منهم إلى محاربة البدع والانحرافات ، لكنّ وسيلتهم لم تزد أولئك الممارسين إلاّ تمسّكاً بأخطائهم ، لأنّ منهج التصحيح لم يكن حكيماً ، والسبب في كلّ ذلك بضاعة العلم المزجاة .

5 - إنّه في ظلّ تباين الرُّؤى ، وعدم القدرة على تسيير الاختلافات ، بممارسة خطاب فوضوي يعتمد القسوة والفظاظة ، حيث حلّت الدعوة بالتي هي " أخشن " محلّ التي هي أحسن ، لتُطرح إشكالية تخليق الخطاب الإسلامي ، مع ما تتطلّبه العمليّة من معرفة مستفيضة بذرائع ممارسة هذا النوع من الخطاب ، والتي يأتي على رأسها تقديم الإلزام على الإقناع ، كآليةٍ تتناقض مع الخطاب الإسلامي الأصيل الذي يملك كل مقوّمات الإقناع من الناحية النظرية ، لكنّ الفجوات والانحرافات على مستوى تطبيقات الخطباء ، هي التي

شوّهت ملامحه المُضيئة ، ممّا دفعنا بإلحاح إلى طرح إشكالية تأهيل خطبـــاء المســـاجد ، باعتبارهم أكثر الممارسين الفاعلين على الساحة لهذا النوع من الخطاب.

6 - إنّ لجوء الخطاب غير الرسمي إلى أسلوب الإطالة غير المضبوطة موضوعياً وزمنياً ، يشكّل عاملاً قويّاً يعرّضه للأخطاء والانحرافات ، لكنّه بالمقابل يقرّبه من عقـــول وقلوب المصلّين الذين يجدون فيه إجابات واقعيةٍ عن تساؤلاتهم واهتماماتهم عكس الخطـاب الرسمي الذي ما يزال يقبع في الرتابة وعدم الواقعية .

7 - يبدو الخطاب غير الرسمي أكثر تأثّراً بما تبثّه وسائل الإعـــلام ، ممّـــا يجعلـــه يستغرق في المعطى السياسي ، ويبتعد شيئاً فشيئاً عن اعتماد المعلومات الدينية المستقاة من أمّهات الكتب الشرعية .

8 - جاءت وظيفة الخطاب غير الرسمي تأثيريةً إلى أبعد الحدود ، باعتماد أســـاليب التهويل ، والاستدراج الفكري ، والاستمالة العاطفية ، بعيداً عن توظيف النصوص الدينية ، ممّا عكس خللاً في التحضير وقلّة التأهيل ، وتدنّي مستوى التكوين.

9 - إنّ بروز العنف اللّفظي والرمزي كأسلوب في التعامل مع الأحـــداث المســـتجدّة على الساحة الدولية ، يعطي الانطباع بوجود نفس التعامل غير العقلاني مع الأحداث التـــي عرفتها البلاد في السابق ، ولم يتوان حتّى الخطاب الرسمي الذي ضمّنه ديـــوان الخطـــب المنبرية عن الدعوة إلى العنف في مواجهة الاستغلال الرأسمالي ، في تناقض صارخ مـــع توجّهات الحكومة الجزائرية الحالية ، وقوانين اقتصاد السوق .

10 - لقد استوى الخطاب الرسمي مع غريمه غير الرسمي في غياب التأهيل بجوانبـه الشرعية ، ومستوياته الأخلاقية ، الاجتماعية واللّغوية ، حيث كان البعد عن الموضوعيـــة والالتزام الشرعي ، واستخدام أساليب التأثير ، وسوء انتقاء العبارات والألفاظ التي اتّسـمت بالجمود والفظاظة .

11 - إنّ ضعف قاعدة التأهيل العلمي والشرعي التي عكست المســـتويات المتدنّيـــة للخطباء هي المتسبّبة في ظهور ملامح عدم الوعي ، والانزلاق نحـــو خطـــاب العنـــف ؛ فاستخدام الأساليب غير اللاّئقة هي بلا شكّ وراء انفراط عقد التواصل بين الخطباء وبيئـــة الخطاب ، لأنّ أغلب الخطباء لم يكملوا مشوارهم الدراسي .

إذن فالعلاقة الموجودة بين مستويات التأهيل العلمية ، وبروز خطاب العنف تكـــاد تكون هي الأبرز من خلال استقراء النتائج ، وبالتالي فالفرضية الأولى هي المحقّقـــة فـــي نهاية هذا البحث. أمّا ما بُنيت عليه الفرضية الثانية من مؤشّرات ارتبطت بعـــدم انســـجام الخطباء وتكيّفهم مع بيئتهم ومحيطهم بالإضافة إلى هبوط بعضـــهم عـــن ســـلّم الأخـــلاق الاجتماعية ، ما هو في حقيقة الأمر إلاّ نتيجة حتمية لغياب القاعدة العلمية والتكوينية .

فإذا كنّا قد كشفنا بعض النقائص المرتبطة بتأهيل الخطباء ، فإنّنا تقترح على الجهات الوصيّة إعادة النظر في الطريقة التي يُوظّف بها خطباء المساجد ، وهو ما أقرّتـــه مبدئيـــاً آخر توصيّات الوزارة المشرفة على القطاع ، ولِم لا يتمّ إدماج بعض المتطوّعيـــن ممّـــن يحملون شهادات وكفاءات خطابية تؤهّلهم أكثر من غيرهم (ربّما) لاعتلاء تلك المنـــابر ، أو تكليف بعض الأساتذة الجامعيين والثانويين المختصّين في العلوم الدينية بالخطابـــة فـــي المساجد التي تشكو الخصاص مقابل بعض الحوافـــز الماليـــة (علـــى غـــرار الســـاعات الإضافية) نهوضاً بمستوى خطبة الجمعة ، وتفادياً للأخطاء والانحرافات التي بات غيـــاب التأهيل يشكّل أحد أسبابها الرئيسية . وإذ نقترح تعميم البحث على المستوى الوطني ، فإنّنـــا نهيب بالباحثين إلى الاهتمام بهذا الجانب في بحوثهم القادمة ودراساتهم ، ومنتدياتهم ؛ ولعلّ الإشكالية التي برزت من خلال هذا البحث ، والتي تتطلّب المعالجة في الوقت الراهن : هل غياب القاعدة العلمية وحده المسؤول عن ظهور مضامين العنف في الخطـــاب الإســـلامي الجزائري المعاصر ؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى تقف وراء الظاهرة ؟ ثمّ هل هناك ارتبـــاط بين نموّ الظاهرة محلّياً ، ومعطيات انتشارها خارجياً ؟؟؟.

الملاحق

تدابير لحماية بيوت الله من الاعتداءات

وزارة الشؤون الدينية تمنع المطويات والمنشورات في المساجد

● كتيب في مسجد بالعاصمة يُبيح حرق بيوت الله

قررت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف نزع جميع المطويات والمنشورات الدينية التي دأبت أوساط غير رسمية، منذ سنوات، على تعليقها أو توزيعها ببيوت الله، ومنعها نهائيا من التداول.

ع. سنوسي

● في تعليمة موجهة إلى مديريات الشؤون الدينية عبر الوطن، وممضاة من قبل الوزير، بوعبد الله غلام الله، حرصت وزارة الشؤون الدينية على إلزام أئمة المساجد على سحب ومنع تعليق أو توزيع بعض المنشورات داخل المساجد

وجاءت هذه الخطوة في سياق حرص الوزارة على الحفاظ على قدسية بيوت الله وتفاديا لحدوث قلاقل أو أعمال منافية للدين، كما حدث مؤخرا بالمسجد المركزي لمفتاح الذي تعرض للحرق والتخريب.

وعلى الرغم من أن المستشار الإعلامي بالوزارة، عبد الله طمين، أشار تقلا عن الوزير إلى "أن التعليمة تهدف بالدرجة الأولى إلى تذكير الإمام بضرورة أداء رسالته المنوط بها والحفاظ على دور المؤسسة المسجدية"، إلا أن أوساطا دينية أفادت "الخبر" أن التعليمة، التي دخلت حيز التنفيذ قبل أيام قليلة ببعض مساجد العاصمة، دعت بخلاف المرات السابقة أئمة المساجد بالوطن للعمل على إبعاد جميع المطويات والمنشورات الدينية، التي دأبت بعض الأوساط على تعليقها أو توزيعها بالمساجد، وقت أحيانا دون ترخيص من قبل الجهات الرسمية، والاكتفاء بعرض المصاحف فقط للراغبين بتلاوة القرآن.

وحرصت ذات التعليمة، تضيف ذات المصادر، على التأكيد على أن مكتبات المساجد هي المكان الوحيد الذي يسمح فيه لمرتادي المساجد بالتفقه في الدين أو الإطلاع على أي من الكتب التي تتم في هذه الحالة مراقبتها جميعا.

وتلاقت هذه التأكيدات مع تصريح للمستشار الإعلامي بالوزارة أكد فيه لـ"الخبر" توصّله، عبر قنوات خاصة، كما قال، إلى معلومة تفيد بعثور بعض المصلين بأحد مساجد العاصمة قبل أيام على كتيب يبيح حرق المساجد، مضيفا "أن الأمر في حال تأكيده يعد خطيرا وغير مسبوق".

وكان وزير الشؤون الدينية والأوقاف صرح، مطلع الشهر الجاري، في أول رد رسمي له عقب الاعتداءات المتسلسلة التي عرفتها بعض مساجد الوطن، أن هذه الاعتداءات "من فعل مجرمين يحرقون المساجد لنشر ثقافة دخيلة"، مؤكدا في لقاء جمعه بالمرشدين الدينيين في أعقاب حرق مسجد مفتاح "أن أسلوب الحرق انتقام من إقامة الحلقات، لأن هؤلاء يعارضون بشدة تنظيمها داخل المساجد".

كما كشف الوزير أيضا على أن هذه الاعتداءات معزولة وليست منظمة كونها تستمد من مضامين كتب "مستوردة من الخارج هدفها نشر البدع داخل الجزائر".

يذكر أن المسجد المركزي لمدينة مفتاح بولاية البليدة قد تعرض قبل أسابيع لعملية حرق وتخريب مست عددا من المصاحف في سابقة هي الأولى من نوعها، دفعت بالوزير غلام الله إلى التنديد بها ووصفها بـ"العمل الانفرادي والمعزول"، فيما سارعت المصالح الأمنية إلى التأكيد على أن مقترف العملية وقع بقبضتها ساعات بعدها ولم تكن بنيته، حسب ما نقل عنها، سوى سرقة بعض تجهيزات المسجد.

وفي سياق متصل كشف المصدر ذاته أن تكوينا ميدانيا للأئمة الأساتذة بات إلزاميا على هؤلاء للمشاركة في مسابقة التوظيف بالقطاع فضلا عن المستوى التعليمي والديني العالي الواجب توفره في المتقدم للمشاركة بالمسابقة.

وشمل القرار، الذي دخل حيز التنفيذ قبل أيام، دفعة 36 إماما نجحوا في آخر مسابقة للتوظيف بمنصب "إمام أستاذ"، ورغم أن جميعهم من حملة شهادات جامعية، إلا أنهم تلقوا تكوينا دام أياما على يد إطارات من الوزارة وأساتذة ومختصين في الإمامة.

وعلى الرغم من أن هذه المبادرات التي تهدف إلى الاهتمام بالمسجد، إلا أن عددا من مساجد الوطن، المقدر عددها بـ15 ألف مسجد، لا تزال تشكو نقصا في عدد الأئمة، قالت الوزارة، على لسان مستشارها الإعلامي، أن تجاوز 22 ألف إمام معتمد حاليا يتطلب فتح مناصب مالية جديدة الأمر الذي تفكر فيه الوزارة بجدية، على حد تعبيره.

الاستعارة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان-

كلية الآداب و العلوم الإنسانية العلوم الاجتماعية

فرع الأنثروبولوجيا قسم الثقافة الشعبية

دليل استبيان خاص بخطباء المساجد

1- السن: (18- 30) ( ) (31-40) ( ) (41-50) ( ) (50- فما فوق) ( )

2- محل الإقامة: منزل خاص ( ) شقة خاصة ( ) محل مأجور ( ) منزل ملحق بالمسجد ( )
محل تتكلف بنفقاته جماعة المسجد ( )

3- هل هو قريب من المسجد ( ) أم بعيد عنه ( )
جواب آخر .....

4- الحالة التعليمية: تعليم أصلي ( ) مستوى ابتدائي ( ) مستوى متوسط ( )
مستوى ثانوي ( ) مستوى جامعي ( )
جواب آخر .....

5- المستوى التعليمي للأب : أمي ( ) تعليم أصلي ( ) تعليم ابتدائي ( ) تعليم متوسط ( )
تعليم ثانوي ( ) تعليم جامعي ( )

6- المستوى التعليمي للأم : أمية ( ) تعليم أصلي ( ) تعليم ابتدائي ( ) تعليم متوسط ( )
تعليم ثانوي ( ) تعليم جامعي ( )

7- الحالة الاجتماعية : أعزب ( ) متزوج ( ) أرمل ( ) مطلق ( )

8- إذا سبق لك الزواج كم هو أبنائك ؟ من الذكور ( ) من الإناث ( )
عدد زوجاتك في حالة التعدد ( )

9- الوظيفة التي تشغلها في السلك الديني :

- الأقدمية العامة ( ) سنة
الأقدمية في الوظيفة الجديدة
إذا كانت هناك ترقية ( ) سنة

- إمام معتمد ( )
- إمام أستاذ ( )
- إمام مدرس ( )
- إمام معلم ( )
- إمام مؤذن ( )
- معلم القرآن الكريم ( )
- قيم ( )
- متطوّع ( )

10- كيف هي أحوالك المادية ؟
ضيق ذات اليد ( ) إغداق في المصروف ( )
إجابة أخرى .....

11 – الأصل الاجتماعي: قرية أو دشرة ( ) مقر بلدية ( ) مقر دائرة ( ) مقر ولاية ( )

12- أين يوجد مقر المسجد ؟ قرية أو دشرة ( ) حي ببلدية ( ) حي بمقر دائرة ( )
حي غير آهل بمقر الولاية ( ) حي شعبي آهل بالسكان بمقر الولاية ( )
حي راقي بمقر الولاية ( )

13- هل كان لديك مهنة أخرى قبل دخول السلك الديني ؟
نعم ( ) لا ( )
- إذا كان الجواب بنعم أذكرها .....

14- ماذا تمارس كهواية في أوقات الفراغ ؟

.....

15- كيف تجد جماعة مسجدك و الجو السائد فيه ؟
- جماعة منسجمة و مصغية وجو العمل جد ملائم ( )
- جماعة مقبولة عموما وجو العمل مناسب ( )
- بعضها مقبول وبعضها غير منسجم وجو العمل غير ملائم ( )
- جماعة المسجد غير منسجمة و جوّ العمل مكهرب ( )

16- إذا كان جو العمل غير ملائم فإلى ماذا يرجع ذالك ؟
- ظروف العمل المادية غير مناسبة ( )
- ظروف العمل المعنوية غير مناسبة ( )
- جواب آخر.....

17- إذا كانت جماعة المسجد غير منسجمة ففي رأيك ماهو السبب؟
- ينكرون عليك الإطالة في الصلاة ( )
- ينكرون عليك الإطالة في خطبة الجمعة ( )
- ينكرون عليك سوء قراءة القرآن أو عدم الحفظ الجيّد للنصوص ( )
- ينكرون عليك الإغلاظ في الموعظة أو خطاب التحريم و الترهيب ( )
- ينكرون عليك التقيّد الصارم بتعليمات الوزارة ( )
- ينكرون عليك ترك بعض السنن أو إتيان بعض البدع (في نظرهم) ( )
- ينكرون عليك عدم مجاملتك لهم وعدم حضور إطعاماتهم والجلوس إلي موائدهم ( )
- ينكرون عليك مجالستك لفئة عمرية معينة ( )
- ينكرون عليك التوقف عن الإفتاء في بعض المسائل ( )
- ينكرون عليك عدم مجاراتهم في بعض البدع والتصرفات ( )
- ينكرون عليك قبولك للدعوات الرسمية والخاصة ( )
- ينكرون عليك الدعاء للحاكم وولي الأمر ( )
- ينكروت عليك عدم تطرقك لواقع الأمة الإسلامية (فلسطين والعراق....إلخ) ( )
- ينكرون عليك عدم تطرقك لواقع الأزمة الاجتماعية السياسية و الاقتصادية بالجزائر ( )
- سبب آخر لعدم الانسجام.....

18- هل تملك سيارة ؟ نعم ( ) لا ( )

19- كم تحفظ من القرآن الكريم؟ بعضه ( ) ربعه ( ) نصفه ( ) كله ( )

20- مستوى إتقانك لقراءة القرآن (أحكام الترتيل): ضعيف ( ) متوسط ( )
مقبول ( ) ممتاز ( )

21- المستوى اللغوي (النحو):
مستوى عادي ( ) الآجرمية دون شرح ( ) الألفية دون شرح ( )
كتب أخرى.....
22- ما هي الكتب التي قرأتها في البلاغة ؟
أ-.....
ب-.....
ج-.....
لم تقرأ ( )

23- ما هي كتب الفقه التي تكونت عليها أو تعتمد عليها ؟
أ-.....
ب-.....
ج-.....
د-.....
هـ-.....
24- ما هي كتب العقيدة التي تعود إليها ؟
أ-.....
ب-.....
ج-.....
د-.....
هـ-.....
25-ما هي كتب السيرة التي تحضّر منها؟
أ-.....
ب-.....
ج-.....
د-.....
هـ-.....
26- ما هي التفاسير التي ترجع إليها ؟
أ-.....
ب-.....
ج-.....
د-.....
هـ-.....
27- هل تدعو في خطبك لولي الأمر ؟ نعم ( ) لا ( )
- في حالة الجواب بنعم فهل - تذكره بالاسم ( )
- تكتفي بلقب ولي الأمر ( )
- في حالة الجواب بلا فهل هو: - اقتناع ديني ( ) - خوف من بعض المصلين ( )
- ابتعاد عن السياسة ( )
جواب آخر.....

28- أيهما تفضل في مواعظك ؟

1- أسلوب الترغيب ( ) 2- أسلوب الترهيب ( )

- في حالة الجواب الأول فهل يلقى تجاوبا من طرف المصلين ؟ نعم ( ) لا ( )

- في حالة الجواب الثاني فهل هو فعّال من الناحية الدعوية ؟ نعم ( ) لا ( )

29- كيف تتعامل مع جماعة المصلين الذين يخالفونك في الرأي و المنهج ؟

- تأخذهم باللين و الحوار ( )

- تأخذهم بالقسوة وإغلاظ القول ( )

- تتجاهلهم ( )

- طريقة تعامل أخرى.....

30- إذا ما لاحظت أخطاء في المسجد فهل تعمد إلي:

- النصيحة البينية ومناقشة الأمر ( )

- تعرض ذلك بشكل علني في خطبك ودروسك ( )

- تقوم بإخطار المسؤولين عن المسجد والقطاع ( )

- تذكر ذ لك في خطبك وتشرح الأمر دون تعنيف ( )

31- هل سبق وأن أفضت خطبك إلى إثارة العواطف ؟ نعم ( ) لا ( )

- إذا كان الجواب بنعم فهل كان ذالك: - بتحريك مباهج النفوس (الفرح والسرور) ( )

- بتحريك لوا عج النفوس (الحزن و الأسى) ( )

- بكيفية أخرى.....

32- لإثبات شرعية ما تريد قوله، هل حدث أو تشدت في طرحـه لا شعوريا

بلغة عنيفة ذات يوم؟ نعم ( ) لا ( )

33- هل تغتنم الفرص أو المناسبات لتمرير بعض الأفكار المتعلقة بالأحداث التي تمر بها البلاد أو المصلين ؟

نعم ( ) لا ( )

34- هل تستخدم أسلوب التكرار ؟ نعم ( ) لا ( )

- إذا كان الجواب بنعم هل يكون ذالك - بتكرار الخطبة نفسها ( )

- بتكرار مضمون ما في الخطبة ( )

- بتكرار معنى من معانيها ( )

35- هل تعتمد علي: الخطب المحضرة ( ) الخطب الجاهزة ( )

جواب أخر.....

36- هل سبق لك استخدام عبارات أثارت حفيظة المصلين دون أن تقصد ذالك باعتبارها منقولة أو مقتبسة

من خطب أخرى لم تفهم معناها بشكل كاف نعم ( ) لا ( )

37- هل سبق أن كانت لديك خلافات مع أحد أو بعض المصلين و لمحت بشأن ذالك في خطبك ؟

نعم ( ) لا ( )

إذا كان الجواب بنعم فهل هي: - خلافات شخصية عائلية ( )

- خلافات مذهبية ( )

- خلافات حول تسيير شؤون المسجد ( )

38- هل تظن نفسك أهلا لاعتلاء منبر الخطابة في المسجد ؟ نعم ( ) لا ( )

39- أيهما أفضل ؟ مصطلح المسجد ( ) مصطلح الجامع ( )

40- في رأيك ما هي التحديات الراهنة التي تنتظر الإمام ؟
- التحديات الاقتصادية و السياسية ( )
- التحديات الأخلاقية و التربوية ( )
- التحديات الدينية و المذهبية ( )
41- هل حدث و أن عمدت إلى الارتجال في الخطبة ؟ نعم ( ) لا ( )
42- كم تدوم خطب الجمعة التي تلقيها ؟ أقل من عشر 10 دقائق ( ) مابين 10 و 15 دقيقة ( ) مابين 15 و 20 دقيقة ( ) مابين 20 و 30 دقيقة ( ) أكثر من 30 دقيقة ( )
43- كيف تمّ توظيفك بالسلك الديني أو كيف تمّ تكليفك بالخطابة ؟
- مسابقة خارجية بناء علي شهادة جامعية ودون تربص ( )
- مسابقة خارجية بناء علي شهادة حفظ القرآن الكريم ( )
- بعد تكوين خاص بمراكز تكوين الأئمة ( )
- بعد مسابقة أو ترقية مهنية داخلية أهلتك للخطابة ( )
44- هل كان لختيارك لمهنتك هذه عن قناعة ؟ نعم ( ) لا ( )
دافع آخر.....
45- هل خضعت لعملية تكوين أو رسكلة بعد التوظيف؟ نعم ( ) لا ( )
- إذا كان الجواب بنعم كم كانت مدته ؟.....
46- ما تعني بالنسبة إليك كلمة " عنف"؟
.....
47- هل ترفع صوتك في الخطبة ؟ نعم ( ) لا ( )
48- في اعتقادك هل تعتبر خطب الجمعة ؟ تربوية ( ) توجيهية ( ) سياسية ( )
فقهية ( ) عقائدية ( ) اجتماعية ( )
49- ما هي الفئات الاجتماعية التي تركز عليها في خطبك ؟ الشباب ( ) الكهول ( ) الشيوخ ( )
50-هل تجد علامات الرضا على وجوه المصلين وأنت تلقي خطبك ؟ نعم ( ) لا ( )
51- في رأيك متي يكون الإغلاظ في الموعظة مطلوبا؟
.....
52- هل تعتقد أن الإمام الذي تكون خطبه لينة، مرنة، وهادئة لا يشد انتباه المصليين ؟
نعم ( ) لا ( )
-إذا كان الجواب بلا
لماذا.....
53- هل تستخدم عبارات بالعامية "" الدارجة"" في الخطبة؟ نعم ( ) لا ( )
- إذا كان الجواب بنعم هل يثير ذلك ضحك بعض المصلين أو ابتسامهم نعم ( ) لا ( )
- إذا كان الجواب بلا هل تعتبر ذالك انتقاصا من قيمة الإمام و مستوى الخطبة نعم ( ) لا ( )
54- ما هي المشاكل التي سبق لك معالجتها في خطبك ؟
- ( ) موجة العنف التي عرفتها البلاد
- ( ) مشاكل التمدرس و التربية
- ( ) قضايا الصراع المذهبي والفقهي الذي تعرفه بعض المساجد
- ( )القضايا المصيرية للأمة (فلسطين والعراق)

55-ما هو عدد المصلين الذين يستفتونك عن أمور دينهم أسبوعيا ؟
أقل من 10 مصلين ( ) ما بين 10 و 30 مصليا ( )
مابين 30 و 50 مصليا ( ) أكثر من 50 مصليا ( )
56- هل تعالج في خطبك المشاكل و الاهتمامات اليومية للمصلين ؟
نعم ( ) لا ( )
57 - هل تعمد إلى المصالحة بين المتخاصمين في خطب الجمعة ؟
نعم ( ) لا ( )

58- هل يوجد في مسجدك أشخاص يعمدون إلى الإفتاء في غيابك أو من ورائك ؟
نعم ( ) لا ( )
- إذا كان الجواب بنعم ماذا يمارسون كمهنة خارج المسجد

.....

59- رتب هذه الشخصيات حسب سلم الأولية الذي تراه ؟
- رجالات الدين ( )
- رجالات الفن ( )
- رجالات السياسة ( )
- رجالات العلم ( )
- رجالات الدفاع ( )
- رجالات العدالة ( )
- رجالات الأمن ( )
- رجالات التربية ( )
60- بصراحة ما رأيك في هذه الاستمارة؟

.....

ملحق الخطب المنبرية

عنوان الخطبة رقم 01 : **حادثة الإسراء و المعراج**

و هي خطبة غير رسمية ألقيت بأحد مساجد تلمسان بتاريخ 26سبتمبر 2003

وقد رمزنا لها بالرمز خ-ع-ر1 س 03

الخطبة الأولى :

الحمد لله رب العالمين، اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا و رزقتنا و هديتنا و فرّجت عنّا ، لك الحمد بالإسلام ، و لك الحمد بالقرآن ، و لك الحمد بالأهل و المعافاة و المال ، لك الحمد ربّي حتى ترضى و لك الحمد إذ ا رضيت ، لك الحمد ملء السماوات و الأرض و ملء ما بينهما ، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين ،و أشهد أن سيّدنا محمدا عبده و رسوله _صلّى الله عليه وعلى آله و أصحابه _ و سلّم كثيرا إلى يوم الدين ، أيا أحبّتنا في الله ! أوصيكم و نفسي بتقوى الله ، فقد فاز من اتّقى مولاه ، و قد خاب و خسر من اتّبع الشيطان و اتّبع هواه "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"(1) "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ"(2) "يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(3) اتّق الله حيث ما كنت و أتبع السيّئة الحسنة تمحها و خالق النّاس بخلق حسن و اعلم أن الله مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون ...

أحبائي في الله ! لا يمكن أبدا أن تمر علينا حادثة الإسراء و المعراج دون أن نذكر أو أن نذكر بما يحدث في فلسطين المباركة ، دون أن نذكر بما يجري بمسرى النبي

---

(1) سورة آل عمران الآية 102

(2) سورة الأحزاب الآية 71

(3) سورة النساء الآية 01

_صلّى الله عليه و سلّم _ " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ " (1) ، فالمسجد الأقصى يا اخوة الإسلام ! مقرّ الحدث و مركز النبأ ، المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله و توحيده ، المسجد الثاني الذي وضع في الأرض لعبادة الله و توحيده هو المسجد الأقصى ، جاء في الصحيحين عن أبي ذر الغفاري _ رضي الله عنه _ قال : قلت يا رسول الله !أيّ مسجد وضع في الأرض أوّلا ؟ فقال : المسجد الحرام ، فقلت : ثمّ أيّ ؟ قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما ؟ فقال : أربعون سنة . (2)

المسجد الأقصى يا اخوة الإسلام ! هو ثالث أعظم المساجد ، أو ثالث المساجد المعظمة في الإسلام التي تشد إليها الرحال لطلب مزيد من الفضل و الكرم من الله تبارك و تعالى ، قال _صلى الله عليه و سلم _ : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام (بمكة) ، و مسجدي هذا (بالمدينة) ، و المسجد الأقصى " ، المسجد الأقصى يا اخوة الإسلام ! هو المسجد الذي يقع في الأرض المقدسة _ قدسها الله _ ، المسجد الأقصى هو المسجد الذي يقع في الأرض المباركة _ باركها الله تبارك و تعالى _ المسجد الأقصى هو المسجد الذي يقع في الأرض التي هي مقر الأنبياء و المرسلين ، عباد الله ! إن ما يحدث الآن في فلسطين المباركة ، إن ما يجري اليوم ، في المسجد الأقصى من مذابح شرسة من جرائم شرسة ، و مجازر دامية ، و نسف لبيوت المسلمين هناك من قبل الصهاينة _ عليهم اللعنة _ ، إن هذا ليس أمرا جديدا بالنسبة إلينا ، إذ أظن أننا ، لا أظن أنكم أيها المسلمون ! لا أظن أنكم قد نسيتم تاريخ اليهود الأسود ، لا أظن أنكم نسيتم تاريخهم الأسود خاصة بداية من عام 1948 إلى يومنا هذا بفلسطين ، إذ كيف

---

(1) سورة الإسراء الآية 01

(2) رواه البخاري و مسلم

ننسى يا اخوة الإسلام ! كما روى لنا التاريخ لأنّ عمرنا لا يسمح بمعايشة ذلك كيف ننسى مجزرة دير ياسين ؟ كيف ينسى المسلم مجزرة دير ياسين ؟ التي كانت في عام 1948 حين دخلت عصابة من اليهود هذه البلدة (دير ياسين) ، دخلت في حوالي الساعة الرابعة صباحا ، فقتلوا أكثر من 250 شخص ، أكثر من 250 شخص ، في حوالي عشر ساعات ، على الساعة الرابعة صباحا و الناس نيام ، كان من بين القتلى ، من بين الشهداء (تخيّلوا معي الجرائم) ، من بين القتلى 25 امرأة حبلى ، 25 امرأة حامل ، بقروا بطون النساء ، و قطّعوا الأجنّة من بطون أمّهاتهم ، و استخرجوا الأجنّة ، بعدما بقروا البطون ،و كان من بين القتلى 52 طفلا دون العاشرة ، لم يقف الأمر عند هذا الحدّ ، قتلوهم ثمّ مثّلوا بهم ، و أجبروا و أرغموا الأسرى أن يدوسوا جثث إخوانهم الشهداء ، أن " يعفسوا " على جثث إخوانهم الشهداء ، و مرّت مذبحة دير ياسين و تركت وراءها لطخة قبيحة في جبين الصهيونية العالمية إلى الأبد ، عار عليهم في تاريخ العالمين ، إن كانوا يعرفون العار " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا " (1) اخوة الإسلام ! ، كيف ننسى مجزرة غزّة التي كانت في سنة 1955 للميلاد ، حين تسلّل الجنود اليهود إلى معسكر اللاّجئين النيام في قطاع غزّة وهم نيام ، تسلّلوا إلى معسكر اللاّجئين بغزّة ، وسلّطوا نيران الرشّاشات و القنابل على الأبرياء ، على العزّل ، على النائمين الآمنين في مخيّماتهم و في خيمهم ، فكانت النتيجة أن قتلوا 33 شخص ، و الجرحى عدد كبير ، و كانوا يقصدون قتل الجميع _ كما يقول شاهد عيان _ ، كانوا يريدون و يقصدون قتل الجميع ، و لكن الله _ تبارك و تعالى _ سلّم ؛ كيف ننسى يا اخوة الإسلام ! مذبحة كفر قاسم التي نسمع بها و التي كانت في سنة 1956 غداة العدوان الثلاثي إلى مصر ، و كانت نتيجة هذه المجزرة و هذه المذبحة 57 قتيلا من بين القتلى 17 امرأة كانت من القتلى ، و كيف ننسى يا اخوة الإسلام ! مجزرة رفح و كيف ننسى يا اخوة الإسلام ! مجزرة تلّ الزعتر العظيمة عند *الله تبارك و تعالى* التي كانت في سنة 1976، تخيّلوا هذه المجزرة استمرّت 55 يوما

---

(1) سورة المائدة الآية 82

كانت النتيجة أكثر من 3000 قتيل في 55 يوم ، أكثر من 3000 قتيل و العالم ينظر ، و العالم ينظر عربا و عجما ، كيف ننسى يا اخوة الإسلام ! مجزرة صبرا و شاتيلا ، و كلّكم تسمعون بهذه المجزرة ، أين قلوب المسلمين لإخوانهم ؟ أقلّ شيء الدعاء ، مجزرة صبرا و شاتيلا ، عندما قامت القوات اليهودية بمباركة أمريكية و أوربية بقذف مخيّمات صبرا و شاتيلا بالطائرات و المدافع مدّة 36 ساعة ، و الطائرات و المدافع تقصف ، فكانت النتيجة أكثر من 1500قتيل ، أكثر من 1500قتيل في 36 ساعة ، مجزرة عظيمة حلّت بإخواننا في فلسطين ، الأطفال الصّغار الرضّع ، و الشيوخ الكبار و النساء و الشباب و نساء انتهكت حرمتهنّ و كرامتهنّ .

نعم يا اخوة الإسلام ! ، إنّ ما يجري اليوم في فلسطين هو حلقة من مسلسل دامي ، حلقة من مسلسل الإجرام اليهودي ، حلقة من مسلسل الإفساد اليهودي حلقة من مسلسل المذابح اليهودية ، و يسعون في الأرض فسادا ، و يسعون في الأرض فسادا ، لا يعرفون للمسلمين إلاّ و لا ذمّة ، حلقة من حلقات هذا المسلسل الذي طال ، يا اخوة الإسلام ! ، إنّ السفّاح شارون هو أكبر إرهابي في العالم ، هو أكبر إرهابي في العالم ، تاريخه أسود ملطّخ منذ سنة 1953 ، فهو ليس من 1999 أو من 2000 ، و إنّما تاريخه ملطّخ لمن لا يعلم من 1953 ، إنّ شارون هو سفّاح مجزرة صبرا و شاتيلا ، هو الذي قام بمجزرة صبرا و شاتيلا التي حدّثناكم عنها ، هو الذي قال بصريح لفظه ، و بصريح شفتيه ، قال لصحيفة رسمية : اضربوهم ! اضربوهم ! ولا تتوقّفوا عن ضربهم ! اضربوهم ! ولا تتوقّفوا عن ضربهم ! عليكم أن تضربوا الإرهابيين في كلّ مكان ، في إسرائيل و في الدول العربية ، و أنا أعرف كيف أفعل ذلك ، و قد سبق لي فعل ذلك ، هذا تصريح هذا اللّعين ، و أنتم كذلك لا تنسون اخوة الإسلام ! حين تجرّأ هذا الملعون _ نسأل الله تبارك و تعالى أن يعجّل به ، أن يعجّل به من حيث لا يشعر و من حيث لا يدري _ ، كيف تجرّأ هذا اللّعين على دخول ساحات المسجد الأقصى ، لكي يمسّ شعور المسلمين في كلّ مكان ، و كان ذلك في هذا الشّهر يوم الخميس 28 سبتمبر من سنة 2000 ، دخل ساحات المسجد الأقصى لا يراعي للمسلمين إلاّ و لا ذمّة ، لا يحترم شعورهم ، و هو محاط بأكثر من 3000 جندي و حرس حدود ، لا يبالي بالمسلمين ، قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر ، و ما تخفي صدورهم أكبر يا اخوة الإسلام ! ، و يسعون في الأرض فسادا ،

و يسعون في الأرض فسادا ، نسأل الله _ تبارك و تعالى _أن يدمّرهم و أن يشتّتهم ، فلا تنسوا يا اخوة الإسلام إخوانكم ، و أقلّ ما تقدّموه لإخوانكم الدعاء ، نسأل الله _ تبارك و تعالى _ أن يسدّد رميتهم ، و أن يثبّتهم و أن يكتب قتلاهم من الشهداء ، أقول قولي هذا و أستغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما .

الخطبة الثانية :

الحمد لله و كفى ، و الصلاة على المصطفى ، و على من سار على دربه و اقتفى و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين ، و أشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده و رسوله _ صلّى الله عليه و على آله و أصحابه الغرّ الميامين و على من سار على دربهم و اقتفى أثرهم إلى يوم الدين _ .

أيا عباد الله ! ، لقد ضرب الشباب الفلسطيني أروع الأمثلة في الدفاع عن الوطن لقد ضرب الشباب الفلسطيني أروع الأمثلة في كراهية الدنيا في استرخاص الدنيا ، و حبّ الموت ، أحبوا الموت و استرخصوا الدنيا ، و لتعلموا أن من أسباب ، أو من أهمّ أسباب زوال الأمم و هزيمة الأمم حبّ الدنيا و كراهية الموت ، كما قال _ صلّى الله عليه و سلّم _ : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : يا رسول الله ! أو من قلّة يومئذ نحن ؟ فقال _ صلّى الله عليه و سلّم _ : بل أنتم يومئذ كثير (مليار أو أكثر من مليار) بل أنتم يومئذ كثير ، و لكنّكم غثاء كغثاء السيل ، و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفنّ في قلوبكم الوهن ، قال قائل : و ما الوهن يا رسول الله ؟ قال: حبّ الدنيا و كراهية الموت " (1)...، إنّ الشباب الفلسطيني قد ضرب أروع الأمثلة ، أحبّ الموت و استرخص الدنيا ، حين قام بتلك العمليات الاستشهادية التي أرعبت و أخافت و زلزلت اليهود ، نسأل الله _ تبارك و تعالى _ أن يوفّقنا و إيّاهم ،

---

(1) حديث مرفوع رواه أحمد و أبو داود

اللهم وفّقهم ، اللهم انصرهم على أعداء الدين ، اللهم ثبتهم ، اللهم اكتب قتلاهم من الشهداء اللهم اكتبهم من الشهداء ، اللهم اكتبهم من الشهداء ، اللهم يا رحمان يا رحيم ارزقهم الصبر اللهم ارزقهم الصبر و السلوان في بلادهم ، اللهم ارزقهم الصبر و السلوان في بلادهم ، اللهم عليك باليهود أعداء الدين ، اللهم زلزلهم ، اللهم شتّتهم ، اللهم دمّرهم ، اللهم نكّس أعلامهم ، اللهم غرّق سفنهم ، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم ، اللهم اجعل سلاحهم في صدورهم ، اللهم إنّهم لا يعجزونك ، اللهم سلّط عليهم الزلازل ، اللهم سلّط عليهم ما يرعبهم ، اللهم سلّط عليهم ما يخيفهم ، اللهم اقذف الخوف و الرعب في قلوبهم ، اللهم ازرع الخوف و الرعب في قلوبهم يا رحمان يا رحيم ، اللهم آمنّا في أوطاننا ، اللهم اجعل بلدنا بلدا آمنا ، اللهم احفظنا و احفظ وطننا ، اللهم احفظ وطننا من كلّ سوء ، اللهم احفظ وطننا من كلّ سوء ، اللهم احفظ أوطان المسلمين ، اللهم احفظ أوطان المسلمين ، اللهم ولّ علينا خيارنا ولا تولّ علينا شرارنا ، اللهم من أراد بهذا الوطن خيرا فوفّقه ، ومن أراد به سوء فاهده يا رحمان يا رحيم ، اللهم يا جبّار السماوات و الأرض اللهم يا غفور يا رحمان اغفر لنا و لوالدينا و لوالدي والدينا و لمشايخنا و لأساتذتنا و لشهدائنا ، و لمن أوصانا بالدعاء ، ولمن أوصيناه بالدعاء ، و لمن أحسن إلينا ، و لمن أحسن للمسلمين ، اللهم فرّج علي المغبونين ، اللهم فرّج على المغبونين ، اللهم اشف المرضى ، اللهم اشف المرضى من أمّة محمّد _ صلّى الله عليه و سلّم _ ، اللهم ارحم الموتى من أمّة محمّد _ صلّى الله عليه و سلّم _ ، الهم اختم علينا بالصالحات اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيّامنا يوم لقائك ، و آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ ،اللهم احسن عاقبتنا ، اللهم احسن خاتمتنا ، آمين ، آمين ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله و سوّوا صفوفكم !

عنوان الخطبة رقم 02 : **صفات اليهود في القرآن الكريم**

و هي خطبة غير رسمية ألقيت بأحد مساجد تلمسان بتاريخ 26 مارس 2004

وقد رمزنا لها بالرمز خ-خ-ر2 س 04

الخطبة الأولى :

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمان الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ونسترشده و نتوب إليه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيّئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، و من يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا ، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين ، شهادة تنجينا من عذاب النار ، و تجمعنا بالطاهرين الأبرار، اللهم اكتب لنا هذه الشهادة في خزائن حفظك نلقاك بها غير خزايا ولا مبدّلين ولا مغيّرين ، و نشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده و رسوله ، بلّغ الرسالة و أدّى الأمانة و نصح الأمّة ، و كشف الغمّة ، و جاهد في الله حقّ جهاده حتّى أتاه اليقين ، فاللهم صلّ و سلّم و بارك على هذا النبيّ الكريم ، و على آله و أصحابه الغرّ الميامين ، و على من سار على دربهم و اقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، نسأل الله _ تبارك و تعالى _ أن يرزقنا الإخلاص و الصواب ، أن يرزقنا الإخلاص أناء الليل و أناء النهار ، أن يرزقنا الإخلاص في كلّ حركة ، و أن يوفّقنا لصالح الأعمال و خير الأقوال ، نسأله _ تبارك و تعالى _ أن يجمعنا في جنّته مع نبيّه كما جمعنا في هذا البيت من بيوته ، اللهم إنّا نعوذ بك من قلب لا يخشع ، و من عين لا تدمع ، و من نفس لا تشبع ، و من دعاء لا يرفع ...

ثمّ أمّا بعد إخواني في الله ! أحبّائي في الله ! بارك الله فيكم و بارك الله في خطاكم و جمعنا و إياكم على طريق الله المستقيم ، أحيّيكم فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته ، في هذه الجمعة المباركة سأحدّثكم عن بعض صفات و أخلاق اليهود _ عليهم اللّعنة _ ، بعض الصفات التي يتّصف بها اليهود ، بعض أخلاق اليهود ، بعض ما فضحهم به القرآن الكريم ، سنتحدّث عن أخلاق اليهود في القرآن الكريم ، لماذا نتحدّث

عن أخلاق اليهود ؟ ما هو السبب ؟ لماذا أحدثكم عن صفات اليهود ؟ لسببين اثنين ، السبب الأول هو الحذر من الوقوع في هذه الصفات اليهودية الممقوتة ، كي لا يحصل لنا ما حصل لليهود من ذل و هوان و طرد من رحمة الله ، هذا هو السبب الأول ؛ لماذا أعرفكم بأخلاق اليهود ؟ لنبتعد عن هذه الأخلاق ، ما دامت أخلاقا يهودية ممقوتة يجب على المسلم أن يبتعد عنها ، و ألا يكون متصفا بها ، لكي لا يحل به ما حل باليهود _ عليهم اللعنة _ ، هذا السبب الأول .

السبب الثاني ، نتحدث عن أخلاق اليهود كي نعرف هذا الجنس من البشر عن حقيقته لأن حقيقة اليهود قد تخفى على الكثيرين ، يقال الكثير و يكتب الكثير ، يقال في القنوات و يكتب في الصفحات عن اليهود كذا و كذا ، إلا أن حقيقتهم تتجلى حين نتحدث عنها انطلاقا من القرآن الكريم ، من قول أصدق القائلين ، فمن صفات اليهود _عليهم اللعنة _ الجرأة على الله ، و قلة الأدب معه و مع رسله ، تجرءوا على الله و قل أدبهم مع خالق الأكوان ، مع رب العالمين ، و مع أنبياء الله المصطفين المختارين ، كيف ذلك ؟ أو ما هو دليل ذلك ؟ ما هو الدليل على أن اليهود تجرءوا على الله و لم يتأدبوا معه و مع أنبيائه ؟ قالوا بأن الله _ تبارك وتعالى _ فقير وهم أغنياء ، اتهموا الله _ تبارك و تعالى _ بالفقر ، من خزائنه لا تنفذ ، الغني الحميد المجيد القوي العزيز ، و نظرا لقلة أدبهم معه ، قالوا بأن الله _ تبارك و تعالى _ فقير ، كما جاء في سورة آل عمران : " لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء (أنتم أغنياء و الله فقير !) سنكتب ما قالوا" (1) ستكتب هذه الكلمة و ستحفظ عند الله _ تبارك و تعالى _ قلة أدب ، هؤلاء اليهود قالوا عن الله بأنه بخيل ، هذا الكلام لا يقال لملك من ملوك الدنيا ، لا يستطيع الإنسان أن يقول أمام ملك من ملوك الدنيا أنك بخيل في وجهه، و اليهود _ عليهم اللعنة _ قالوا عن الله بأنه بخيل ، كما جاء في سورة المائدة : " وقالت اليهود يد الله مغلولة " و الجواب : " غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل

---

(1) سورة آل عمران الآية 181

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ" (1) ، كذلك قالوا بأنّ عزير ابن الله ، الله _ تبارك و تعالى _ يقول في قرآنه : " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ" (2) ، و هم يقولون بأنّ عزيرا ابن الله ، لماذا هذا الولد ؟ الله _ تبارك و تعالى _ في غنى عن الولد ، لا يحتاج إلى الولد ، و كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟ ، أنّى يكون له ولد ولم تكن له زوجة ؟ و لم تكن له صاحبة كما قال القرآن الكريم ، قال _سبحانه و تعالى _ على لسان اليهود : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" (3) ، قلّة أدب و تجرءوا ، الناس يقولون لمولاهم : سمعنا و أطعنا ، و اليهود يقولوا : سمعنا و عصينا ، قلّة أدب مع الله ، إذا كان الإنسان قليل الأدب مع الله ، أتنتظر منه أن يكون مؤدبا مع البشر ؟ إذا تجرّأ العبد على ربّه ، كيف لا يتجرّأ على البشر ؟ و اليهود قالوا : سمعنا و عصينا ، تجرّءوا و قالوا لموسى _ عليه الصلاة و السلام _ : [ورّينّا ربّك ورّينا الله نشوفوه !] و قالوا : أرنا الله جهرة ، نحبّ أن نرى الله جهرة : علانية ، جرأة على الله ، و قلّة أدب مع الله _ تبارك و تعالى _ ، لم يكتفوا بهذا بل ذهب هؤلاء اليهود _ عليهم اللّعنة _ إلى تأليف الكتب على حسب أهوائهم ، و على حسب ما تملي عليهم الشياطين ، يكتبون و يؤلفون الكتب على حسب أهوائهم ، و يسطّرون الخطوط و يطبعون المطبوعات ، و يقولون هذا كلام الله ، و هذا من عند الله ، يكتبون الكلام و يقولون هذا من عند الله ، يكذبون على خالق السماوات و الأرض ، " فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ " (4) ، اسمعوا كم تكرّر هذا الويل تكرّر ثلاث مرّات ، عذاب أليم ينتظر هؤلاء اليهود .

---

(1) سورة المائدة الآية 66

(2) سورة الإخلاص الآية 03

(3) سورة التوبة الآية 30

(4) سورة البقرة لآية 78

ورائه ، من صفاتهم فعل المنكر و السكوت عليه و تشجيع المنكرات و الفساد في هذه الأرض .

كذلك يا اخوة الإسلام ! ، من صفات هؤلاء اليهود _ عليهم اللعنة _ أكل الحرام و الكذب ، لا ينبغي للمسلم أن يأكل الحرام ، ولا ينبغي للمسلم أن يكون كذابا ، لأن الرسول نهى عن ذلك ، و لأن هاتين الصفتين من صفات اليهود ، قال تعالى : " سماعون للكذب أكالون للسحت" (1) ، من صفات هؤلاء اليهود _ عليهم اللعنة _ الحسد ، يحسدون العباد ، يحسدون العباد كانوا من اليهود أو من غير اليهود ، "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق" (2) ، تبين لهم أن الحق في الإسلام ، تبين لهم أن الحق في دين محمد ، و هم يحسدون المسلمين ، و يودون أن يخرجوا من ملة الإسلام إلى ملة الكفر .

كذلك يا اخوة الإسلام ! من أخلاق اليهود ومن صفات هؤلاء الملاعن أنهم يشعلون نار الفتنة ، نار الفتن ، نار الحرب ، وراءها اليهود ، و الله لو درستم التاريخ ، ولو قرأتم التاريخ جيدا لوجدتم أن وراء كل نار حرب يهود ، قال تعالى و صدق الله عز و جل : " كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا " (3) ، [نار مور نار ، نار تنطفى و عاود نار يشعلوها ، نار تنطفى و عاود نار يشعلوها] ، اليهود هم الذين جروا إمريكا للحرب مع ألمانيا ، في عهد الرئيس ولسن و اقرؤوا التاريخ و اقرؤوا الحادثة ، اليهود هم الذين جروا إمريكا للحرب مع ألمانيا ، في عهد الرئيس ولسن ، اليهود كانوا وراء الحرب العالمية الثانية و الأولى ، و اقرؤوا الأسباب ، أسباب الحرب العالمية الأولى و الثانية ، الأسباب الحقيقية ، الأسباب الخفية ،

---

(1) سورة المائدة الآية 44

(2) سورة البقرة الآية 108

(3) سورة المائدة الآية 66

كذلك من الصفات اليهودية الممقوتة التي يجب على المسلم أن يحذر الوقـــوع فيـــها و أن يتيقّن بأنّها من صفات اليهود _ عليهم اللّعنة _ ، فعل المنكرات و عدم النّهي عنـــها ، فعل المنكرات من صفات و أخلاق اليهود ، عدم النّهي عن المنكر من صفـــات اليـــهود _ عليهم اللّعنة _ ، فعل المنكرات و عدم النّهي عنها ، هذه صفة تجري في عروق اليـــهود ، لا ينبغي للمسلم أن يتّصف بها ، و بذلك لعن اليهود " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (1) ، أكثر من ذلك ، هؤلاء اليهود لم يكتفوا بفعل المنكر و السكوت عنه ، بـــل شجّعوا على المنكر ، شجّعوا على المنكر تشجيع المنكر و فاعلي المنكر هذه من أخلاقيـــات اليهود ، شجّعوا على فعل المنكر ، و شجّعوا الفساد و فعل الفساد ، و الأمور التي تدعـــو إلى الفساد ، كلّ ذلك شجّع اليهود ، و لو اقتضى الأمر أن يخرجوا من جيوبهم ، يخرجـــوا الدراهم من جيوبهم و هي أغلى شيء عندهم ، لأنّهم ماديّون ، يخرجون النقود ، الملايين ، من أجل أن ينشروا الفساد ، و أن يشجّعوا الفساد ، هذه سمتهم و أخلاقهم ، كمـــا قـــال _ سبحانه و تعـــالى _ : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ" (2) يشترونها بالثمن ، و يريدون منكم أن تكونوا على الفساد ، يشجّعونكم هـذه الآية نزلت في اليهود في عصر رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ ، و غاية الإفساد لا زالت موجودة في يهود اليوم ، لا زالت هذه الغاية موجودة عند اليهود اليوم ، كلّ ما يدعو إلى الفساد تجد اليهود من ورائه و تشجيعاتهم المادية من ورائه ، تشـــجيعا للفســـاد و بثّـــا للفساد خلقوا دور السينما ، هم الذين أنشئوا دور السينما ، وهم الذين كوّنوا بيوت الدعارة ، أوّل من كوّنه يهودية ، و هم الذين كوّنوا البنوك الربوية ، و هم الذين يكوّنون في الإنترنت اليوم العلاقات الجنسية ، و القنوات الجنسية ...هلم جرا ، كلّ ما يدعو إلى الفساد اليهود من

---

(1) سورة المائدة الآية (80-81)

(2) سورة النساء الآية 44

اليهود كانوا وراء إشعال نار الحرب العالمية الأولى و الثانيـــة ، و ذلـــك عـــن طريـــق سيطرتهم على بريطانيا ، اليهود هم الذين أشعلوا الثورة الإنجليزية ، التي كانت نتيجتها قتل الملك البريطاني و تصفية أنصاره في البرلمان ، أشعلوا الثورة البريطانية لأسباب ماديـــة مالية ، و أشعلوها بأساليب مادية مالية ، استعملوا المال لإشعال النار و غايتـــهم المـــال ؛ اليهود هم الذين أشعلوا الثورة الفرنسية ، أشعلوا الثورة الفرنسية لأسباب مادية و لغايـــات مادية ، و ستأتي الفرصة ونقف على هذه الأحداث و على هذه الوقائع التاريخية لتتأكّد لنـــا المعلومات إن شاء الله .

كذلك من أخلاقيات اليهود ومن صفاتهم نقض العهود ، لا عهد و لا ميثـــاق مـــع اليهود ، هذا القرآن هو الذي أخبر عنه : " أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ " (1) ، كلّ ما يعاهدون و كل ّما يبرمون ، تأتي فرقة ثمّ تنقض هذا العهد ، قال تعـالى : "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (2) ، فمن أخلاقهم و صفاتهم نقض العهود ، فلا عـــهد ولا ميثاق مع هؤلاء اليهود _ عليهم اللّعنة _ ، و للحديث بقيّة ، أقول ما تسمعون و أستغفر الله العظيم لي و لكم فاستغفروه تجدوه غفورا رحيما .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لـــم يولد و لم يكن له كفؤا أحد ، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وليّ الصـــالحين ، و أشهد أن سيّدنا محمدا عبده و رسوله _صلّى الله عليه وعلى آله و أصحابـــه _ و سـلّم كثيرا إلى يوم الدين ، معاشر المسلمين و المسلمات ! أوصيكم و نفسي بتقوى الله ، فقد

---

(1) سورة البقرة الآية 99

(2) سورة المائدة الآية 14

فاز من اتّقى مولاه ، و قد خاب و خسر من اتّبع الشيطان و اتّبع هواه " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"(1) "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ "(2) "يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(3) اتّقوا الله و اعلموا أن الله مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون ...

اخوتي في الله ! يقول الله _ تبارك وتعالى _ في سورة الأحـــزاب : " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (4) ، لقد ودّعـــت الأمّة الإسلامية و الأمّة العربية في هذا الأسبوع رجلا من رجالاتها و الرجال قليل ، لقـــد ودّعت الأمّة الإسلامية الكبرى رجلا من رجالاتها في هذا الأسبوع و الرجال _ كما قلنا _ قليل في هذه الدنيا يا اخوة الإسلام ! إنّه الشيخ أحمد ياسين ، الذي عاش عمـــره للدّعـــوة و الجهاد ، و نذر حياته للنضال من أجل تحرير وطنه من الاستعمار الصهيوني الغاشـــم ، لقد كان هذا الشيخ القعيد الأجلّ المشلول يزلزل الصهاينة ، لقد كان هذا الشـــيخ المشـــلول يزلزل كيان الصهاينة ، و يرعب قادتها ، يرعب قادتهم السياسيين و العســـكريين و هـــو جالس على كرسيّه المتحرّك ، الذي لا يستطيع أن يفارقه إلاّ بمعين أو بمساعد نعم يا اخوة الإسلام ! ، إنّ استشهاد الشيخ أحمد ياسين بهذه الصورة المرعبة ، بهذه الصورة الشنيعة ، أثناء خروجه من المسجد بعد أدائه صلاة الصبح مع زملائه ، إنّ هذه الطريقة التي استشهد بها الشهيد ياسين تحمل إلى المسلمين كافة دروسا و عبرا و عظات يجب على المســـلمين صغارا وكبارا ذكورا و إناثا أن يحفظوها و يعوها، الدرس الأوّل : أمّا الشيخ ياسين ، أمّـــا

---

(1) سورة آل عمران الآية 102

(2) سورة الأحزاب الآية 71

(3) سورة النساء الآية 01

(4) سورة الأحزاب الآية 23

الشيخ ياسين ، أما الشيخ ياسين فقد حقق أمنية كان يطلبها لنفسه من ربه ، الشيخ أحمد ياسين قد حقق أمنية كان يطلبها لنفسه من ربه ، أمنية يطلبها كل مجاهد صادق مخلص ، أما الشيخ ياسين فقد أعطاه الله _ تبارك و تعالى _ أفضل ما يعطيه لعباده الصالحين ، أما الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الفلسطينية و روحها فقد ختم الله عليه بأفضل ما يختم على أوليائه المتقين ، أعطاه الشهادة و ختم عليه بالشهادة ، بأغلى شيء ، الشهادة التي كان يطلبها طيل حياته النضالية ، في آخر أيامه ، في آخر أيامه ظهر على القنوات التلفزيونية و قال بلسان المؤمن الصادق المخلص ، قال : إن العدو الصهيوني يحاصرني في الأرض عن طريق الخونة ، و في السماء بالصواريخ و بالمروحيات ، و إني أرجو أن أموت شهيدا " ، هذا قاله في آخر أيامه أحاصر في الجو و في الأرض ، ولا أخاف في الله لومة لائم ولا أخشى إلا الله و إني أرجو أن أموت شهيدا ، فحقق الله _ تبارك و تعالى _ أمنيته النابعة من قلبه.

الدرس الثاني اخوة الإسلام ! الذي يجب أن نحفظه جميعا الدرس الثاني هو أن إمريكا شريكة لإسرائيل في المسئولية عن هذه الجريمة و ما سبقها من جرائم ، و هذا درس يجب أن يحفظه المسلمون جميعا ، حتى تتجدد عداوتهم لهؤلاء اليهود و هؤلاء الأعداء ، إن إمريكا شريكة لإسرائيل في المسئولية عن هذه الجريمة ، و شريكة لها فيما سبق من الجرائم ، إن إسرائيل ترتكب الجرائم بسلاح أمريكا و بمال أمريكا و بتأييد أمريكا ، و هذه الأخيرة لا تستطيع أن تؤدبها إسرائيل ، و إمريكا لا تؤدب إسوائيل ، و لا توجه لها كلمة لوم على الإطلاق ، فالفيتو الإمريكي دائما بالمرصاد لصالح الصهاينة _ عليهم اللعنة _ ، إن المسئول الأول عن هذه الجريمة ، جريمة اغتيال الشيخ ياسين هو الرئيس بوش ، فالرئيس بوش هو المحرض الأول على هذه الجريمة ، و هو الذي أعطى السلاح للقاتل ، وهو الذي اعتبر القاتل المجرم مدافعا عن نفسه ، إن بوش هو الذي أفتى لشارون و عصابته بأن المقاومة الفلسطينية المعترف بها دوليا على الأوراق دون المنطق ، إن بوش هو الذي أفتى شارون و عصابته بأن المقاومة الفلسطينية إرهابية (معنى أنها إرهابية أنها تستحق القتل و أنه لا عقوبة على من قتل الإرهابيين) ، هذا الذي جعل نائب وزير الدفاع الصهيوني يقول : إن أحمد ياسين يستحق القتل ؛ هذه هي سياسة بوش

و شارون ، هذه هي أفكار بوش و شارون ، هذه هي سياسة أمريكا و إسرائيل ، أحمد ياسين يستحقّ القتل لماذا ؟ لأنّه يدافع عن وطنه ، لأنّه يدافع عن أرضه و عرضه ، لأنّه يدافع عن مزرعته و شجرة زيتونه ، لأنّه يدافع عن حرماته و مقدّساته ، و أمّا أكبر إرهابي في العالم شارون اللّعين ، الإرهابي منذ سنة 1953 و هو يقتّل أكثر من 50 سنة و هو يقتّل ، أمّا هذا الإرهابي السفّاك السفّاح فهو ضحيّة مسكين ، هذه هي فلسفة أمريكا ، هذه هي السياسة [العوجاء] ، السياسة في عصرنا الحالي لم تعد فنّا ولا علما كما كانت في الأصل ، لقد حوّلها رعاة البقر و أذنابهم إلى أكوام من الخزعبلات و من الخداع و المكر و التلاعب ، السياسة حوّلت هذا المجتمع إلى مسرح للشعوذة ، إلى مسرح أقرب إلى الشعوذة منه إلى السياسة ، فكثر في هذا العالم المشعوذون السياسيون بصورة مخيفة مذهلة ، و أصبح كلّ شيء ممكن في عصر السياسة العرجاء و في عهد المصطلحات العوراء ، القتل و استرخاص الدم البشري أصبح دفاعا عن النفس ، قتل النفوس و استرخاص الدماء صار في مصطلح السياسة العالمية الجديدة دفاعا عن النفس ، التدمير و التشريد و تحطيم البيوت فوق رؤوس ساكنيها و إبادة البشر و الشجر و الزرع و الضرع أصبح في مصطلح السياسة الجديدة مبالغة في العنف ، أو أصبح يسمّى كل ّهذا في معجم السياسة الأمريكية خطأ بشريا مبرّرا ، استعمار الفاحش للشعوب و لمجموعة من الدول أصبح يسمّى في مصطلح السياسة اليوم انتشارا و تحرير ، لقد انتشرت الجنود في العراق ، عوض أن يقولوا لقد استعمرت الجنود العراق عوّضوا المصطلحات و بدّلوا المصطلحات ، الاستعمار صار انتشارا و تحريرا ، لقد حرّروا العراق ، عوض أن يقولوا يكذبون على الناس و يقولون لقد حرّروا العراق ، الجهاد من أجل تحرير البلاد و العباد من رجس الاستعمار صاروا يسمّونه في مصطلحات السياسة اليوم إرهابا ، المصطلحات الجديدة ، بائع الأرض و هاتك العرض أصبح يسمّى في مصطلح السياسة الجديدة صار يسمّى زعيما تاريخيا ، الاستسلام و الجبن صار يسمّى ضبطا للنفس ، التواطؤ مع المجرمين و مع الأعداء صار يسمّى نزاهة و إحقاقا للحقّ ، هذه بعض المصطلحات من المعجم السياسي اليهودي الإسرائيلي التي شوّهوا و قضوا بها حوائجهم و مصالحهم .

الدرس الثالث معاشر المسلمين ! إنّ موت الشيخ ياسين _رحمة الله عليه _ لن يضعّف المقاومة الإسلامية في فلسطين ، و لن يطفئ شعلتها أبدا كما يتوهّم اللّعين الخنزير

شارون و عصابته ، إنّ الشيخ ياسين ترك وراءه رجالا ، إنّ دمه و دم إخوانه لن يذهب هدرا و لا سدى ، إنّ دم الشيخ ياسين سيكون نارا و لعنة على إسرائيل و حلفائها و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ، لقد جرّبت إسرائيل سياسة الاغتيال و القتل ، جرّبته في لبنان مع أبو يوسف النجّار و زملائه ، جرّبت إسرائيل سياسة الاغتيال و القتل في تونس مع أبي جهاد و أبي إيّاد ، جرّبت إسرائيل سياسة الاغتيال و القتل في أرض فلسطين مع يحيى عيّاش و مع إسماعيل أبي شنب و غيرهم كثير ، إلاّ أنّ هذه التجربة باءت بالفشل و زادت من المقاومة حدّة ، و زادت في عزيمة المجاهدين هناك ، لأنّ هؤلاء الذين يجاهدون في أرض فلسطين ضدّ اليهود ضدّ أعداء الله و أعداء البشرية ، علّمهم القرآن الكريم أنّ الجهاد لا يكون من أجل شخص و لا من أجل مصلحة دنيوية ، الجهاد علّمهم القرآن الكريم أن يكون من أجل مبدأ ، قتالهم لن يتوقّف لأنّه من أجل مبدأ و من أجل رسالة لا من أجل شخص و لو كان هذا الشخص رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ ، في غزوة أحد أشيع خبر اغتيال النبيّ _ صلّى الله عليه و سلّم _ و مقتل النبيّ _ صلّى الله عليه و سلّم _ ، فنزل قوله _ عزّ وجلّ _ ، لمّا انتشر الخبر محمّد مات ، محمّد مات ، نزل قوله _ تبارك و تعالى _ : " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" (1) ، إنّ الشعب الفلسطيني شعب ولود ، كلّما فقد بطلا كوّن بطلا ثانيا ، كلّما فقد سيّدا جاء سيّد آخر يسير على منهج الأوّلين السابقين .

الدرس الرابع معاشر المسلمين و المسلمات ! إنّ الاستعمار _ كما قال الشيخ الإبراهيمي _ شيطان ، إنّ الاستعمار شيطان ، و لهذا يجب علينا كجزائريين أن نحافظ على وطننا ، أن نحافظ على استقراره و على أمنه ، أن نحافظ عليه من الاستعمار الغاشم و أن نحافظ عليه من الفتن الداخلية ، لقد جرّبنا و جرّبنا و شربنا المرار ، فيجب على

---

(1) سورة آل عمران الآية 144

المسلمين خاصّة و نحن مقبلين على الانتخابات الرئاسية ، على المسلم أن يخرج إلى الانتخاب و غايته الأسمى و غايته العليا هي مصلحة هذا الوطن ، لقد قالوا لنا إنّ الاستعمار الحقيقي قد انتهى ، و بقي الاستعمار الأخلاقي و الاستعمار السياسي و الاستعمار الاجتماعي ، فإذا بنا نفاجأ بالاستعمار الحقيقي يدخل العراق ، فعلينا أن نحافظ على هذا الوطن و أن نختار الأصلح لهذا الوطن ، و غايتنا هي مصلحة البلاد و العباد .

معاشر المسلمين و المسلمات ! لا عزاء في الشهداء فهم أحياء عند ربّهم يرزقون بل تهنئة لهم على هذا الاصطفاء و الاختيار " إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ " (1) ، لقد مضى الشيخ ياسين أسدا في حياته ، عزيزا في شهادته ، فهنيئا له بهذه الشهادة ، و الويل كلّ الويل للخنزير شارون اللهم إنّا نسألك بأسمائك الحسنى و بصفاتك العلى أن تدمّر هذا اللّعين ، اللهم أوقف الدم في عروقه ، اللهم احبس النفس في صدره ، الذي صرّح بنفسه بأنّه شارك شخصيا في اغتيال الشيخ و هنأ المخابرات و الأمن على نجاحهم في اغتياله ، فاللهم أوقف الدم في عروقه ، و احبس النفس في صدره و اجعله عبرة لمن يعتبر ، اللهم شلّه يا قويّ يا عزيز ، اللهم سلّط عليه الشلل من كلّ جانب ، الهم سلّط عليه جلطة يعاني منها سنينا و سنينا ، اللهم عليك باليهود ، اللهم إنّهم طغوا و تجبّروا و إنّهم لا يعجزونك ، فأرنا فيهم ما يفرحنا ، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم ، اللهم اجعل سلاحهم في صدورهم ، اللهم انصر إخواننا في فلسطين ، اللهم ثبّتهم اللهم اكتب قتلاهم من الشهداء ، اللهم ارحم الشيخ ياسين برحمتك الواسعة ، و ارحم جميع الشهداء في كلّ أرض ، اللهم نسألك لهذا الوطن الخير و الأمن و الاستقرار ، اللهم بعّد عنّا الفتن ما ظهر منها و ما بطن ، اللهم وحّد صفّنا ، اللهم لمّ شعث هذا الشعب ، اللهم اجمع شمله و وحّد كلمته ، اللهم اجعل ولايتنا في خيارنا ، اللهم ولّ علينا خيارنا ، ولا تولّ علينا شرارنا ، اللهم اجعل ولايتنا في من يخافك و يتّقيك ، اللهم

---

(1) سورة آل عمران الآية 140

اجعل ولايتنا فيمن يخافك و يتّقيك ، اللهم اجعل حكمنا للأصلح يا رحمان يا رحيم ، الهم من أراد بوطننا هذا خيرا فوفّقه و سدّده ، و من أراد به سوء و شرّا فأشغله في نفسه ، اللـــهم اغفر لنل و لوالدينا و لوالدي والدينا و لمشايخنا و لأساتذتنا و لمن علّمنا ، اللهم اغفر لمـــن أحسن إلينا ، اللهم اغفر لشهدائنا ، اللهم اغفر لمن كان له الفضل علينا ، اللهم اغفر وارحم من سبقنا بالإيمان اللهم فرّج على المغبونين ، اللهم اشف المرضى ، اللهم ارحم الموتى من أمّة محمّد_ صلّى الله عليه و سلّم _ ، اللهم اختم علينا بالصالحات و اجعل خير أعمالنـــا خواتيمها و خير أيامنا يوم لقائك ، و آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلاّ الله محمّد رســول الله ، و أكثروا من الصلاة على رسول الله في هذا اليوم و اعلموا أنّ من صلّى عليه واحدة صلّى الله عليه بتلك الصلاة عشرا ، و قوموا لصلاتكم يرحمكم الله .

عنوان الخطبة رقم 03 : **الدين و الإنسان**

و هي خطبة رسمية مأخوذة من ديوان الخطب المنبرية الذي تعدّه وزارة الشؤون الدينية بالجزائر و قد ألقيت بعدة مساجد بتلمسان سنة 2004

حيث رمزنا لها بالرمز خ-ر3 س 04

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي خلق الإنسان و أسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة و سخّر له ما في السماوات وما في الأرض ، سبحانه وتعالى هدانا للإسلام و جعلنا خير أمّة أخرجت للنّاس و وفّقنا للإيمان به و برسله الكرام ، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له دعا عباده المؤمنين لطاعته ليفوزوا برضوانه و ليعيشوا أعزّة على الكافرين ، أذلّة على المؤمنين يسارعون إلى الخيرات و يجاهدون في سبيل الله ، و لا يخشون لومة لائم ، و نشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله جاءنا بالهدى و البيّنات و أرشدنا إلى طريق السعداء في دنياهم و في آخرتهم غدا ، صلّى الله و سلّم عليه وعلى آله و أصحابه أهل الهدى ورضي عن كلّ من بهديهم اقتدى .

أمّا بعد _ أيّها المسلمون _ ، فإنّ الإسلام يجب أن يكون أساس حياتنا لأنّه النظام المختار من الله لنا ، و قد حكم سبحانه بالهداية لمن اتّبعه كما كتب الشقاء لمن انحرف عنه. قال تعالى : " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى " (1)

---

(1) سورة طه الآيات : 123-127.

إنّ الحياة الطيّبة العزيزة و الآخرة الراضية السعيدة لا يمكن أن تتوفّرا لأيّ إنسان إلاّ باتّباع نظام الله المختار للهداية و المتمثّل في الإسلام كرسالة أخيرة جامعة و شاملة و متمشّية مع متطلّبات الحياة في كلّ العصور و الأمكنة يقول سبحانه : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (1) ، و يقول جلّت قدرته : " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ". (2)

و لقد بيّنت هذه الرسالة مكانة الإنسان في الحياة و مهمّته خلالها و رفعت من قيمة وجوده حينما كشفت عن دوره في خلافة الله في أرضه : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (3)

وعن تكريمه و تسخير قوى الطبيعة له : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ" (4)

إنّ الإسلام ليهيب بالمؤمن الذي له هذا الدور و تلك المكانة أن يحافظ على كيانه و مقوّمات وجوده و أن يؤدّي مهمّته في الحياة مستفيدا بنعم الله عليه و بما سخّر له ليحقّق الحياة الكريمة و السيادة و العزّة له و لأمّته معه : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" (5) .

فإذا تهاون المسلم في الاستفادة من نعم الله عليه أو استهتر بمقدرات حياته أو عاش بعيدا عن شريعة الله في سلوكه فقد مكانته و ضيّع الأمانة الغالية التي كلف بها و حملها في

---

(1) سورة آل عمران الآية 85.

(2) سورة الأنعام الآية 153

(3) سورة البقرة الآية 30.

(4) سورة الإسراء الآية 70.

(5) سورة المنافقون الآية 08.

الوقت الذي أشفقت السماوات و الأرض و الجبـــال منـــها : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" (1)

إنّ الوفاء بهذه الأمانة إنّما يكون بالانقياد التام للشريعة في كلّ تصرّف و بالاتبـــاع التام لتعاليم الدين و أحكامه ، و بالاستفادة الكاملة في الحياة ، وبما سخّر للإنسان خلالـــها و أنعم عليه فيها و بذلك يحقّق المسلم الهدف من وجوده و يكون خليفة عن الله في أرضه .

أيها المسلمون : لقد آن لنا أن نعرف قيمتنا في الحياة و مكانتنا خلالها و أن نقـــدّر نعم الله علينا و نحافظ عليها و ندافع عنها ضد كل استغلال أجنبي أو استنزاف اســـتعماري و أن نعلم أنّه لا استقامة لأحوالنا إلاّ باتباع نظام الإسلام و تعاليمه في بيوتنا و أماكن عملنا و في تعاملنا مع أنفسنا و مع الله و مع الناس لأنّ ديننا هو الذي يحقّق لنا قوتنا العاصمة من الاستضعاف و طاقتنا العاملة للرخاء و أخلاقنا الممهّدة و المحققة للتضامن و التعاون .

فاتقوا الله في أنفسكم و دينكم و حياتكم . أسسوها على هدى من الله و على محبّـــة دينه و رسوله و اتباع ما جاءنا به و اشكروا نعمة الله عليكم لعلكم تفلحون .

اللهم اشرح صدورنا للإيمان و املأ قلوبنا بنوره و أفرغ علينا صبرا و توفّنـــا مـــع الأبرار ، آمين و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ، ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه و يهديـــهم إلـــى صراط مستقيم ، و نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و نشـــهد أنّ محمـــدا عبـــده و رسوله و نصلّي و نسلّم عليه و على آله و أصحابه الأبرار.

أمّا بعد : فيا أيّها المسلمون _ فإنّ الإسلام مع حرصـــه علـــى تعـــاون الإنســـانية

---

(1) سورة الأحزاب الآية 72.

و توصيته بإقامة علاقات عالمية تحقّق المصلحة المشتركة _ حتّى مع الاختلاف في العقيدة _ إلاّ أنّه يمقت استغلال الإنسان للإنسان ، و استسلام المسلم لهذا الاستغلال و يطالبه بمقاومته بكل ما يستطيع حتّى يتحرّر من التبعية في كلّ ميدان .

و لقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة للعلاقات الإنسانية المنصفة و البعيدة عن الاستغلال ، فها هو عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ يرفض أن تؤخذ الجزية من شيخ يهودي و يقول ما أنصفنا هذا : أكلنا شبيبته و ضيّعنا شيبته ثم ينصفه .

لكن البعض ممن لا يدينون بالإسلام اليوم يريدون أن يستغلّوا ثروات المسلمين و ممتلكاتهم و يسلبوهم حرية التصرف فيها مما يتطلب المزيد من الحذر و اليقظة و الاستعداد التام للمقاومة.

و إذا كان الإسلام يطالب المسلمين بالتحرّر السياسي و يجعل النضال في سبيله جهادا في سبيل الله فإنّه كذلك يطالبهم بالتحرّر الاقتصادي و مقاومة الاستغلال بكل أنواعه فإذا تطورت مقاومة المسلمين للاستغلال الاقتصادي و سلب أموالهم إلى قتال فإنّ من يموت منهم دفاعا عن ثرواته و ممتلكاته يموت شهيدا في نظر الإسلام ، و لقد قال الرسول صلى الله عليه و سلم (و من قتل دون ماله فهو شهيد) .

إنّ شعبنا المسلم و قد ضحّى بالعديد من أبنائه في سبيل تحرره السياسي و استعادة استقلاله ، لعلى أتمّ الاستعداد لمزيد من التضحية من أجل استكمال تحرّره الاقتصادي و سيطرته التامة على موارده و ثرواته الطبيعية و حرية تصرّفه فيها.

فاللهم مزيدا من التوفيق و العناية و مزيدا من الهدى و السداد .

اللهم ثبّت أقدامنا و وفّقنا في خطانا و انصرنا على القوم الكافرين .

اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات و ألّف بين قلوبهم و اجمعهم على الحق و أيّدهم به.

(عباد الله إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلّكم تذّكرون).

عنوان الخطبة رقم 04 : **ذكرى يوم المجاهد (20 أغسطس 1955)**

و هي خطبة رسمية مأخوذة من ديوان الخطب المنبرية الذي تعدّه وزارة الشؤون الدينية بالجزائر و قد ألقيت بعدة مساجد بتلمسان سنة 2003

حيث رمزنا لها بالرمز خ-ر4 س 03

الخطبة الأولى :

الحمد لله يؤيد بنصره المجاهدين الصادقين ، و يضاعف الأجر للعاملين المخلصين ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، كتب العزّة للمؤمنين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله ، الصادق الأمين ، اللهم صل و سلم و بارك عليه ، و على آله و أصحابه الذين اعتصموا بربهم ، و توكّلوا عليه في جهادهم ، فمكن لهم في البلاد ، و أعزّهم بين العباد ، و كان لهم نعم المولى و نعم النصير .

أما بعد فيا أيها المسلمون :

قال تعالى و هو أصدق القائلين : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (1)

و قال جلّ شأنه : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ" (2)

فلقد شرع الجهاد في الإسلام دفعا للعدوان ، و تأمينا لعقيدة الإيمان و حماية لحرية الأوطان و صيانة لكرامة الإنسان ، و ردا على معاداة الأعداء لنا بالقتال ، و درء خطر

---

(1) سورة البقرة الآية 190.

(2) سورة البقرة الآية 193.

الاحتلال و ما يترتّب عليه من مهانة و إذلال ، و قد اعتبر الإسلام سلامة العقيدة لحياة الإنسان ، بل جعل الفتنة في الدين و العقيدة ، أشد ضررا على المجتمع من القتل ، قال تعالى : "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" (1)

فالقتال في الإسلام دفاع عن حرية العقيدة ، لا هجوم على البلاد ، و فتح للعقول المغلقة و قضاء على الفساد و قد أمر الله بالصبر و المصابرة ، و المرابطة في سبيل الدفاع ، و حراسة الثغور ، و حماية الحدود ، و حثّ على التقوى لأنّها طريق الفلاح في الدنيا و الآخرة ، قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (2)

و حسب المجاهدين شرفا أنّهم باعوا أنفسهم و أموالهم لله ، و أنّه سبحانه اشتراها منهم بجنّة عرضها السماوات و الأرض ، و نعيم مقيم ، خير من الدنيا و ما فيها ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (3)

و عن أنس بن مالك _ رضي الله عنه _ ، أن رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ قال : " لغدوة و روحة في سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها " رواه البخاري و مسلم ، و عن سهل بن سعد الساعدي _ رضي الله عنه _ قال : قال رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها " رواه البخاري و مسلم ،

---

(1) سورة البقرة الآية 191.

(2) سورة آل عمران الآية 200.

(3) سورة التوبة الآية 111.

و عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال : سمعت رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ يقول : " عينان لا تمسّهما النار : عين بكت من خشية الله ، و عين باتت تحرس في سبيل الله " رواه الترمذي ، وقد عرف المسلمون الأولون فضل الجهاد في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم ، و كانوا يسارعون إلى ذلك استجابة لأمر الله _ عزّ و جلّ _ ، و تلبية لنداء الإيمان ، موقنين بأن الموت في هذا السبيل حياة و أن ما عند الله خير من الدنيا و متاعها ، و زينتها و زخرفها ، قال تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (1)

و معروف أنّ الأمة لا تنال حريتها و لا تصل إلى أهدافها ، و لا تصون كرامتها ، إلاّ بالإيمان يملأ قلبها ، و يضيء السبيل أمامها و يهديها إلى طريق الفوز في جهادها ، لتذود عن مبادئها و عقيدتها ، و سيادتها و استقلالها ، و لا يتم ذلك إلاّ إذا استكملت أسباب القوة و وسائل الدفاع ، فتسلّحت بالإيمان و العلم ، و الأخلاق الفاضلة ، و التضامن و الوحدة ، و تذرّعت بالعتاد و العدّة ، و تحصّنت بالصبر و المصابرة و قابلت الأحداث بالاحتمال و المثابرة ، لتضمن النضال و الكفاح ، و تحيى قوية مرهوبة الجانب ، يخشاها الطامعون ، و يتحاشاها المتربّصون ، و هكذا كان رسول الله _ صلّى الله عليه و سلّم _ و أصحابه شجعانا أقوياء ، أبطالا أشدّاء ، أسود في ميادين القتال ، نساكا عبادا بين يدي الله ، كما وصفهم سبحانه بقوله : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ " (2)

---

(1) سورة آل عمران الآيتان 169-170.

(2) سورة الفتح 29.

و قد أمر الله المؤمنين بالعبادة و التقوى ، و رتّب على ذلك الفلاح ، كما أمرهم في الوقت نفسه بالجهاد و الكفاح ، و سمّى ذلك تجارة تنجي من عذاب أليم ، و رتّب عليها غفران الذنوب ، و النصر و الفتح القريب في الدار العاجلة ، و دخول الجنّة في الدار الآجلة ، قال تعالى : "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (1)

اللهم إنّا نسألك الصبر على الجهاد ، و العون على الأعداء ، و امنح العرب و المسلمين جميعا الاتحاد و تحقيق الرجاء.

أقول قولي هذا و أستغفر الله العظيم لي و لكم و للمسلمين أجمعين فاستغفروه إنّه كان غفّارا.

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي يبتلي عباده بما شاء ، ليمحّص من عباده من يشاء و يتّخذ منهم شهداء و جعل الجهاد وسيلة للمؤمنين ، الذين لا يرضون الذل لأنفسهم ، و لا الدنية في دينهم ،

و لا المهانة لأوطانهم ، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا ، و نصلّي و نسلّم على خير من اعتزّ بربّه و بدينه و برجولته ، اللهم صلّ و سلّم عليه و على آله الأكرمين ، و أصحابه الغرّ الميامين الذين خرّ تحت سيوفهم القياصرة و الكياسرة من الكافرين الجبابرة ، و اجعلنا لهم و لطريقتهم متّبعين مجاهدين ، و احشرنا معهم في زمرة النبيّ الأمين .

---

(1) سورة الصف 10، 11، 12، 13.

أمّا بعد : فيا أمّة الإسلام .

إنّ دعائم الجهاد الصحيح ثلاث ، الجهاد بالنفس ، و الجهاد بالمال ، و الجهاد باللّسان ، فإنّ بذل المال لا يقلّ تضحية عن بذل النفس ، بل إنّ القرآن الكريم كثيرا ما يقدّم التضحية بالمال في الذكر ، عند الحثّ على الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : " انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (1)

و قال عزّ من قائل : " لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" (2)

فالمال عصب الحياة في مهام الأمور ، و عليه يتوقّف إعداد و إمداد الجنود المحاربين و من وراءهم بالكسوة و القوت ، أمّا اللّسان فهو وسيلة الدعاية أهمّ وسائل الإعلان لنصر الحق ، و إزهاق الباطل ، و صدق القائل (الحرب أوّلها الكلام) فكم من أمّة كسبت عطف العالم و مؤازرته ، بالدعاية لقضيتها في السلم و الحرب على السواء.

فاتقوا الله عباد الله ، و التزموا حدود الدين فيما رسم لكم من معالم الجهاد و حافظوا على تراثكم المجيد ، و مجدكم العظيم الذي ورثتموه عن أسلافكم ، و أعدّوا ليومكم و غدكم ما استطعتم من قوّة تؤيدون بها حقكم ، و ترهبون بها عدوّ الله و عدوّكم ، و تذودون بها عدوّ الله و عدوّ المسلمين ، و علينا أن ننسى في سبيل ذلك أشخاصنا فنتّحد و لا نختلف ، يقول تعالى : " وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (3) .

---

(1) سورة التوبة الآية 41.

(2) سورة النساء الآية 95.

(3) سورة الأنفال الآية 47.

و عن أنس _ رضي الله عنه _ ، أنّ النبي _ صلّى الله عليه و سلّم _ قـــال : (جـــاهدوا المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم) . رواه الترمذي.

اللهم اجمع الصفوف ، و وحّد القلوب ، و اجمع العرب و المســـلمين و رؤســـاءهم على كلمة سواء و اجعل النصر في ركابهم ، معقودا لهم و لأمّتهم على كلّ عدوّ مبيـــن ، و أعنّا على الجهاد في سبيلك حتّى يتحقّق النصر العظيم ، وارحم شهداءنا و أجزهم عنّـــا و عن أوطانهم و دينهم خير الجزاء اللهم آمين.

عباد الله (إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشـــاء و المنكر و البغي يعظكم لعلّكم تذكّرون) .

المراجع

أ – المصادر والمراجع باللغة العربية :

• **القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع)**

1 – **الإبراهيمي** (محمد البشير)
- آثاره ، الجزء الثاني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، (دون تاريخ).

2 – **ابن خلدون** (عبد الرحمن)
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول ، دار الكتاب اللبناني الطبعة الثالثة 1967 .

3 – **ابن العقون** (عبد الرحمن)
- الكفاح القومي والسياسي (1920– 1963) ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 .

4 – **ابن كثير** (أبو الفداء إسماعيل)
- تفسير بن كثير،الجزء السادس، دار الأندلس، بيروت لبنان (دون تاريخ).

5 – **ابن منظور**
- لسان العرب ، تحقيق علي بشيري ، الجزء الرابع ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى 1988 .

6 – **ابن نعمان** (أحمد)
- التعصب والصراع ، منشورات دحلب الجزائر الطبعة الثانية 1997 .

7– ابن هادية (علي و آخرون)
- القاموس الجديد ، المؤسسة الوطنية الكتاب ، الجزائر ، الطبعة السابعة 1991 .

8 – **أبو زيد** (أحمد)
- محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان بيروت لبنان 1978 .

9 – **الأنصاري** (محمد جابر)
- تجديد النهضة ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1992 .

10 – **أومليل** (علي)
– شرعية الاختلاف ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1993

11 – **الباقلاني** (أبو بكر)
- إعجاز القرآن ، دار الفكر، (دون تاريخ).

12 – **البخاري** (أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل)
- صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ، دار القلم بيروت لبنان 1987 .

13 – **بربريس** (جودي)
- منهاج الوعاظ والدعاة ، دار الهدى الجزائر الطبعة الأولى 2000 .

14 – **بركات** (جمال)
- قاموس المصطلحات الدبلوماسية ، مكتبة لبنان الطبعة الأولى 1982 .

15 – **برونو** (فيليب وآخرون)
- المجتمع والعنف ، ترجمة إلياس شحرور ، منشورات الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق سوريا 1975 .

16 – **بودون** (ريمون)
- المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986.

17 – **بونار** (رابح)
- المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، الطبعة الأولى 1981.

18 – **بيدة** (سعيدة)
- سنوات العنف المجنونة ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر الطبعة الأولى 1999 .

19 – **الترابي (حسن)**
- تجديد الفكر الإسلامي ، دار البعث قسنطينة الجزائر الطبعة الأولى 1990 .

20 – **الجابري (محمد عابد)**

- تكوين العقل العربي ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1984 .

- نحن والتراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب الطبعة الرابعة 1985.

22 – **الجاحظ (عمرو بن بحر)**
- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، الجزء الأول ، دار الفكر بيروت لبنان (دون تاريخ).

23 – **جبور (عبد النور)**
- معجم المنهل ، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة 1979.

24 – **الجراري (عباس)**
- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، الجزء الأول ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثانية 1979 .

25 – **جغلول (عبد القادر)**
- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط ، ترجمة فضيلة الحليم ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1988 .

26 – **الجلبي (خالص)**
- سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي ، دارالفكر المعاصر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1998 .

27 – **جودت** (سعيد)
- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، المطبعة العربية الجزائر، الطبعة الأولى 1990.

- مذهب ابن آدم الأول ، أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي ، المطبعة العربية الجزائر، الطبعة الأولى 1990.

29 – **حرب** (علي)
- الفكر والحدث ، دار الكنوز بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1997.

30 – **الحموي** (مأمون)
- قاموس المصطلحات الدبلوماسية ، دمشق 1949.

31 – **حنفي** (حسن)
- الأصولية الإسلامية ، مكتبة مدبولي القاهرة ، جمهورية مصر العربية الطبعة الأولى (دون تاريخ).

32 – **حيدر** (خليل علي)
- اعتدال أم تطرف ، دار قرطاس للنشر الكويت ، الطبعة الأولى 1998.

33 – **الخطيب** (أحمد)
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأثرها الإصلاحي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985.

34 – **خليل** (أحمد خليل)
- معجم المصطلحات الاجتماعية ، الجزء الثالث ، دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1995 .

35 – **الدسوقي** (كمال)
- ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول ، الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية (دون تاريخ).

36 – **الدقس** (محمد)
- التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، دار مجدلاوي عمان الأردن الطبعة الثانية 1996.

37 – دياب (محمّد حافظ)
- سيّد قطب الخطاب الإيديولوجيا ، موفم للنشر الجزائر، 1991.

38 – ديوان الخطب المنبرية
– مؤسّسة العصر للمنشورات الإسلامية ، وزارة الشؤون الدينية الجزائر(دون تاريخ) .

39 – رشوان (حسين عبد الحميد أحمد)
– التطرّف والإرهاب من منظور علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية الطبعة الأولى 1997 .

40 – رشوان (ضياء)
– تقرير الحالة الدينية في مصر، مركز الأهرام للدراسات ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1996 .

41 – رمضاني (عبد المالك)
– مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية مكتبة الفرقان عجمان، الإمارات العربية المتّحدة ، الطبعة الرابعة2001 .

42 – الريفي (هشام)
– أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من آرسطو إلى اليوم ، جامعة الآداب والفنون ، تونس 1999 .

43 – زروال (محمّد)
– الحياة الروحية في الثورة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1994 .

44 – زكرياء (فؤاد)
– الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، المطبعة الوطنية القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى 1986.

45 – **زهران** (حامد)
– علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب القاهرة ، (دون تاريخ) .

46 – **الزين** (سميح عاطف)
– تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الثانية 1984.

47 – **سالم** (محمّد عدنان) ، ومحمّد وهبي سليمان
– معجم كلمات القرآن العظيم ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1997 .

48 – **سلطاني** (أبو جرّة)
– جذور الصراع في الجزائر ، المؤسّسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر الطبعة الأولى 1995 .

49 – **الشاطبي** (أبو إسحاق)
– الموافقات في أصول الأحكام ، الجزء الأوّل ، دار الفكر بيروت لبنان (دون تاريخ) .

50 – **شايف** (عكاشة)

– الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998 .

– منهجية الأمر والنهي في الأديان السماوية _ دراسة مقارنة _ ، دار الغرب للنشر الجزائر 2003 .

52 – **شرابي** (هشام)
– البنية البطركية ، دار الطليعة بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1987 .

53 – **شكور** (جليل وديع)
– أمراض المجتمع ، الدار العربية للعلوم ، بيروت لبنان 1998 .

54 – **الشنقيطي** (محمّد الأمين)
– مذكرة أصول الفقه ، دار اليقين للنشر ، المنصورة مصر ، الطبعة الأولى 1999.

55 - **الصنعاني** (محمّد بن إسماعيل الأمير اليمني)
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلّة الأحكام ، المجلّد الثاني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1998 .

56 - **الطبري** (محمّد بن جرير)
- (تاريخ الطبري) تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الرابع ، دار المعارف 1979.

57 - **طوالبي** (نور الدين)
- الدين والطقوس والتغيّرات ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، (دون تاريخ).

58 - **عبّاد** (صالح)
- المعمّرون والسياسة الفرنسية في الجزائر، ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.

59 - **عبد الحكيم** (شوقي)
- علمنة الدولة وعقلنة التراث ، دار العودة بيروت لبنان 1979.

60 - **العصفور** (جابر)
- أنوار العقل ، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة مصر الطبعة الثالثة 1996.

61 - **عطوف** (محمود ياسين)
- مدخل في علم النفس الاجتماعي ، دار النهار للنشر ، بيروت لبنان 1981.

62 - **العلوي** (محمد الطيب)
- مظاهر المقاومة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1994.

63 - **العمري** (محمد)
- دائرة الحوار ومزالق العنف ، إفريقيا الشرق بيروت لبنان الطبعة الأولى 2002.

64 - عيّاشي (احميدة)
- الإسلاميون الجزائريون بين السلطة والرصاص ، دار الحكمة الجزائر ، الطبعة الأولى 1992.

65 - العيسوي (عبد الرحمن)

- دراسات في علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية بيروت لبنان 1974.

- سيكولوجية المجرم ، دار الراتب الجامعية بيروت لبنان 1997.

67 - الغزالي (محمد)
- خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر 1985.

68 - غليون (برهان)

- اغتيال العقل ، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1990.

- حوارات من عصر الحرب الأهلية ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ، (دون تاريخ).

- نظام الطائفية بين الدولة والقبيلة ، طباعة المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1990.

- نقد السياسة ، الدولة ، والدين ، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1991.

72 - غوروفيتش (جورج)
- الأطر الاجتماعية للمعرفة ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1981.

73 - فادي (إسماعيل)
- الخطاب العربي ، قراءة في مفاهيم النهضة والتقدّم والحداثة ، طباعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتّحدة الأمريكية 1991.

74 – **فركوس (صالح)**
– نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر ، دار الكوثر للنشر الجزائر الطبعة الأولى 1991.

75 – **القنجري (أحمد شوقي)**
– التطرّف والإرهاب ، محنة العالم الإسلامي دينيا وسياسيا واجتماعيا ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، الطبعة الأولى 1993.

76 – **الفوال (صلاح مصطفى)**
– معالم الفكر السوسيولوجي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1982.

77 – **فوكوياما (فرنسيس)**
– نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين وآخرين ، طباعة مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1993.

78 – **الفيروز آبادي (مجد الدين محمّد بن يعقوب)**
– القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1997.

79 – **قدّاش (محفوظ)**
– الجزائر في العصور القديمة ، المؤسّسة الوطنية للكتاب الجزائر 1993.

80 – **قدورة (زاهية)**
– تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1975.

81 –**القرضاوي (يوسف)**
– الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرّف ، دار الشهاب الجزائر ، الطبعة الثالثة 1983.

82 – **كورتيس (جوزيف) وآخرون**
– السيميائية أصولها وقواعدها ، ترجمة رشيد بن مالك ، منشورات الاختلاف الجزائر، 2002.

83 – لنتون (رالف)
– الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث ، ترجمة عبد المالك الناشف ، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ، (دون تاريخ).

84 – المدرسي (السيّد محمّد تقي)
– التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده ، الجزء الخامس ، مطبعة الشهيد طهران إيران ، الطبعة الأولى 1997.

85 – مروة (حسين)
– النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، الجزء الثاني ، دار الفارابي بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة 1985.

86 – مزغشلي (أسامة)
– الصحاح في اللّغة والعلوم ، المجلّد الثاني ، دار الحضارة العربية ، بيروت لبنان ، (دون تاريخ).

87 – مسعود (مجاهد)
– تاريخ الجزائر ، الجزء الأوّل، الجزائر ، الطبعة الأولى (دون تاريخ).

88 – مسلم (بن الحجّاج القشيري النيسابوري)
– صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت لبنان 1985.

89 – معجم العلوم الاجتماعية
– الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة مصر ، (دون تاريخ).

90 – نسيب (محمّد)
– زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر الجزائر ، (دون تاريخ).

91 – هلال (عمّار)
– أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995.

92 - **الهلالي** (سليم بن عيد)
- لماذا اخترت المنهج السلفي ؟ ، دار ابن القيّم للنشر والتوزيع ، الدمّام المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى 2001.

93 - **الوعر** (مازن)
- دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس ، دمشق سورية 1989

ب – المراجع باللّغة الأجنبية

1-AGERON (Charlles Robert)
- Histoire de l'Algérie Contemporaine
(1871 - 1954) , Presses Universitaires de France , Paris 1979.

2-AGERON (Charles Robert)

- Politiques Coloniales, Presses

Universitaires de France Paris 1972 .

3-Amselle (Jean – Loup)
- Branchements , Anthropologie de l'universalité
des cultures Editions Flammarion, France 2001 .

4-Angers (Maurice)
- Initiation pratique à la méthodologie des sciences
humaines , Casbah Université , Alger 1997.

5– Baylon (Christian)

- Sociolinguistique , Edition Nathan , France 1991.

6 -Beneveniste (Emile)

- Problèmes de linguistique générale Tome 1,

Edition -Gallimard Paris 1966 .

7- Cattin (Yves)
- l'Anthropologie politique de Thomas d'Aquin , Edition
l'Harmattan , Paris 2001.

8– Evans (Pritchard)
-The Nuer , O.U.P London UK 1940.

9- GRAWITZ (Madline)
- Méthodes en sciences sociales,
Paris 5ème édition , Ed DALLOZ , 1993.

10- Hugues (John)

- Analysis : methods of discovery , London, Nelson 1976 , p 117.

11 - Kouvouama (Abel)

-Modernité Africaine , les figures du politique et du religieux , Editions Paari Paris 2001.

12- Le Petit LAROUSE Grand Format 2002.

13 - MEDHAR (Slimane)

- La violence sociale en Algérie , Thala Editions , Alger 1997.

14 – SKA (Jean – Luis)

- l'argile , la dance et le jardin , Essais d'anthropologie biblique , traduit de l'Italien par Bernadette Escaffre , Edition Lumen Viae , Bruxelles Belgique 2002

15 -SOROKIN , P

- Social and Cultural Mobility , The Free Press , New York USA 1959.

16 - Von Barloewen (Constantin)

- Anthropologie de la mondialisation , Editions des Syrtes , Paris 2003 .

17 -WALTON (Douglas)

-Types de dialogues et glissement dialectique en argumentation , Editions de l'Université de Bruxelles , Belgique 1990.

18 - Yves (Richard)

- La Violence , Séries Que Sais-je ? Presses Universitaires de France 1986.

ج – المقالات ، والدوريات والملتقيات :

1 – **أبو إقبال** (عبد الله)
– المعارضة الإسلامية من المصحف إلى الديناميت ، مقال بمجلة التضامن ، السنة 2 ، العدد 16 ، الصادر في أكتوبر 1993 بالجزائر.

2 – **أبو سعد** (عبد السلام محمّد)
– الخلافات الفقهية ، مقال بمجلة الرسالة ، التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 13 و14 ، الصادر في أكتوبر 1988.

3 –**بوتقليقة** (عبد العزيز)
– كلمة افتتاح الملتقى الدولي حول العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية من تنظيم المجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ 10ماي 2004.
– جريدة المجاهد اليومية (باللغة الفرنسية) ، العدد 12042 الصادر بتاريخ 11ماي 2004.

4 – **خالد** (محمّد)
– التحوّلات الاجتماعية والممارسات الدينية ، أعمال ملتقى " أيّ مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر ؟ " المنعقد بتيميمون ، أيّام 22 ، 23 ، 24 نوفمبر 1999 ، برعاية جامعة منتوري بقسنطينة ومركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية ، منشورات CRASC وهران الجزائر.

5 – **الربيعو** (تركي علي)
– مدخل إلى ظاهرة العنف ، مقال بمجلة الوحدة التي تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة 7 ، العدد 81 ، (دون تاريخ).

6 – **سنوسي** (ع)
– تدابير لحماية بيوت الله من الاعتداءات ، مقال بجريدة الخبر اليومية ، السنة 14 ، العدد 4273 ، الصادر بتاريخ 21 ديسمبر 2004.

7 – **صالحي** (صالح)
– ضوابط الرشد والكفاءة في الاقتصاد الإسلامي ، مقال بمجلة الرسالة ، التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 12 ، الصادر في جوان 1988.

8 – **طالب** (عبد الرحمن)
– منهجية الدعوة الإسلامية ، مقال بمجلة الرسالة ، التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، العدد 11 ، الصادر في مارس وأفريل 1988.

9 – **العسكر** (عبد العزيز إبراهيم)
– أسس إصلاح الخطاب الديني للمساجد ، مقال بجريدة الرياض السعودية ، السنة 39 ، العدد 12882 ، الصادر بتاريخ 28 سبتمبر 2003 بالرياض.

10– **العقيلي** (سليمان)
– المساجد والسياسة ، مقال بالوطن السعودية ، السنة 3 ، العدد 1088 ، الصادر في سبتمبر 2003 بالرياض.

11 – **عناية** (غازي)
– تناقض علمانية فصل الدين عن الدولة مع الواقع الإسلامي ، مقال بمجلة منار الإسلام ، التي تصدر عن وزارة العدل بدولة الإمارات العربية المتحدة ، السنة 14 ، العدد 4 ، الصادر بتاريخ 20 أكتوبر 1990 .

12 – **غليون** (برهان)
– جريدة الشروق الأسبوعي الجزائرية ، السنة 4 ، العدد 1072 ، الصادر بتاريخ 12 أكتوبر 2004 .

13 – **فضيل** (عبد القادر)
– منهجية بناء الخطاب المسجدي ، مقال بمجلة رسالة المسجد التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، السنة 1 ، العدد 2 ، الصادر في سبتمبر 2003.

14 - **كاتب (ياسين)**
- " كلاب الدوار " مقال نُشر بصحيفة الجزائر الأحداث (Algérie Actualité) العدد 77 ، الصادر بتاريخ 9 أفريل 1967 .

15 - **محفوظ (محمّد)**
- ضدّ العنف والتعصّب ، مقال بمجلّة النبأ ، العدد 63 ، الصادر في شعبان 1422 الموافق لتشرين الثاني 2001 .

16 - **ملص (مصطفى)**
- المسجد دوره ورسالته أحد أهمّ ثروات الأمّة ومكمن قوّتها ، مقال بمجلّة الوحدة الإسلامية التي تصدر عن تجمّع العلماء المسلمين في لبنان ، السنة 2 ، العدد 19 ، الصادر في جوان 2003 ببيروت.

17 - **ناشر النعم (محمّد أمير)**
- خطبة الجمعة بين الواقع والمثال ، مقال بمجلّة رسالة المسجد التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، السنة 1 ، العدد 2 ، الصادر في سبتمبر 2003 .
- نقلاً عن مجلّة رسالة المسجد التي تصدر عن وزارة الأوقاف بسلطنة عمان ، العدد 101 ، الصادر في سبتمبر 2001 .

د - الرسائل الجامعية :

1 - **سنايسي (رابح)**
- الفكر الديني المعاصر في الجزائر _ أصوله واتجاهاته _ ، أطروحة دكتوراه دولة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة تلمسان (2000 - 2001).

2 - **عجال (سلامي)**
- آثار ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان (2000 - 2001).

هـ – المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنيت :

1) www . aggeeb . com
2) www . al-eman . com
3) www . alaide . com
4) www . alexandredelvalle . com
5) www . aljabriabed . com
6) www . almuhaddith . com
7) www . alryadh . com
8) www . alwatan . com
9) www . arabiat . com
10) www . baladynet . net
11) www . darislam . com
12) www . iqraa . net
13) www . marwakf-dz . org
14) www . medelomari . net
15) www . samerskaik . net
16) www . taiba.org

محتويات البحث

محتويات البحث

الموضوع ..... الصفحة

مقدمة.....أ – ط
مدخل تمهيدي.....1
تحديد المفاهيم.....2
مفهوم العنف.....2
مفهوم الخطاب.....6
مفهوم التعصب.....9
مفهوم التأهيل.....12
التطور التاريخي للخطاب الديني في الجزائر.....15
الفصل الأول (النظري) : المستوى الفكري لظاهرة العنف في الخطاب الإسلامي.....25
تمهيد.....26
المبحث الأول : نشأة خطاب العنف.....27
المطلب الأول : الجذور التاريخية وأنثروبولوجية العنف الديني.....27
المطلب الثاني : علاقة العنف بالصراع بين تياري العلمنة والأصالة.....34
المطلب الثالث : التطرف من التعصب إلى العنف.....40
المبحث الثاني : مسارات الانحراف في الخطاب الإسلامي الجزائري.....45
المطلب الأول : أسباب وعوامل الانزلاق نحو العنف.....45
المطلب الثاني : الخطاب الإسلامي وانحراف الممارسة الطقوسية بالجزائر.....49
المطلب الثالث : وظيفة الصراع الفكري والمذهبي في انحرافات الخطاب الديني الجزائري.....53
المبحث الثالث : المستوى الأخلاقي وذرائع ممارسة العنف.....58
المطلب الأول : المشكلة الأخلاقية في اختلاف الخطاب الإسلامي.....58
المطلب الثاني : ذرائع وشبهات ممارسة العنف في الخطاب الإسلامي.....63
المطلب الثالث : وظيفة الإقناع وواقع الإقماع في تخليق الخطاب الإسلامي.....67
خلاصة.....72
الفصل الثاني (التطبيقي) : مستويات تأهيل الخطباء و انزلاقات الخطاب.....74
تمهيد.....75
المبحث الأول : مضامين العنف من خلال الخطب المنبرية.....77
المطلب الأول : التحليل الشكلي لمدونة الخطب المنبرية.....78
علاقة العناوين بالخطب.....80

المطلب الثاني : تحليل مضمون مدونة الخطب المنبرية..... 82
انحراف المتن الخطابي من الديني إلى السياسي..... 88
الجانب التوظيفي والأساليب المستخدمة..... 91
الآيات والأحاديث..... 91
الاستهواء والتكرار وأساليب التهويل (مزالق العنف اللاشعوري)..... 93
المبحث الثاني : مستويات تأهيل الخطاب المسجدي..... 110
المطلب الأول : التأهيل الاجتماعي والأخلاقي للخطباء..... 113
التأهيل الاجتماعي للخطباء..... 113
عامل السن..... 113
الأصل الاجتماعي..... 114
الحالة التعليمية للوالدين..... 115
الهواية أو الوظيفة قبل دخول السلك الديني..... 116
الأحوال المادية..... 117
أسباب عدم الرضا الوظيفي..... 118
النقل والتنقل..... 118
ظروف الإقامة..... 119
طبيعة الإقامة..... 119
محل الإقامة..... 120
ظروف الانسجام في محيط المسجد..... 121
الانسجام مع جماعة المصلين..... 121
أسباب عدم الانسجام..... 122
مؤشرات عدم الانسجام..... 123
المصالحة بين المتخاصمين في خطب الجمعة..... 123
الإنكار على الخصوم ومهاجمتهم..... 124
الخطاب الإقصائي..... 125
أسلوب تصحيح الأخطاء..... 125
الإطالة في خطبة الجمعة..... 126
واقع الانسجام..... 127
معالجة المشاكل والاهتمامات اليومية للمصلين..... 128
عدد المستفتين من المصلين أسبوعيا..... 129
الإفتاء في غياب الإمام..... 130
التأهيل الأخلاقي..... 131
اعتماد أسلوب الفظاظة وسيلة للإقناع وشد الانتباه..... 131
استخدام العبارات المثيرة والمسيئة..... 132
استخدام العامية (الدارجة)..... 133
الفرق بين العنف والإغلاظ في الموعظة..... 134
المطلب الثاني : التأهيل العلمي والكفاءة الوظيفية للخطباء..... 135

التأهيل العلمي..... 135
مستوى التحصيل الدراسي..... 136
التحكم في اللغة العربية..... 137
مستوى التحصيل الشرعي..... 139
التحكم في النص الديني..... 139
إتقان التلاوة..... 140
التمكن من العلوم الشرعية المعروفة..... 140
الوعي العام..... 142
الوعي بدور المسجد وتحدياته..... 143
الوعي بحقيقة دور الخطاب المسجدي..... 144
الوعي بمجانبة خطاب العنف..... 145
القضايا التي سبق للخطباء معالجتها..... 146
تصنيف الخطباء لأهم شخصيات المجتمع..... 147
الموقف من البحث العلمي..... 148
الدعاء لأولياء الأمور..... 148
أنماط الخطب المعتمدة..... 149
الخطب الجاهزة والمحضرة..... 149
الخطب الارتجالية..... 150
رفع الصوت أثناء الإلقاء..... 150
الأساليب الخطابية المفضلة..... 151
الترغيب والترهيب..... 151
أسلوب التكرار..... 152
أشكال التكرار..... 152
أشكال الانحراف الخطابي..... 153
الاستهواء والاستمالة العاطفية..... 154
الانزلاق اللاشعوري نحو خطاب العنف..... 155
استغلال الأحداث والاستدراج الفكري..... 156
الكفاءة الوظيفية..... 157
كيفية التوظيف بالسلك الديني..... 158
الخضوع للرسكلة بعد التوظيف..... 159
الأهلية لوظيفة الخطابة..... 159
النظرة الذاتية لمستوى الأداء الخطابي..... 160
خلاصة..... 161
الخاتمة..... 162
الملاحق (ملحق الخطب المنبرية)
المراجع
محتويات البحث